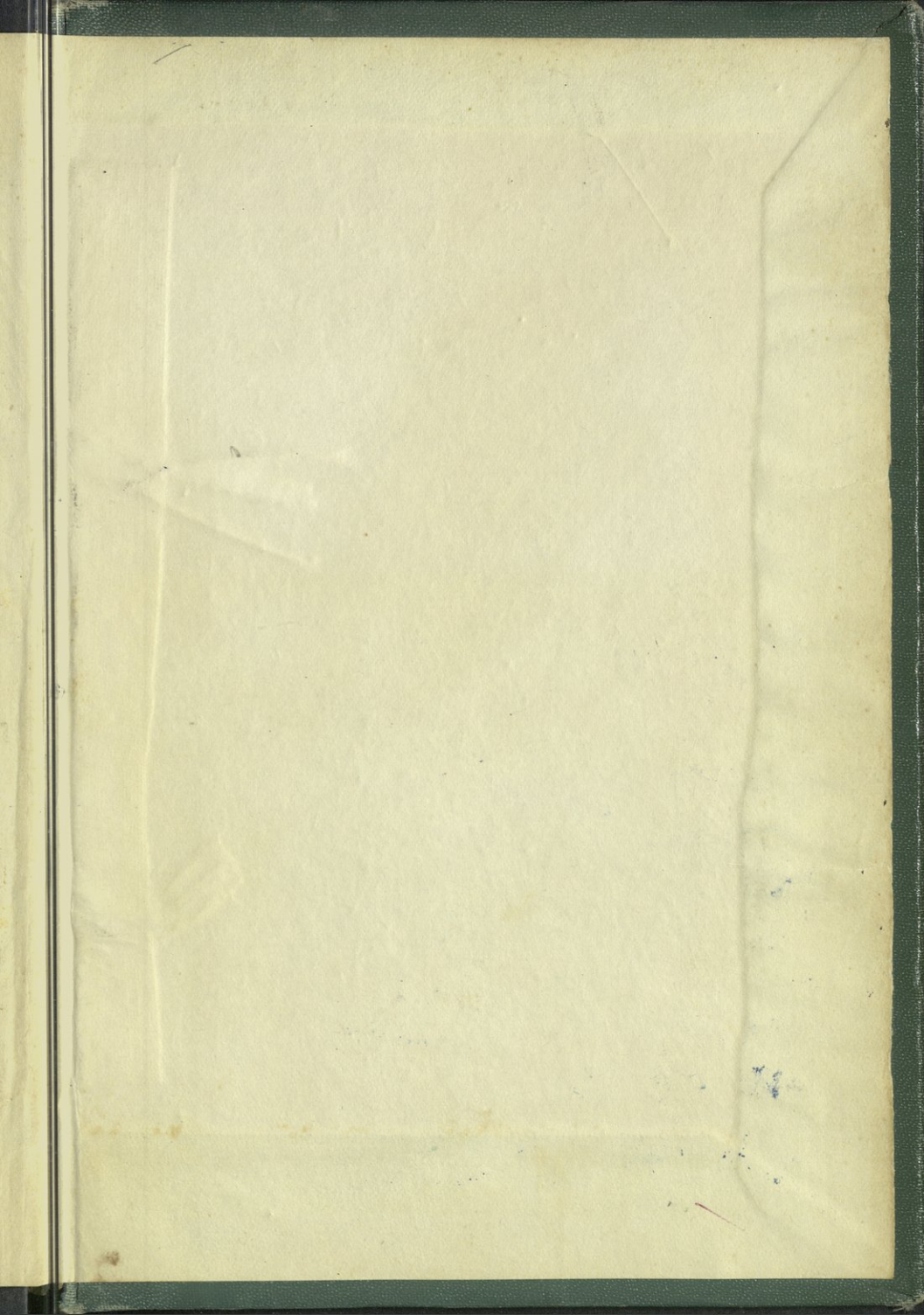
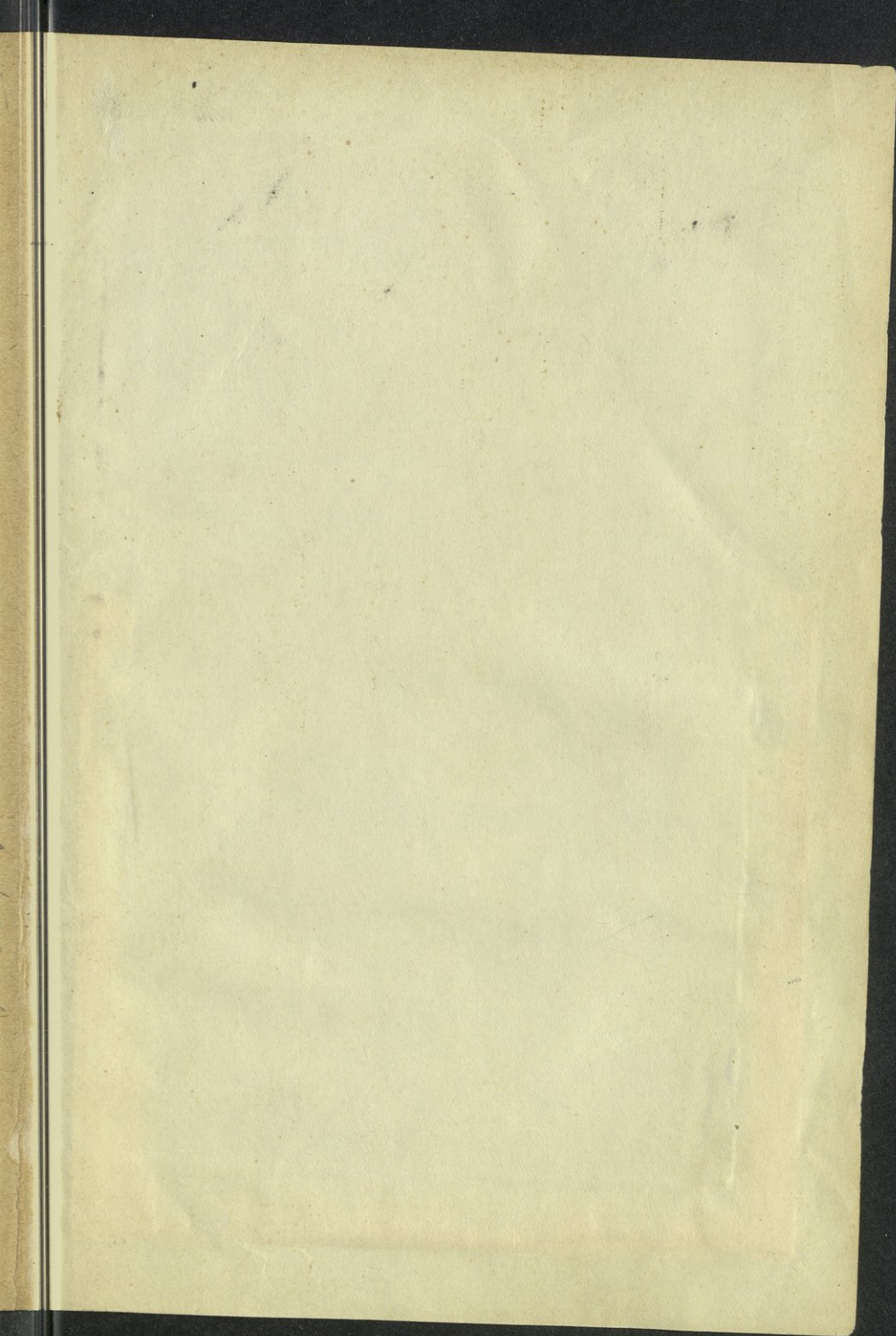








S.K.





29.7.8  
Sh 5314A  
C.1

# دولة النزارية أجداد الأغاخان

كما أسسها  
أحمد الصباح (زعيم الاسماعيليتة في فارس)

تأليف

دكتور

طه أحمد شريف

ليسانسيه في الآداب ، دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين  
ماجستير في الآداب ، دكتوراه في الآداب  
مدرس التاريخ بالمعهد العالي للمعلمين والحلمية الثانوية

الطبعة الأولى

١٩٥٠ - ١٣٦٩ هـ

حقوق الطبع محفوظة لل المؤلف

يطلب من

مكتبة النهضة المصرية ومن المكتبات الشهيرة

مطبعة الشكشي بالأزهر - القاهرة

Cat. 28 Oct. 53

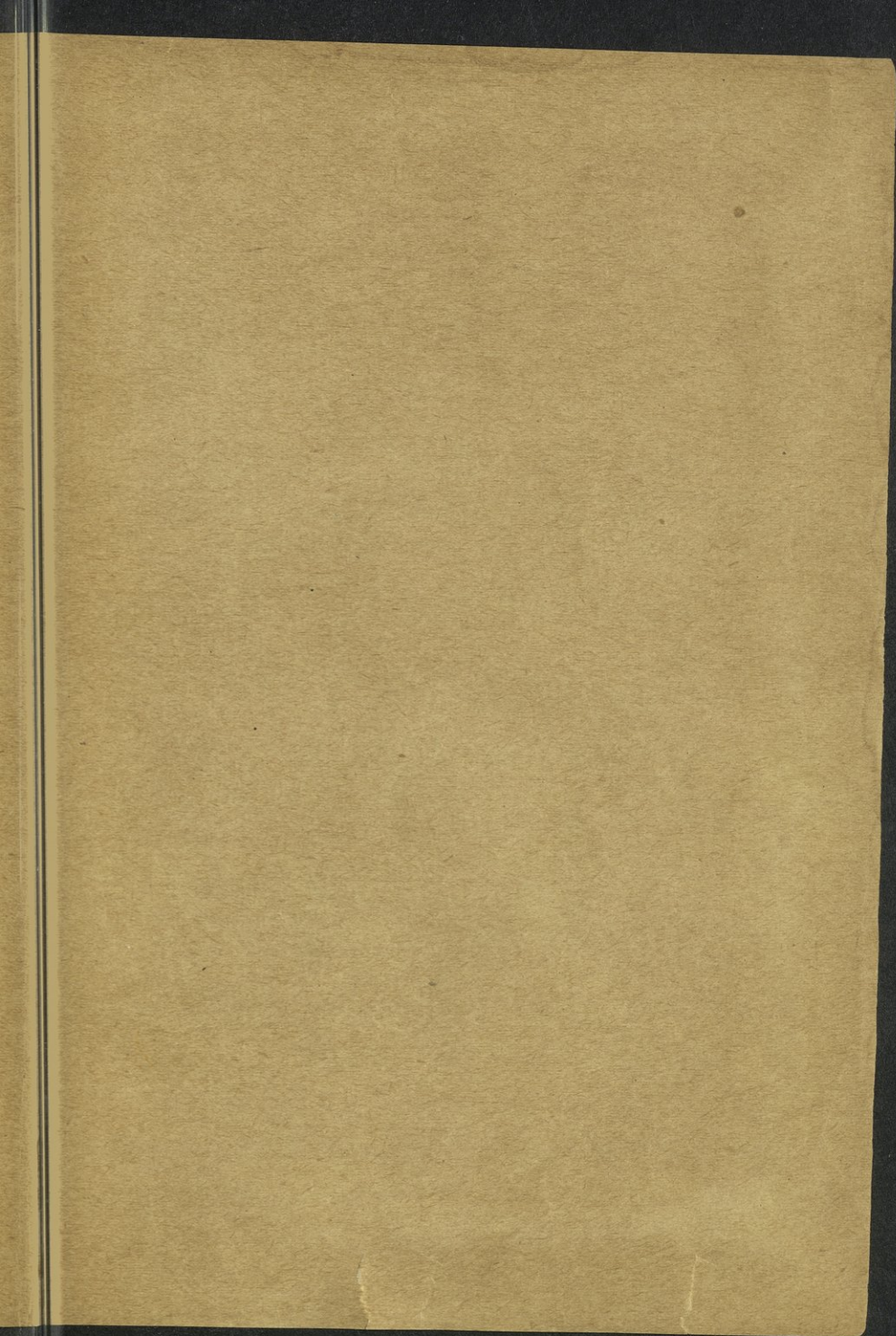




## الهراء

إلى سعادة أستاذنا الكبير الدكتور حسن إبراهيم حسن بك  
دارشدني إلى بحث تاريخ الإسماعيلية في الحياة السياسية ، وغمرتني  
بنصحك وتوجيهك ، فتقبل كتابي « دولة الزارية - أجداد أغا خان -  
كما أسسمها الحسن الصباح ، كشجرة من ثمار نصحك وإرشادك . وستتلوه  
أبحاث أخرى ، أرجو أن أُلِمَّ فيها بتاريخ هذه الجماعة ، منذ أقدم العصور  
إلى اليوم ، إلماً تاماً .

طه احمد شرف





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو نعم المعين

## مقدمة

ينتمي الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ( + ١٤٥ هـ ) ،  
الذي استمر أتباعه من بعده يبذلون جهودهم رخيصة في سبيل إقامة دولة  
علوية ، وقد نجحوا في ذلك سنة ٢٩٦ هـ ، حيث أقاموا الدولة الفاطمية ،  
وبقي الإسماعيلية وحدة لا تنقسم ، تحت زعامة الفاطميين ، وكانت الدعوة  
الفاطمية وقتئذ تسمى « الدعوة القديمة » .

غير أنه بموت الخليفة المستنصر الفاطمي سنة ٤٨٧ هـ ، انشق إسماعيلية  
فارض والشام على « الدعوة القديمة » ، وانتموا إلى نزار بن المستنصر ،  
وقالوا إن أباه عيَّنه في الإمامة والخلافة بعده ، وعابوا على بيت  
بدر الجعالي - وزير المستنصر - تدخله في شئون دعوتهم ، واستطاع  
الزعيم الفارسي « الحسن الصباح » أن يكوّن دولة نزارية لها كيائها الخاص ،  
وأن ينشئ دعوة عرفت في التاريخ باسم « الدعوة الجديدة » ، وعرف  
أنصارها بالإسماعيلية النزارية أو الإسماعيلية الشرقيين ، وبقيت دولة  
النزارية كما وضع أساسها الحسن الصباح ، وأخذت تغالب الدهر ، منذ  
سنة ٤٨٨ هـ ، حتى سقطت في سنة ٦٥٤ هـ ، على يد هؤلاء المفاولي .

ولم تمت الدعوة النزارية بموت دولتها في سنة ٦٥٤ هـ ، وظل  
أنصارها يعملون في الخفاء ، حتى بعثوا اليوم باسم الأغاخانية - أتباع  
أغا خان - أو الخوارج ، وهؤلاء هم النزارية المحمليون .



وأما أنصار الدعوة القديمة ، فأولوا طاعتهم للمستعلى ، الابن الأصغر  
للمستنصر . وسموا « المستعلية » ، ولما مات الخليفة الأمر سنة ٥٢٤ هـ ،  
ووليه الخليفة الحافظ ، اعترف إسماعيلية مصر له بالرياسة ، فسميت  
دعوتهم « الدعوة الحافظية » ، واعترف إسماعيلية الين بالإمام الطيب بن  
الأمر ، فسموا الطيبية ، وتطورت الأحوال هؤلاء ، وانتشروا في الين  
والهند وغيرهما ، ويسمون اليوم « البهرة » . أما « الحافظية » ، فماتت  
دعوتهم بسقوط دولة الفاطميين في سنة ٥٦٧ هـ .

من ذلك ترى أن جماعة الإسماعيلية لهم تاريخ طويل ، يبدأ بظهور  
الدولة العباسية ، ويستمر إلى اليوم . وقد رأيت أن أوالى البحث في  
تاريخ هذه الطائفة ، فقسمته قسمين : قسما خاصا بالدعوة القديمة ، وآخر  
خاصا بالدعوة الجديدة .

أما « الدعوة القديمة » ، فإن تاريخها طويل متشعب ، لذلك قصرت  
على تاريخها في دور « استتار الأئمة » ، كتابا أسميته « تاريخ الإسماعيلية حتى قيام  
الدولة الفاطمية » ، وقصرت على بحث تاريخ الدعوة في الدور الفاطمي  
كتابا آخر ، أسميته « الفاطميون وزعامة العالم الإسماعيلي » ، ورأيت أن  
للإسماعيلية في الين والشام تاريخا مجيدا ، فكتبت فيه كتابين أسميت  
أولهما : « إسماعيلية الشام من أقدم العصور إلى اليوم » ، وأسميت ثانيهما  
« إسماعيلية الين من أقدم العصور إلى اليوم » ، ولم يقف بحثي في تاريخ  
« الدعوة القديمة » ، عند ذلك الحد ، فقد ألقت كتابين على هامش تاريخ  
الفاطميين ، أسميت الأول « تأسيس الدولة الفاطمية كما وضعه أبو عبد الله  
الشيخي » ، وأسميت الثاني « المشكلات الكبرى في تاريخ الفاطميين » .



وأما الدعوة الجديدة ، فقد ألقت في تاريخها كسباين : أولهما ، دولة  
النزارية ، كما أسسها الحسن الصباح ، ، وهو الكتاب الذي بأيدينا ،  
وثانيهما ، أئمة النزارية أجداد أغاخان ، ، والكتاب الأول أساس  
طبيب للكتاب الثاني ، إذ لا نستطيع الإلمام بتاريخ أئمة النزارية ، إلا إذا  
عرفنا الأسس التي وضعها الصباح ، لتكوين دولتهم المنشودة .  
وأرجو أن يتم إخراج هذه الكتب في أقرب وقت مستطاع ، حتى  
ينجلي تاريخ الإسماعيلية من أقدم العصور إلى اليوم ، . والله الموفق  
وهو نعم الولي .

٢٨ شوال سنة ١٣٦٩ هـ  
١١ أغسطس سنة ١٩٥٠ م

طه أحمد سرف

## تصدير الكتاب

بقلم

سماعة الدكتور محمد إبراهيم حبيب بك مدير جامعة محمد علي الكبير  
الإسماعيلية أهمية خاصة في البلاد الإسلامية؛ فقد امتد تاريخهم منذ  
قيام الدولة العباسية، واستمر هذا التاريخ إلى اليوم. ولا أشك في أن  
تاريخ هذه الطائفة يحتاج إلى دراسة تحليلية تعتمد على المراجع الأساسية،  
التي لا توجد أحياناً إلا مخطوطة.

وقد وجهت نظر بعض تلاميذي إلى أهمية بحث تاريخ هذه الجماعة  
من الناحية السياسية خاصة والتعمق في دراسة مخطوطاتها. وفي مقدمة  
هؤلاء، الدكتور طه أحمد شرف، لأنه - في نظري - أجدر من يضطلع  
بهذه المهمة العلمية، في هذه الناحية من نواحي التاريخ الإسلامي، فأشرت عليه  
بأن يبين كيف تكونت هذه الجماعة في العصر العباسي الأول، وأن يتتبع  
الجهود التي بذلها في سبيل إقامة الدولة الفاطمية، وكيف نظم الفاطميون  
هذا المجتمع الإسماعيلي الكبير، وأن يلم بتاريخ النزارية، أجداد أغا خان،  
وبتاريخ المستعملة، أئمة البهرة، وغير هؤلاء وأولئك من طوائف  
الإسماعيلية، وقد ألم الدكتور طه أحمد شرف بكل ناحية من هذه النواحي  
إلماً يدعو إلى الإعجاب.

واليوم يعرض حضرته بحثاً ممتعاً عن «دولة النزارية أجداد أغا خان،  
كما أسسها الحسن الصباح، زعيم الإسماعيلية في فارس، في أسلوب تاريخي،  
يقوم على النقد والتحليل، فصور البيئة التي نشأ فيها هذا الزعيم، وأوضح تأثير



هذه البيئة في تفكيره وعقائده ، وبحث حالة العالم الإسلامي السني والشيعة ، وبسّين كيف مهدت الأحوال لظهور شخصية إسماعيلية قوية تألق نجمها في عالم الدعوة الإسماعيلية.

وقد تناول الدكتور طه أحمد شرف بالتفصيل رحلة الحسن الصباح إلى مصر ، وصور موقفه من رجال الحكم فيها ، كما صور النزاع الذي قام بينه وبين بدر الجمالي ، وزير المستنصر ، بسبب ميل هذا الوزير إلى حفيده أبي القاسم أحمد بن المستنصر ، الذي تلقب المستعلي فيما بعد ، وعمله على إقصاء تزار ، أكبر أولاد الخليفة ، عن الجلوس على العرش بعد أبيه . وكان من أثر ذلك أن فكر الحسن الصباح في الخروج على الدولة الفاطمية بعد وفاة المستنصر ، واعتلاء ابنه المستعلي العرش من بعده .

وقد حلل المؤلف العوامل التي ساعدت الحسن الصباح على الاستقلال بدولته الناشئة ، وبسّين الوسائل التي تدرع بها لتنظيم مجتمعه الزاري ، والطرق التي سار عليها في نشر الدعوة لتزار بن المستنصر ، والطريقة التي سلكها في تربية القداوية ، الذين ذاعت شهرتهم فيما بعد ، كما بحث موقف الحسن الصباح ، وموقف دولته من السلاجقة والعباسيين ، وتناول في شيء من التفصيل صراعه مع السلطان ملكشاه السلجوقي وخلفائه ، في فارس وخراسان والشام ، وبحث عوامل نجاحه ، وما طرأ على هذا الصراع من تطور ، ثم خلاص من ذلك كله إلى عرض سريع لتاريخ أئمة الزارية ، أجداد آغا خان ، وتحليل شخصية الحسن الصباح تحليلاً دقيقاً ، وذيل هذا الكتاب ببعض الملاحق التي حوت كثيراً من النصوص الهامة .

وبعد ، فإن هذا الكتاب مقدمة لكتب أخرى ، بحث فيها  
الدكتور طه أحمد شرف تاريخ الإسماعيلية في مختلف العصور ، وكشف  
فيها عن كثير من المسائل ، التي لا تزال غامضة مهمة في تاريخ الحضارة  
الإسلامية عامة ، وحضارة الشيعة الإسماعيلية بوجه خاص .

وأرجو أن يلقى هذا الكتاب من الذبوع والرواج ما يتفق مع أهمية  
موضوعه ، ويتفق مع ما بذله المؤلف في سنبل إخراج من جهود متصلة ،  
وما أضاف إلى هذه الناحية التاريخية من حقائق ، تفيد العلم فائدة محققة .  
فله منا كل ثناء وإعجاب ، ولكتبه كل تقدير وتشجيع .

حسن إبراهيم حسن

١٧ شوال سنة ١٣٦٩  
أول أغسطس سنة ١٩٥٠



# الباب الأول

## حالة العالم الإسلامي قبيل ظهور الحسن الصباح

### ١ - العالم السني :

كانت زعامة العالم الإسلامي السني في يد العباسيين ، وقد كانوا جديرين بهذه الزعامة في العصر العباسي الأول ( ١٣٢ — ٢٣٢ هـ ) ، أما في العصر العباسي الثاني ( ٢٣٢ — ٣٣٤ هـ ) ، وما تبعه من عصور ، فقد أخذ الضعف يدب في جسم دولتهم ، ولم يعد العباسيون يتمتعون بذلك السلطان المطلق الذي كانوا يتمتعون به من قبل . واستبدت بهم عناصر لا تمت إلى عنصرهم العربي الهاشمي بصلة : استبد بهم الفرس ، ثم طغى عليهم نفوذ الترك ، فكان منهم الوزير والقائد ، بل السلطان ، ومنهم حكام الأقاليم وموظفو القصور الخلافية . ولم يلبث هؤلاء أن أخذوا يعزلون من يشاءون من الخلفاء ، ويولون من يشاءون . وأصبح الخليفة معهم ، كما قال الشاعر :

خليفة في قفص بين وصيف وبلغا  
يقول ما قال له كما تقول البيضا

بل لقد وصف الخليفة العباسي ، المعتمد على الله ( ٢٥٦ — ٢٧٩ هـ )



نفسه خير وصف، وأبان سوء حالة الخلفاء العباسيين، واستبداد الأمراء  
الأتراك بهم، فقال يتحسر :

أليس من العجائب أن مثلى يرى ما قل متمنعاً عليه  
وتحمل باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه  
إليه تحمل الأموال طرا ويمنع بعض ما يجي إليه

على أنه في عصر إمرة الأمراء (٣٢٤ — ٣٣٤ هـ) لم يعد للخليفة  
العباسي السني أى شيء من الاحترام، فاستبد أمراء الأمراء به، حتى  
لم يعد للخليفة مع أميره شيء من النفوذ.

ولم يلبث الخلفاء العباسيون أن وقعوا تحت تأثير بني بويه الشيعة،  
وظلوا تحت نفوذهم أكثر من قرن (٣٣٤ — ٤٤٧ هـ). ونحن نعلم  
أن هؤلاء البويهيين كانوا يعطفون على الشيعة، رغم خوفهم السياسي  
من الفاطميين، مما ساعد على نجاح الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس، ومهد  
السبيل لظهور الحسن الصباح وجماعته، إذ لم يكن للعباسيين مع البويهيين  
الشيعة رياسة على المسلمين. اللهم إلا تلك الرياسة الرمزية الدينية فقط،  
وبعبارة أخرى، إن الدولة والملك قد انتقل [كل ذلك] في آخر أيام  
المتقي (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ = ٩٤٠ — ٩٤٤ م)، وأول أيام المستكفي  
(٣٣٣ — ٣٣٤ هـ = ٩٤٤ — ٩٤٥ م)، من آل العباس إلى آل بويه.  
والذى بقى في أيدي الدولة العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي، لا ملكي  
دنيوى... فالقائم من ولد العباس الآن (في عهد البيرونى)، هو  
رئيس الإسلام، لا ملك، (١).

(١) البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، (ليزرغ، سنة ١٩٢٣ م) ص ١٢٢



على أن العباسيين تعرضوا لخطر جسيم آخر ، نراه في تفكك وحدة العالم الإسلامي ، فقد استقلت دويلات كثيرة عن الدولة العباسية ، مما أوهم من شأن الخلافة السنية ، وأهم هذه الدول المستقلة ، الدولة الصفارية ( ٢٥٤ — ٢٩٠ هـ ) ، والدولة السامانية ( ٢٦١ — ٢٨٩ هـ ) التي انضم أحد ملوكها إلى عبيد الله المهدي ، وتبادل معه الرسائل (١) ، ثم الدولة الغزنوية ( ٣٥١ — ٥٨٢ هـ ) ، وكذلك بنو بويه . ولا ننس دولة الطولونيين ( ٢٥٤ — ٢٩٢ هـ ) ، ثم دولة الإخشيديين ( ٣٢٣ — ٣٥٨ هـ ) ، والدولة الفاطمية ، في بلاد المغرب أولاً ، ثم في مصر ثانياً ( ٢٩٦ — ٥٦٧ هـ ) ، والامويون في الأندلس ( ١٣٨ — ٤٢٢ هـ ) . كان هذا كله خطراً على كيان الدولة العباسية . التي أصبحت عرضة لضربات الضاربين وعيث العابثين .

ولم يلبث البويهيون في بغداد أن دالت دولتهم ، وحل السلاجقة محلهم ، منذ سنة ٤٤٧ هـ ، فتعرض العباسيون لخطر جسيم كاد يودي بدولتهم ونفوذهم ، فثار عليهم أبو الحارث البساسيري ، وكثير من أمراء العراق ، وعاون الفاطميون هؤلاء الثوار معاونة جديده ، وأرسلوا إليهم الأموال والرجال ، وجعلوا من داعيهم المقدام ، المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ( ٤٧٠ هـ ) سفيراً ، بين الثوار وبينهم . وبفضل هذه الجهود وتلك المؤازرة ، انهمز طغرل بك في موقعة سنجار سنة ٤٤٩ هـ ، وتبع ذلك دخول الثوار مدينة بغداد في سنة ٤٥٠ هـ ، والقبض على الخليفة القائم

---

(١) هو نصر بن أحمد الساماني ( ٣٠١ — ٣٣١ هـ ) . انظر كتاب عبيد الله المهدي للمؤلف بالاشتراك مع أستاذه الدكتور حسن ابراهيم حسن .



العباسي ، ثم خطبتهم على منابر بغداد عاما كاملا ، للخليفة الفاطمي المستنصر .

إلا أنه سرعان ما استرد طهرليك السلجوقي نفوذه ، ففك سراح الخليفة العباسي القائم ، وأجلسه على العرش ، وقضى على الثوار . ومازال السلاجقة يعملون بعد ذلك على الاستبداد بجميع شئون العالم الإسلامي السني ، ويقتلون من نفوذ الخليفة العباسي ، الذي لقي على أيديهم من العنت أكثر مما لقيه على أيدي أمراء الأمراء ، والبويهيين أنفسهم . هذا بالإضافة إلى طمع البيزنطيين والصليبيين في ممتلكاتهم . وانشقاق أمراء السلاجقة على أنفسهم ، فكان ضعف الزعامة العباسية ، وتفكك السلاجقة ، من العوامل التي ساعدت الحسن الصباح على النجاح .

وقد أوضح فون همر<sup>(١)</sup> الظروف التي أحاطت بنشأة الحسن فقال : إن عصره كان عصر اضطراب : قامت فيه أسر وزالت فيه أخرى ؛ ففي طبرستان وحلب وديار بكر ، اختفت دول وحل محلها دول أخرى . وقام السلاجقة فخلوا محل البويهيين ، وامتد نفوذهم في سوريا وكرمان وآسيا الصغرى ، في الوقت الذي لم يكن فيه للخليفة العباسي نفوذ أو سلطان ، وكان النزاع الديني قائما على قدم وساق : فالسنيون والشيعة والحنابلة في نزاع مستمر .. وأخذ الدعاة الإسماعيلية الذين كانت مصر توفدهم إلى الشرق ، يدعون الناس لمذهبهم ، وينتشرون في جميع أرجاء آسيا ، ويعملون على إشعال الثورات . لذلك لاندش إذا ما وجد هؤلاء الإسماعيلية في الحسن الصباح مناصرا ومدافعا .



وكان السلاجقة سنيين مغرقين في سنيّتهم ، فاضطهدوا غير المسلمين ، كما اضطهدوا كثيراً من الشيعة . وكان للاضطهاد الذي نال الشيعة أثره في تكاتف هؤلاء وإغراقهم في نشر الدعوة السرية . أضف إلى ذلك أن مدارس الدعوة بالقاهرة ، كانت تغذى بلاد فارس وغيرها من بلاد السنيين ، بطائفة كبيرة من الدعاة الجريئين الأقوياء ، الذين استطاعوا أن يجذبوا الحسن الصباح إليهم .

وكذلك كان لبعده فارس عن مركز الخلافة العباسية ، ولا انتشار التشيع والشعبوية ، ولكثرة الدعاة الإسماعيلية في هذه الجهات السنية ، أثره في خلق شخصية فذة ، تستغل الظروف ، وتنجح في تكوين دولة وسط الدولة العباسية المتداعية ، تلك الشخصية الجريئة تراها في الحسن الصباح . حقاً لقد كانت بلاد فارس ، منذ القديم ، محطاً للثورات والثوار ، فهذا أبو مسلم الخراساني ، يرفع علم الثورة على الأمويين ، ويقضي على دولتهم ، ثم يعمل جاهداً على قلب الدولة العباسية ، فيقضي عليه ، على يد المنصور . وهذا المقنع الخراساني ، يشور في عهد المهدي ، ويلقى حتفه بعد أن أفق الألواف من المسلمين . ناهيك عن بابك الخرمي ، وما أحدثه من اضطراب في هذه البلاد السنية ، في عهد المأمون والمعتمد . كما لا ننس تلك الحركات الهدامة التي قام الزنادقة بها هناك ، في أشكال وصور مختلفة ، وكلها ترمى إلى شيء واحد ، هو قلب الدين والدولة معا . واستمرت تلك الأحداث مستهجرة لا تخمد إلا في الظاهر . فاستغل خلفاء مصر الفاطميون هذه



الحال المضطربة ، في تلك الأفطار السنية ، فغذوها بأساليب الدعوة السرية المنظمة ، حتى أصبحت على وشك القيام بثورات كاسحة . وخير مثال لذلك ، ثورات الإسماعيلية في تلك البلاد في عهد السلطان محمود الغزنوى ، ومناداتهم بالإمام المستنصر الفاطمى .

غير أن السلاجقة تمكنوا قبيل ظهور الحسن الصباح ، من القبض على ناصية الحال ، فكان لا بد لأنصار الدعوة الإسماعيلية ، من الإمعان في الدعوة السرية ، ثم التكاثر حول شخصية يثقون بها . وقد وجدوها في الحسن الصباح . والخلاصة أن الحسن الصباح لم يكن أول من ثار على الدولة السنية في بلاد فارس ، وإنما كان واحدا من أفذاذ هؤلاء الثوار ، الذين نالوا كثيراً من النجاح ضد العباسيين ، في الناحيتين الدينية والسياسية .

وتعتبر الدولة السلجوقية مسؤولة إلى حد كبير عن نتائج إهمالها شئون الأخبار والبريد في البلاد السنية ؛ إذ سن السلطان ألب أرسلان (٤٥٤ — ٥٤٦ = ١٠٦٢ — ١٠٧٢ م) سنة جديدة ، تلتخص في عدم وجود أصحاب أخبار في الدولة ، فقد كان هذا السلطان يتهم هؤلاء بأنهم إنما ينقلون ما يريدون لا غير . فتمكن الإسماعيلية بفضل هذا الإهمال الواضح ، من إحكام أمورهم في البلاد السنية ، ونجح الحسن الصباح أيما نجاح في تسييره وفي نشر دعواه . وبعبارة أخرى ، كان لإهمال السلاجقة السنيين واجباتهم في استطلاع أحوال الرعايا ، أثره الكبير في النجاح الذى ناله الحسن الصباح وجماعته .



أوضح البندارى (١) ذلك فقال : وكان منهم رجل من أهل الرى وساح فى العالم ، وكانت صناعته الكتابة (٢) خفى أمره ، حتى ظهر ، وقام من الفتنة كل قيامة ، واستولى فى مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة ، وبدأ من القتل والفتك بأمور شنيعة ، وخفيت عن الناس أحوالهم ، ودامت ، حتى استتبعت على استتار ، بسبب أنه لم يكن للدولة أصحاب أخبار . وكان الرسم فى أيام الديلم (٣) ومن قبلهم من الملوك ، أنهم لم يخلوا جانباً من صاحب خبر وبريد ، فلم يخف عندهم أخبار الأقاصى والأداني ، وحال الطائع والعاصى ، حتى ولى فى الدولة السلجوقية ألب أرسلان محمد بن داود ، ففاوضه نظام الملك فى هذا الأمر ، فأجابه أن لا حاجة بنا إلى صاحب خبر ؛ فإن الدنيا لا تخلو كل بلد فيها من أصدقاء لنا وأعداء ، فإذا نقل إلينا صاحب الخبر ، وكان له غرض ، أخرج الصديق فى صورة العدو والعدو فى صورة الصديق . فأسقط الناس هذا الرسم لأجل ما وقع له من الوهم ، فلم يشعر إلا بظهور القوم ، وقد استحسنت قواعدهم ، واستوثقت معادهم ، وأخافوا السبل ، وأجالوا على الأكابر الأجل ، (٤) .

كما تعرض العالم السنى لخطر هجوم الصليبيين ، الذى مزق وحدة الشرقيين

(١) الأصفهاني : كتاب تاريخ دولة آل سلجوق . ص ٦٢ — ٦٣ .

(٢) المقصود هو الحسن الصباح .

(٣) المقصود هم البويهيون .

(٤) قتلهم .



الآدنى والأوسط شرمق. وهكذا كان العالم السنى يمحج بالاضطراب فى  
الداخل والخارج معا ، فكان هذا كله من أكبر دواعى نجاح الحسن  
الصباح - على ما سنرى .

## ٢ - العالم الإسماعيلى :

استطاع الفاطميون ، فى أوائل القرن الخامس الهجرى ، أن يحتفظوا  
بوحدة العالم الإسماعيلى ، فى كل من فارس واليمن ومصر ، بل وبلاد  
المغرب كذلك ، غير أنه سرعان ما دالت دولتهم فى بلاد المغرب ،  
منذ سنة ٤٤٣ هـ ، فزال نفوذهم أمام تعصب السنيين المغاربة ،  
وأصبحت أسرة زيرى بن مناد الصنهاجى من ألد أعدائهم ، بعد أن كانوا  
من أكبر أعوانهم . ولم يبق للذهب الإسماعيلى ، ولا للدعوة الإسماعيلية  
تبعاً لذلك ، شىء من النفوذ فى تلك البلاد .

وكذلك ما لبثت دولة القرامطة فى البحرين أن زالت ، بعد أن أخذ  
الضعف يدب فى جسمها ، وتكاثف عليها جيرانها السنيون ، وما زالوا  
بالقرامطة ، ينتزعون منهم البلاد شبراً شبراً ، حتى استسلموا تحت وابل  
من ضربات السنيين المتلاحقة ، وانهزموا فى موقعة الخندق ،  
شمالى الأحساء ، فى سنة ٤٧٠ هـ . ومنذ ذلك التاريخ لم يعد للقرامطة فى  
بلاد البحرين وجود سياسى يؤبه له . وبذلك فقد الفاطميون قطرين  
كبيرين ، أو بعبارة أخرى «بحرين» (١) كبيرين من بحار الدعوة  
الإسماعيلية : هما بلاد المغرب ، وبلاد البحرين .

AHMAD FARRAG

(١) البحر أو الجزيرة عند الإسماعيلية = الأقليم الكبير ، الذى يكون لهم ولذهبهم فيه نفوة



غير أن الدعوة الإسماعيلية لم تلبث أن استعادت قوتها ، فخلق الفاطميون لهم في بلاد اليمن دولة كبرى ، حمل لواءها جماعة الصليحيين ، الذين مكثوا للفاطميين في بلاد اليمن ، ودانوا لهم بالطاعة ، وحملوا إليهم الأموال والطرف والهدايا ، واتخذوا لهم من القاهرة ومدارس الدعوة بها ، كعبة يؤمها دعائهم وكبار مفكرهم ، فنقلوا إلى بلاد اليمن كل ما وصلت إليه عبقرية الدعاة الإسماعيلية الأوائل . لذلك كانت دولة الصليحيين مستودعا هاما من مستودعات المذهب الإسماعيلي .

ولم يقف نفوذ الفاطميين عند بلاد اليمن وحدها ، فقد أخذ الصليحيون على عاتقهم أن يمدوا نفوذ سادتهم الفاطميين في بلاد الحجاز وعمان والهند ، فكانوا سفراءهم ودعائهم وولاتهم في بلاد الحجاز ، يشيدون بفضلهم من فوق منابر البلاد المقدسة ، لذلك نرى على بن محمد الصليحي ( ٤٥٩ هـ ) يخطب للمستنصر في بلاد الحجاز ، ويسمو بالمذهب الإسماعيلي والمذاهب العلوية هناك ، وينجو باللائمة على العباسيين ، ويرميهم بالعبث وإهمال شؤون الدين . وكذلك اتخذ المستنصر من الملك الصليحي ، أحمد المكرم ، ( ٤٥٩ — ٤٨٠ هـ ) ومن زوجته الملكة السيدة أروى الصليحية نوابا له في بلاد الهند وعمان ، فأضحى اختيار الدعاة وتعيينهم في هذين القطرين ( عمان والهند ) مقصورا على الصليحيين . ومن ثم احتفظ الفاطميون بنفوذهم فيهما قويا ، وأصبحت زعامة اليمن على هذين البحرين ، سياسة تقليدية ، فدان العمانيون الإسماعيلية ، وإخوانهم إسماعيلية الهند ، لليمن ثم لمصر بالطاعة . وهكذا كان نفوذ الفاطميين



قويا في اليمن وملحقاتها، في الوقت الذي ظهر فيه الحسن الصباح في أواخر القرن الخامس الهجري .

أما في بلاد فارس وخراسان ، فقد أثمرت الدعوة الإسماعيلية فيهما خير الثمار ، وأنجبت أفذاذ الدعاة العلماء ، الذين ساهموا إلى حد كبير في تلك النهضة العامة ، التي زخر بها القرنان الرابع والخامس الهجريان ، فكان من دعاة الإسماعيلية جماعة من كبار الفلاسفة . ويكفي أن نعلم بأن النسفي والسجستاني (٣٣١) الإسماعيليين ، وغيرهما من الدعاة ، كانوا من كبار الفلاسفة ، ومن حملوا مشعل النقد في هذه البلاد . وكانت لهم مناظرات قيمة مع فلاسفة عصرهم . ويكفي أن نعلم أيضاً أن هذه المدرسة الإسماعيلية الفكرية ، كانت تساهم مع المدارس السنية في الرد على أهل الزيغ والإلحاد . وقد أولى هؤلاء الدعاة الإسماعيلية في تلك المدرسة ، موضوع النبوة والإمامة عنايتهم منذ مستهل القرن الرابع (١) .

ويكفي الدعوة الإسماعيلية بفارس نفراً ، أنها أنجبت نابغة الدعاة أحمد حميد الدين السكرماني (٥٤١١ هـ) ، صاحب المؤلفات الفلسفية العميقة ، فقد كان له في موضوع فلسفة النبوة والإمامة صولات وجولات ، فرد على الفلاسفة السنيين والدعاة الدرزية الغلاة (٢) . ولا غرو « فهو الملقب بحجة العراقيين ، كبير الدعاة الإسماعيلية بجزيرة العراق ، في عهد

HUSSEIN SHAHIN

(١) انظر كتابنا « الفاطميون وزعامة العالم الإسماعيلي »

Hamdani : A Compendium of the Ismaili Authors (٢)

(Isl. Cul. 1937) p. 214.



الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وصاحب التأليفات العديدة في الإشادة بالمذهب الإسماعيلي ، وإثبات إمامة الحاكم ، والرد على مخالفي المذهب ،<sup>(١)</sup>.

وقد بذل الكرمانى جهوداً كبرى في سبيل الوقوف في وجه دعاة الإسماعيلية الغلاة ، كالدرزية . ولم يشأ أن يعترف لهم بألوهية الحاكم ، فكان على رأس جماعة الإسماعيلية المعتدلين ، الذين رغبوا في الإبقاء على الدولة ، ومجاراة عقائد الرعية السنية<sup>(٢)</sup> . ومن أهم مؤلفاته في هذا الموضوع ، كتاب « مباهم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله ، أمير المؤمنين » ، وكتاب « المصاييح في إثبات الإمامة » ، وغرضه من كتابته أن يثبت اتفاق مبادئ المذهب الإسماعيلي مع مبادئ السنة<sup>(٣)</sup> .

ويظهر أن الدعوة الفاطمية في مصر قد عراها شيء من الضعف ، فاعتمد الخليفة الحاكم في النهوض بها ، على جهود دعائه الفرس ، وبخاصة داعيه النشيط أحمد حميد الدين الكرمانى ، الذى استعان به لتنظيم الدعوة في مصر . ولا يبعد أن تكون دار الحكمة بالقاهرة من صنع يديه هو ، الأمر الذى يدل على نهوض الدعوة ورقياً في فارس ، حتى أصبح الخلفاء الفاطميون ، يعتمدون على جهود دعائهم الفرس ، في النهوض بالدعوة في مصر نفسها . يقول الداعى إدريس<sup>(٤)</sup> : « ثم إن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله

(١) رسائل فلسفية لأبى بكر الرازى (جمع ونشر الأستاذ بول كراوس) : ص ٧

(٢) انظر كتابنا « المشكلات الكبرى في تاريخ الفاطميين » .

(٣) Hamdani : Some Unknown Ismaili Authors (J. R. A. S. 1933), p. 372.

(٤) رسائل فلسفية للرازى (جمع ونشر الأستاذ بول كراوس) : ص ٨ — ٩ .



- سلام الله عليه - بعد أن أعرض عن أهل دعوته ، وأغلق عنهم أبواب رحمته ، جزاء بما كسبت أيديهم ، وعملًا بمقتضى الحكمة فيهم ، ليعتصموا بذلك ، فيتميز المؤمنون بالإخلاص ، ويبقى المنافقون في الحيرة<sup>١</sup> والانتكاص ، نظر إليهم نظرة أنعشتهم بها من الخنول ، وأفاض عليهم من فضله وكرمه المأمول ، وفتح عليهم أبواب علومه وحكمته ، وأسجل لهم سجل رحمته ، ونصب ختكين<sup>(١)</sup> الضيف في الدعوة ، لهداية أولى الشك والارتياب ، إفادة من هداه الله بقدر الاستحقاق والاستيجاب ، ولقبه بالصادق والداعي ، حميد الدين أحمد بن عبد الله ، وهو أساس الدعوة التي عليه عمادها ، وبه علا ذكرها وشأنها ، واستقام منارها ، وبه استكانت المشكلات ، وانفرجت المعضلات .

ومن الغريب أن جهود الكرماني في مصر لم تكلل بالنجاح ، فلم يتم له التقلب على دعاة الدرزية ، الذين علا مركزهم في مصر والشام ، وعاونهم الحاكم معاونة فعالة ، ونال أنصارهم من يؤلهون الحاكم شيئاً غير قليل من النجاح . ولا يهمننا هنا أن تتبع حركات هؤلاء الدرزية ، وإنما يهمننا أن نقول : إن هؤلاء الدعاة جميعاً كانوا من الفرس ، وإن حركة المدرسة الدرزية ، والمدرسة الحميدية الكرمانية ، حركات خارجية وفدت على مصر ، وإن بلاد الفرس كانت مصدراً خصباً لهذه الحركات الإصلاحية ، وتلك الحركات الهدامة .

**NABIL - BAKR**

(١) وكان قد تولى الإدارة في دمشق حيناً من الزمن .



على أن مدرسة الكرماني أنجبت مدرسة أخرى ، كان بطلها الأول ،  
الداعي الفارسي ، المؤيد في الدين ، هبة الله الشيرازي (٧٠ هـ) . وكانت  
بلاد فارس الجنوبية الغربية ، منطقة النفوذ الحيوي لتلك المدرسة ، حتى  
كان الإسماعيلية هناك يكونون مجتمعاً إسماعيلياً خالصاً ، فكانوا يرجعون  
في أمورهم إلى داعيهم الأكبر ، أو بعبارة أخرى « كانوا يتخذون المؤيد  
أباً لهم وأخاً وصاحباً ، واتخذوه الكل سراً ومفضلاً في كل شيء » (١) .

وكان من برامج الإسماعيلية هناك ، من قديم ، التأثير في البويهيين ،  
حتى كان المؤيد نفسه يقول : « إن هذا الأمر الذي أتولاه (٢) ،  
ما أنا أبدعته ، ولا في أيامي أحدثته ، فإنه قديم نقضت عليه السمون ،  
واندرج في معرفته ومشاهدته الملوك . ولوعلم أنه يوقع ملكاً ، أو يحدث  
فساداً ، لما نامت عيون خول بني بويه عن إحالته وتغييره ، وقصر بابه  
وقص أظافره ، ولما كان أكثرهم يؤثرون ديننا لنفسه » (٣) .

والحق أن المدرسة الإسماعيلية المؤيدية ، أخذت على عاتقها في القرن  
الخامس الهجري ، جذب ملوك بني بويه وأمرائهم ، وبخاصة الملك أبا  
كاليجار ، إلى الفاطميين ، فإن هذا السلطان ، وقد أدرك تقرب العباسيين  
من السلاجقة ، عزم على تغيير سياسة البويهيين التقليدية ، التي كانت تحتم  
عليهم النفور من الفاطميين ، خوفاً على نفوذهم . ومن ثم اتخذ من الداعي

(١) المؤيد : السيرة المؤيدية (مخطوط) : ورقة ١٣ .

(١) أي الدعوة الإسماعيلية .

(٢) المؤيد : السيرة المؤيدية (مخطوط) ، ورقة ١٥ .



الإسماعيلي المؤيد الشيرازي ، واسطة بينه وبين الخليفة الفاطمي المستنصر . يدل على ذلك ماورد في رسالته إلى المؤيد ، وهو في مصر سنة ٤٤٠ هـ ، حيث يقول له : « ولا شك أنك تتذكر ما كنت تبذله عند كونك بحضرتنا ، من التوصل إلى تمهيد المودة بيننا ، وبين تلك الجهة المحروسة ، أى الخلافة الفاطمية في مصر ، والتطرق إلى أن يأتينا منها في الفينة بعد الفينة المكتتب والرسائل ، التي يتحكم بها الوداد ، وبمكانها يبدو خلوص الاعتقاد <sup>(١)</sup> .

ولو لم يكن لتلك المدرسة المؤيدية من عمل سوى جذب البويهيين إلى الفاطميين ، لعد هذا نفرا دونه أى نفرا ؛ ولا غرو فقد انزعج العباسيون من جراء نجاح المؤيد ومدرسته ، فحاولوا القبض عليه ، وهددوا البويهيين بالسلاجقة ، وكانوا يقولون للبويهيين : « لأنه إن كانت دعوة تعزى إليهم <sup>(٢)</sup> في الأزمان المتقدمة ، فلقد كانت في الخفاء والستر ، مثل حبيبات الصدور ، ومكنونات القلوب ، وإن أحدا ماجسر على مثل ما جسر عليه هذا الرجل <sup>(٣)</sup> الفاعل الصانع ، من الوقوف في بعض مواقف إظهاره وإشهاره ، والتجرد لرفع معالم ذكرهم ، بالصلاة والخطبة ، وإزالة أساميها بالكلية ، وأنه إذا سوح في بابه ، وأهمل الاستيثاق منه ، وتسليمه في يد صاحبنا ، أى سفير العباسيين عند البويهيين ، فقد أخرجتمونا من عهدة

(١) المؤيد : السيرة المؤيدية (مخطوط) : ورقة ١١٥ .

(٢) أى إلى الإسماعيلية : أتباع الفاطميين

(٣) أى المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ، داعي الفاطميين في فارس .



الآيمان والعهود بيننا وبينكم ، وأحوجتمونا إلى استنصار من ينصرنا عليكم ، يعنى التركانية (١) ، . وهكذا لم يخرج المؤيد من شيراز إلى مصر ، حتى كان قد ربط بين البويهيين والفاطميين .

وما تجدر ملاحظته ، أن مصر ظلت كعبة الدعاة يحجون إليها ، لينعموا بمشاهدة إمامهم بالقاهرة ، فكما أن السكرمانى قصد القاهرة في عهد الحاكم ، وكما أن القاهرة كانت مستقرا لدعاة الدرزية الغلاة ، كذلك فتحت القاهرة ومدارسها أبوابها للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازى . ونعتقد أنه ما قصد إلى مصر إلا ليربط أواصر المودة بين الشرق والغرب ، أو بالأحرى بين الفاطميين والبويهيين من جهة ، وينظم شئون الدعوة في تلك البلاد من جهة أخرى ، كما نظمها السكرمانى من قبل .

على أن المؤيد الذى كان يمثل الناحية الروحية من الدعوة الإسماعيلية ، أفاد الدولة الفاطمية قائدة ذكر ، فقد استطاع بلباقته أن يوحد بين بلاد العراق ومصر حينئذ من الزمن ، وأن يثير أمراء العراق على طغربك السلاجوقى والعباسيين ، فينضوى هؤلاء الأمراء جميعاً تحت راية أبى الحارث البساسيرى ، باذنين جهودهم رخيصة في سبيل القضاء على الدولة العباسية ، وإحلال الدولة الفاطمية محالها . وقد استطاع المؤيد - سفير مصر عند هؤلاء الثوار - أن يكون جهة قوية أوقعت الهزيمة بالسلاجقة في سنجار - على ما رأينا - تلك الموقعة التى قيل فيها : وهى الواقعة المشهورة التى ظفر فيها البساسيرى ، وقال فيها الشاعر :

(١) أى السلاجقة . المؤيد : السيرة المؤيدية : ورقة ٩٥ - ٩٦ .



عجبت لمدعى الآفاق ملكا      وغايته ببغداد الركون  
ومن مستخلف بالهون يرضى      يزداد عن الحياض ولا يزود  
وأعجب منهما سيف بمصر      تقام به بسنجان الحدود (١)

واستطاع أيضا أن يثير بعض التركمانية السلاجقة على طغرلبك ، حتى لقد ثار عليه أخوه ، وكاد يوقع به الهزيمة ، وبفضل جهود هذا الداعي الإسماعيلي ، استطاع البساسيري ومن معه من العرب ، الظفر بالخليفة العباسي ، فأسقطوه من فوق عرشه ، وخطبوا للمستنصر الفاطمي في العراق عاما كاملا ( ٤٥٠ — ٤٥١ هـ ) . ولو ظلت الحالة المالية عند الفاطميين قوية سليمة ، ووالى الفاطميون إرسال المدد إلى البساسيري ومن معه ، ولو أطاع الفاطميون الداعي المؤيد الشيرازي ، وأمدوا إبراهيم بن ينال ، أخا طغرلبك ، بالمال والرجال ، لو حدث هذا كله ، لتغير وجه التاريخ في العالم الإسلامي عامة ، وفي بلاد العراق وفارس خاصة .

وبهذا نرى أن الدعوة الإسماعيلية ورجالها في فارس ، كانوا من أكبر أعوان الدولة الفاطمية ، فها هو المؤيد الشيرازي وتلامذة مدرسته ، يعملون على جذب البويهيين إلى الدولة الفاطمية ، فلما أخفقوا وهاهم زوال البويهيين على يد طغرلبك السلجوقي ، بذل الداعي المؤيد ما فوق طاقته ، في سبيل قلب الدولة العباسية ، وإحلال الدولة الفاطمية محلها ، وعلى

(١) ابن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ٤٤ . ومن هذه الأبيات نرى ضعف الخلافة العباسية ، فقد رضى خلفاؤها بالذلة والاستكانة ، واستلب غيرهم منهم نفوذهم ، وعلى عكس ذلك يفخر الشاعر بالخليفة الفاطمي ونشاطه ، لأن المستنصر أخذ يدير المعركة الحربية ضد العباسيين في العراق ، وهو باق بمصر .



الرغم من أنه لم يحقق غرضه كاملا ، فإنه استطاع بلباقته ودهائه أن يصد السلطان طغرلبك عن بلاد الشام ومصر ، ولا غرو فقد « نفذت كتيبه إلى خراسان وبلاد الترك ، يستنفر الناس خفافا وثقالا ، حتى حشد من الحشود الجم الغفير ، والعدد الكثير ، وألقى بين عينيه عزمه ، وجعل مقصده الشام ومصر همه » (١) .

ولا نستبعد أن يكون لتلك الرسالة الحكيمة التي بعث بها المؤيد إلى الكندي وزير طغرلبك ، أثرها في امتناع هذا السلطان عن غزو مصر ، فقد حاول المؤيد أن يستميل طغرلبك إلى الفاطميين ، ويقرب شقة الخلاف بين السلاجقة وبينهم ، فأخذ يشيد بالفاطميين ويضع بالعباسيين ، وكان يأمل من وراء ذلك أن يصد هؤلاء السنيين عن الشام ومصر من ناحية ، ويجعلهم يخضعون للمستنصر الفاطمي من ناحية أخرى ، غير أنه إن كان قد أحقق في جذب طغرلبك إلى سادته الفاطميين ، فقد نجح في صده عن الشام ومصر .

على أن جهود هذا الداعي الفارسي ، لم تقف عند ذلك الحد ، فقد قدر الفاطميون له صنائعه الكبرى في كل من فارس والعراق — وأدرك الخليفة المستنصر ، بعد لآي ، أنه أليق الناس لرياسة الدعوة في مصر ، وبخاصة لما عرف عنه من إخلاص للدعوة والمستنصر نفسه . يدل على تقدير المؤيد للمستنصر ، وتقدير هذا الخليفة له ، تلك الآيات التي بعث بها للمستنصر ، ورد هذا عليه . يقول المؤيد :

أقسم لو أنك توجتني بتاج كسرى ملك المشرق .



ونلتنى كل أمور الورى  
وقلت : لا نلتقى ساعة  
لأن إبعادك لى ساعة  
وقد رد عليه المستنصر بقوله :

يا حجة مشهورة فى الورى  
شيعتنا قد عدموا رشدهم  
فأشهر لهم ما شئت من علمنا  
إن كنت فى دعوتنا آخرا  
وطود علم أعجز المرتقى  
فى الغرب بإصاح وفى المشرق  
وكن لهم كالوالد المشفق  
فقد تجاوزت مدى السبقت  
من سائر الناس ولا نبقى (٣)

كما أوقف المؤيد نفسه وقلبه على الدعوة . فأصبح مصدرا لعلوم  
المذهب لا ينضب معينه ، ولذلك عمل من جانبه على بث مبادئ المذهب  
الفاطمى ، ونشرها فى كافة دجزر ، الدعوة الإسماعيلية ، وبخاصة فى بلاد  
اليمن ، فأبقى بجانبه لأمك بن مالك . داعى هذه الجزيرة الإسماعيلية ،  
وما زال معه يعملان على نقل ما أنتجته قرائح علماء الإسماعيلية الأوائل ؛  
« فانتقل أدب الدعوة الإسماعيلية إلى اليمن عن طريقهما » . هذا وقد اتخذ  
المستنصر أداة اتصال بينه وبين المسكرم ، ملك الصليحيين ، وغمره باللقاب  
الفتخمة ، التى تدل على مدى تقدير الفاطميين لهذا الداعى ، انظر المستنصر

NAJIM ALGASRI

(١) الفود : جانب الرأس مما يلى الأذنين . والمفرق وسط الرأس .

(٢) الدكتور محمد كامل حسين : رسالته للدكتوراه ، ورقة ٥٤ .

(٣) سجلات المستنصر ص ٣٠٨ .



يصفه للسكرم الصليحي بقوله : « إنه الشيخ الأجل ، داعي الدعاة ، المؤيد في الدين ، عصمة المؤمنين ، صفي أمير المؤمنين ووليه ، أبو نصر هبة الله ابن موسى ، سلمه الله ، وأحسن توفيقه وتسديده » (١) .

وقد شعر المؤيد بسمو مركزه في عالم الدعوة الإسماعيلية وبخطورة الدور الذي قام ويقوم به فيها ، فشبه نفسه بسلطان الفارسي ، الذي يدعى الإسماعيلية أنه كان اليد اليمنى لعلي بن أبي طالب . فجعل يقول :

لو كنت عاصرت النبي محمدا ما كنت أقصر عن مدى سلطانه  
ولقال : أنت من أهل بيتي معلنا قولاً يكشف عن وضوح بيانه (٢)

وبعد ، فإن المؤيد الشيرازي يعتبر صورة صادقة لأنصار الدعوة الإسماعيلية الخالص من الفرس خاصة ، كما أن حركته ، والحالة هذه ، استمرار لتلك الحركات القويمة ، التي قام بها أستاذه السكرماني . وتلك التي قام بها أنصار الحاكم - الدرزية - وكانوا جميعاً ينظرون في حركاتهم هذه إلى أمتهم في مصر ، نظرة إجلال وإكبار ، ويتخذون القاهرة وقصور الخلفاء كعبة يحجون إليها ، وكل هذا يدل على الانسجام التام بين الفاطميين في مصر وأتباعهم الإسماعيلية في فارس ، ويدل في الوقت نفسه على أن النهضة الثقافية الإسماعيلية في بلاد فارس ، كانت مزدهرة في القرنين الرابع

(١) سجلات المستنصر ص ٢٢٤

(٢) زهر المعاني للداعي إدريس (ترجمة ونشر الدكتور حسين الهمداني)  
في المجلة الآسيوية الملكية ، سنة ١٩٣٢ م ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .



والخامس ، فكان لهذا أثره في تلك الحركة التي سيقوم بها الحسن الصباح ، في أواخر القرن الخامس الهجري ، وأوائل القرن السادس .

وليس من شك في أن تأثير المدرسة الجيسدية (١) ، والمدرسة المؤيدية (٢) ، كان عظيما في بلاد فارس الغربية ، مما جعل نشر الحسن الصباح الدعوة في إقليم قوهستان - غرب فارس - سهلا ميسورا . غير أن أهم المدارس الإسماعيلية التي كان لها أعظم الأثر في حياته ، هي المدرسة الناصرية (٣) ، فإن مؤسسها ناصري خسرو (٤٨٠ هـ) ، زار مصر في سنة ٤٣٩ هـ ، وحج إلى مكة أربع مرات ، وخرج من مصر في سنة ٤٤٣ هـ ، ووصل إلى خراسان في سنة ٤٤٤ هـ . وعلى الرغم من تشكك كثير من المؤرخين في الدوافع التي دفعت ناصري خسرو إلى زيارة مصر ، وتشككهم كذلك في اعتناقه المذهب الإسماعيلي قبل اتجاهه نحو الغرب ، على الرغم من هذا كله ، فلسنا نشك في أن ناصري خسرو كان إسماعيلي المذهب قبل مجيئه إلى مصر ، وأن الدافع الذي دفعه إلى زيارة تلك البلاد ، هو الرغبة في الاستزادة من العلم والمعرفة ، وإتمام الإلمام بأصول المذهب الإسماعيلي ، عن طريق مدارس الدعوة بالقاهرة ، وعن طريق أستاذه وإمامه المستنصر الفاطمي .

ونريد أن نقول : إنه لا يبعد أن تكون هيئات الدعوة في الجزائر ، الإسماعيلية المختلفة قد عملت على اكتشاف نوابع الدعوة ومخلصهم ، وأخذت

(١) نسبة إلى حميد الدين الكرمانى (٤١١ هـ) .

(٢) نسبة إلى المؤيد في الدين ، هبة الله الشيرازى (٤٧٠ هـ) .

(٣) نسبة إلى ناصري خسرو ، «حجة» المستنصر في خراسان (٤٨٠ هـ) .



تنتقى أكثرهم لياقة لأن يلى الرئاسة، وتبعث بهم إلى مصر لتلقى دروس الدعوة في الناحيتين العملية والنظرية . وسنرى الحسن الصباح يفد إلى مصر بعد أن رشحته رئاسة الدعوة في خراسان لهذا الأمر .

والذى لا يشك فيه أحد أن أبا معين الدين ، ناصرى خسرو، خرج من مصر في سنة ٤٤٣ هـ . وهو يعتنق المذهب الإسماعيلي . ويقوى عقيدتنا في أن ناصرى خسرو، كان إسماعيليا مشهوراً قبل رحلته إلى مصر، أنه لم يعمد وهو في طريقه إليها إلى الاختلاط بالحاج السنين ، بل كان يتلانى الاقتراب منهم ، ويسلك طرقاً أخرى غير تلك التى كانوا يسلكونها ، ولا بد أنه كان يفعل ذلك حتى لا يفتضح أمره . وثمة شىء آخر، هو أنه اتجه نحو مصر والشام ، ولحاج فارس وخراسان طرق أخرى غير طريق سورية ومصر، مما يدل على أن ناصرى خسرو كان يقصد مصر وحدها، للاتصال بإسماعيليتها، وبخليفتها المستنصر نفسه . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، استقبل الخليفة المستنصر ناصرى خسرو في القاهرة استقبالا رائعا، فبم نفس هذا ؟ أليس في ذلك العمل الدليل القاطع على اعتناق ناصرى خسرو المذهب الإسماعيلي قبل وفادته إلى مصر ؟

وأما الأثر الذى تركته زيارة هذا الزعيم مصر، فيتضح من أنه بقى فيها مدة طويلة، (٤٣٩ — ٤٤٣ هـ) فبم نفس بقاءه هذه المدة ؟ لا يخال لنا شك فى أن ناصرى خسرو إنما بقى فى مصر هذه المدة ، لارتشاف مبادئ المذهب الإسماعيلي من مناهله الحقيقية ، والتعمق فى أصول هذا المذهب ، وإذن أفاد ناصرى خسرو من بقاءه فى مصر فائدة كبرى ، فتضلع فى عقائد



## المذهب الإسماعيلي .

وأهم أثر لرحلته أن المستنصر عينه «حجة» على خراسان و«بادخشان» ،  
 في أواسط آسيا ، ووظيفة «الحجة» <sup>(١)</sup> من أكبر الوظائف بين رجالات  
 الدعوة الإسماعيلية ، حيث يتمتع صاحبها بالنفوذ المطلق في جزيرته  
 أو بحره — ولكنه في الوقت نفسه يتعرض لخطب السنين . وهكذا  
 عاد ناصري خسرو إلى خراسان ، وأوقف حياته على الجدل المذهبي ،  
 وبث الدعوة الإسماعيلية للمستنصر ، وهو يعلم أن الوسط الذي يث  
 الدعاية فيه سني متعصب ... وهو يعلم فوق هذا أن الدعاية للفاطميين ،  
 وعلى رأسهم المستنصر ، في خراسان ، مما يغيظ الخليفة العباسي في بغداد ؛  
 فإنه ينفس على الفاطميين ما هم فيه من سلطان ، وما هم عليه من قوة ،  
 وإنه لينضب على كل من يعمل لهم في بلاده ، فإذا غضب الخليفة على  
 شخص لا يملك المقاومة ، فقصيره إلى الهلاك ، ويلقى في حياته أشد  
 العذاب ، وأنه ليعلم أن كيد الحاكمين عظيم . ما كان هذا ليهرب ناصرا  
 أو يصرفه عن عقيدته <sup>(٢)</sup> .

وبهذا نرى أن ناصري خسرو كان بعد عودته من مصر يدعو إلى  
 الخليفة المستنصر في طبرستان ، تلك البلاد التي كانت ملاذ النازية بعد  
 ذلك . وتبعه جماعة من الطبرستانيين . وقد أثار ذلك عليه عاصفة من  
 حقد السنين ، فاضطر إلى الفرار إلى نيسابور ، ولكنه لما وجد  
 استحالة بقاءه فيها ، قرر الفرار إلى بلاد ما وراء النهر ، في أعلى جيحون .

(١) نيابة الإمامة .

(٢) يحيى الخشاب (دكتور) : رحلة ناصري خسرو ، (رسالة) ورقة ٣ .



وقد بقي لليوم هناك جماعة من الإسماعيلية، يدينون له بالتقديس، ويسمون الناصرية. يقول برارن<sup>(١)</sup>: «لأنه حين حاول أعداؤه القضاء عليه في نيسابور، فر إلى مرتفعات سميجنان Simignan في أعالي جيحون، وبقي هناك عشرين سنة، يأكل العشب، ويشرب الماء القراح».

وتذكر بعض المصادر أن الذي عينه على بادخشان هو المستنصر على أن هذا لا يمنع أن يكون المستنصر قد عينه حجة على خراسان وبادخشان معا، لقربهما من بعضهما البعض، فلما أستحال عليه البقاء في خراسان، فر إلى بادخشان. يقول ناصري خسرو عن نفسه: بعد أن عوملت خير معاملة بمصر، عينت داعيا لدعاة خراسان، وبعد ذلك بقيت مدة في قصر مولانا المستنصر، وقد دعا الإمام ذات مرة حججه ودعائه... وحين نظر مولانا إلى ناحيتي، امتلأ قلبي نوراً، وأغنى علي، وقال لي برفق: يا سيد ناصر! قد عينتك حجة لبادخشان، والله يساعذك. فقبلت الأرض في خشوع، وأخذت عنه التعاليم، ثم قصدت بادخشان عن طريق بلخ<sup>(٢)</sup>.

ويهمنا هنا أن نقول: إن ناصري خسرو قد مهد السبيل للنازية، فلما عهد المستنصر للحسن الصباح برياسة الدعوة في بلاد خراسان وفارس، وجد هذا الزعيم الجديد الطريق ممهدة له. وأين وجدت الدعوة طريقها إلى قلوب أهالي تلك البلاد، منذ أيام عبيد الله المهدي، الذي استجاب له خلق كثير، ومنهم بعض أمراء السامانيين، فإننا نرى هذه

(١) Nasiri Khosrow (J. R. A. S. 1905), p. 329

(٢) Schefer: Hist. de l'Asie Centrale, pp. 255 — 6



الدعوة نفسها ، وقد نشطت نشاطا كبيرا في تلك البلاد في عهد المستنصر . حقيقة تعرض الإسماعيلية هناك لكثير من الاضطهادات على يد السنيين ، وبخاصة في عهد السلطان محمود الغزنوى (٣٩٨ — ٤٢٤ هـ) ، غير أن الدعوة لم تلبث أن استعادت نشاطها ، وأعلن الإسماعيلية هناك الثورة الصريحة على الخلافة العباسية ، ونادوا بإمامة الخليفة المستنصر الفاطمي ، وبخاصة في بلاد ماوراء النهر ، متميزين بعد تلك البلاد عن بغداد من جهة ، وانتشار المذاهب الإلحادية فيها من جهة أخرى .

والحق أن الدعاة الإسماعيلية قبل الحسن الصباح ، وجدوا مبتغاهم في تلك البلاد الشرقية ، وكادوا ينجحون في إثارة أهلها على العباسيين ، لولا نشاط واليها العباسي . يقول العيني<sup>(١)</sup> : «إن صاحب ماوراء النهر السني ، أوقع بجمع كثير من الإسماعيلية ، وذلك أن نفرا منهم قصدوا ماوراء النهر ، ودعوا إلى طاعة المستنصر العلوى ، صاحب مصر ، وتبعهم جمع كثير ، وأظهروا مذاهب أنكرها أهل تلك البلاد ... فأوقع بهم ، وسلبت تلك البلاد منهم » . وإذن كانت هذه البلاد وغيرها من بلاد المشرق ، على قدم الاستعداد للثورة في سبيل المستنصر ، أو قل في سبيل نشر الدعوة الإسماعيلية ، الأمر الذي ساعد النزارية على النجاح فيما بعد ، وبعبارة أخرى ، كان هؤلاء مثالا احتذاه الحسن الصباح وخلفاؤه ، في الثورة على العباسيين والسلاجقة . من هذه الكلمة السريمة نرى أن بلاد فارس وخراسان كانت تعج بأنصار الدعوة الإسماعيلية ، وأن الظروف جميعها كانت مهيئة لتقبل

(١) العيني : عقد الجمان (مخطوط) ج ٢٠ ورقة ٤٠ .



مبادئ الحسن الصباح ، ونرى أيضا أن الفاطميين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في تلك البلاد ، مما يحدونا إلى الاعتقاد بأن عهد المستنصر الفاطمي كان حافلا بجلال الأعمال ، فقد بذرت فيه بذور دولة النزارية في فارس وخراسان ، وقامت الدولة الصليحية في أقصى الجنوب باليمن ، وامتد نفوذ المستنصر وأبنائه من بعده ، في اليمن والحجاز والبحرين وعمان والهند بفضل دولة الصليحيين . وكذلك راجت الدعوة في عهد هذا الخليفة ، ليس فقط في بلاد فارس وخراسان ، بل توغلت في قلب آسيا ، حتى وصلت إلى بادخشان وهضبة التبت نفسها ، مما يدل على أن جغرافية الدعوة الإسماعيلية في عهد هذا الخليفة ، كانت أكثر اتساعا من جغرافية الدولة بكثير ، وقد ساعد هذا الانتشار الحسن الصباح على النجاح .

## الباب الثاني

### الحسن الصباح منذ نشأته حتى إعلانه الاستقلال عن الفاطميين

تطورت حياة الحسن الصباح تطورات عدة ، تل كلها على حالة التقلقل الديني ، الذي كان سائداً في خراسان وفارس في القرن الخامس الهجري ؛ فقد نشأ الحسن في بيت عريق في التشيع ، ولكنه تعلم في مدارس السنين ، وتفقه في عقائدهم ، ومع ذلك ظل على عقيدته الاثنا عشرية . ويظهر أن صراعاً عنيفاً بين الإسماعيلية والاثنا عشرية ، كان يسود فارس وخراسان ، ويظهر كذلك أن الغلبة كانت للعنصر العملي منهما وهم الإسماعيلية ، ومن ثم كان انضواء الحسن الصباح الاثنا عشرى تحت لواء الإسماعيلية العمليين ، ثم حمل على كتفيه نشر دعوتهم في بلاد المشرق ، حيث عين داعياً إسماعيلياً .

ولم تكتف رياسة الدعوة الإسماعيلية المحلية في فارس وخراسان بذلك ، بل أعدته للذهاب إلى مصر . وقد نال هناك إعجاب الخليفة الفاطمي المستنصر ( ٤٢٧ — ٤٨٧ هـ ) ، فعينه « حجة » على خراسان ، فحل بتعيينه هذا محل ناصرى خسرو ، غير أنه أخذ يدعو للمستنصر بعد عودته ، فلما مات هذا الخليفة لم يشأ أن يعترف لابنه المستعلي ( ٤٨٧ — ٤٩٤ هـ ) بالإمامة أو الخلافة ، ونادى بإمامة نزار بن المستنصر ( ٤٨٨ هـ ) ،



وأثارها حرباً عاصفة على الفاطميين في مصر والشام وفارس وخراسان ، واستقل بدعوته الجديدة في كثير من دبحار ، الدعوة القديمة .

## ١ - نشأة الحسن الصباح

ولد الحسن الصباح في مدينة الري . سنة ٤٤٤ هـ ( ١٠٥٢ م ) ، على ما يقوله بعض<sup>١</sup> ، أو في سنة ٤٤٥ هـ ، على ما يقوله بعض آخر . وهو الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسن بن محمد الصباح ، ولا نذكر في أنه ولد في بيت عربق في التشيع ، ولكن الذي نشك فيه ما يدعيه بعض<sup>٢</sup> من أنه ينتمي إلى سلالة ملوك التبايع . ومهما يكن من شيء فإن جماعة من العلماء يرون أن آباء الحسن الصباح وفدوا على الري من بلاد العراق . على أن هناك جماعة آخرين يرون أن آباء الحسن وأجداده كانوا من أهالي تلك البلاد التي ولد فيها الحسن ، أي أنهم كانوا رازيين .

وسواء لدينا أكان والد الحسن عراقياً أو رازياً ، فقد كان يدين بعقائد الاثنا عشرية ، الغلاة منهم خاصة ، كما كان يدين بالاعتزال والغلو في التشيع ، وكان التشيع والاعتزال يعتبران في ذلك الحين وصمة وسبة . وقد أخذت الشكوك تحوم حوله ، لأن والي بلاد الري السلاجوقي ، كان سنيا مغرقاً في سنيته ، كما كان شديداً على الملحدين والمبتدعين ، ومن ثم ألجأته صرامة هذا الوالي ، إلى الانكماش والازدواء في صومعة يتظاهر فيها بالتعبد . وعلى الرغم من هذا كله . لم تنطل تلك الحيل على أهالي الري ، وظلوا على عقيدتهم في إلحاد علي بن محمد ، والد الحسن الصباح ، فكانوا ينظرون إليه على أنه زنديق مرة ، وكافر مرة أخرى . وهكذا ،



لما ولد الحسن ترعرع في بيت شيعي ، تحوم حوله الشبهات ، فكان لهذا أثره في مجرى حياة تلك الشخصية الفذة .

نشأ الحسن الصباح - إذن - اثنا عشرية وأهل بيته ، كما نشأ في جو عاصف ملاء السنون بالبعض والشك ، ولم يستطع هذا الصبي هو وأبوه أن يؤديا شعائر مذهبهما في صراحة ويسر ، بل كان لابد لهما من اللجوء إلى التقية التي برع الشيعة فيها ، فأرسل الوالد ابنته ، الحسن ، إلى مدينة نيسابور (١) ليأخذ العلم على الموفق النيسابوري ، أحد نبغاء العلماء السنيين في ذلك الحين ، وبخاصة في التفسير والحديث . ومعنى هذا أن تعلم الحسن أصول المذاهب السنية لم يكن مقصودا في ذاته ، وإنما كان ذرا للرماد في العيون . ويدل هذا على مدى ما كان يلاقيه الشيعة المخلصون لمذهبهم ، من العنت على يد السنيين .

ومن الغريب أنه ورد في كتاب « ساراجوزاشت سيدنا » الذي تناول سيرة الحسن الصباح ، أن نظام الملك ، وزير السلطان ملكشاه وأبيه ألب أرسلان من قبل ، وعمر الخيام ، (٢) الشاعر الفارسي المشهور ، كانا من زملاء الحسن الصباح في الدراسة ، وأنهم تناولوا العلم جميعا في وقت واحد ، على العالم السني الموفق النيسابوري . وقد أوضح الحسن في هذا الكتيب ميله إلى العلم وحب الاطلاع ، كما أوضح لنا أنه كان شيعيا اثنا عشرية ، وذكر أنه كان تلميذا للنيسابوري ، في وقت واحد ، مع

(١) نيسابور : أنظر المصور ، وهي من أشهر مدن خراسان .

(٢) عمر الخيام : من أشهر شعراء الفرس في القرن الخامس الهجري .



عمر الخيام ، ونظام الملك ، الذى وُزِرَ لطغرل بك ولابنه ألب أرسلان ، ثم للسلطان ملكشاه . ( + ٤٨٥ = ١٠٩٢ م ) .

ويبدو أن تلك القصة مفتعلة من أساسها ، وضعت لإظهار نبوغ الحسن ونزغته إلى الزعامة ، فهمى تقول : إن الحسن أخذ العهد على رفيقه بأن يساعد كل من وفق منهم زميله ، والذى دفع الحسن إلى ذلك ، ما أدركه من نجاح تلامذة الموفق النيسابورى . وقد اهتم نظام الملك بالمسائل السياسية ، ووزر لسلطين السلاجقة الثلاثة ، واهتم الخيام بالعلم والشعر .

وقد قصد الخيام نظام الملك ، وهو وزير فى عهد ألب أرسلان ، فلما عينه على ولاية نيسابور ، رفض ذلك ، وقيل منه معاشا سنويا ضججا طول حياته . أما الحسن الصباح ، فمن قائل : إنه ذهب إلى نظام الملك فى عهد السلطان ألب أرسلان (١) ، ومن قائل : إنه لم يذهب إليه إلا فى عهد السلطان ملكشاه ، لأنه يستطيع أن ينال كل ما يرغب فيه من ملك شاب ، مثل السلطان ملكشاه . على حين لا يستطيع تحقيق هذا من ملك مجرب ، مثل ألب أرسلان . والمهم أن الحسن الصباح حين ذهب إلى نظام الملك ، ذكره بالعهد الذى قطعه على نفسه ، وقال له : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » (٢) . فلما عرض عليه نظام الملك أن يوليه على إحدى الولايات الإسلامية ، أبى إلا الدخول

(١) المستوفى : تاريخ جوزيدة ( الترجمة ) ، ج ١ ص ١٨٧

(٢) سورة النحل ، آية ٩١ .



في خدمة السلطان ، وكان غرضه من ذلك ، قلب نظام الملك . والاستبداد بالوزارة دونه (١) .

ولا نستطيع أن نوافق على صحة هذه القصة ، لاختلاف السن بين الحسن ونظام الملك ، فإن الحسن الصباح ، ولد في سنة ٤٤٤ هـ أو ٤٤٥ هـ في الوقت الذي كان فيه نظام الملك قد جاوز الثلاثين بكثير (٢) . والمعروف أن نظام الملك أتم تعليمه في وقت مبكر ، ودخل الحياة السياسية في وقت مبكر كذلك ، أي في نفس الوقت الذي ولد الحسن الصباح فيه أو قبله بكثير (٣) .

ولذلك نستطيع أن تنفي من تلك القصة شطرها الأول ، وهو تلذذ الحسن مع نظام الملك والحيام ، ولا تنفي شطرها الثاني . وهو توظف الحسن في قصر السلطان ملكشاه ، لأنه لا يبعد أن يكون

(١) Dozy Essai Sur l'Hist. de l' Islamisme, p. 298.

(٢) Browne : Lit. Hist. of Persia vol. ii, p. 191

لأنه ولد في سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ، ولو فرضنا أن الحسن الصباح ذهب ليتعلم وهو في الثانية عشرة من عمره ، فإنه لا يعقل أن يكون نظام الملك تلميذا وقتئذ ، لأن عمره سيكون ٤٧ سنة تقريبا ، ولا يعقل أن يخضع من كان عمره ٤٧ سنة ، إلى طفل لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره .

(٣) أحمد بن عمر النضائي السمرقندي : كستاب جهار مقالہ (ليون سنة



الحسن قد دخل في خدمة السلطان ملكشاه أو أبيه ، وفعل ما فعل ، كما سنرى (١) .

نستنتج من هذا كله أن الحسن الصباح كان تلميذا مع التلاميذ السنيين ، وموظفا مع الموظفين السنيين كذلك ، غير أنه كان شخصا موها ، لذلك لا نستبعد عليه أن يفكر في الوزارة نفسها . ويسمى لقب نظام الملك . ويظهر أن الحسن الصباح اشتغل في ديوان السلاجقة في عهد السلطان ألب أرسلان ، ثم في عهد ابنه السلطان ملكشاه ، وكان غرضه ، كما سبق القول ، أن يصل إلى الوزارة ، ولم يستطع بالطبع أن يحاول تلك المحاولة الجريئة ، في عهد السلطان المجرب ، ألب أرسلان ، لصغر سنه هو ، ولأنه ، كما يقول فون مهر (٢) ، لا يستطيع أن يحقق أمنيته هذه على يد رجل مجرب كالأب أرسلان ، وإنما يستطيع تحقيقها كاملة في عهد ابنه الشاب ، السلطان ملكشاه .

والحق أن نفوذ الحسن الصباح ، في ديوان السلاجقة كان عظيما حقا ، وبخاصة في عهد السلطان ملكشاه ، الذي كان يستشير في كل شيء ، ويتباحث معه في جميع الأمور ، كما كان الحسن نفسه يخبره بكل شئون

(١) والغريب حقا أن ترد هذه القصة في كتاب «ساراجوزشت سيدنا» ، إلا أنه لا يبعد أن تكون مدسوسة على الحسن نفسه : وأن من وضعها خلط بين نظام الملك وبين أنوشروان بن خالد ، وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، الذي ألفت كتابا ذكر فيه أنه تعرف في شبابه ، وتناول العلم مع رجل من الرى ، كان رحالة كتابا ، ولا يبعد أن يكون هذا الكاتب هو الحسن الصباح ، على ما ذهب العلامة براون إليه ، في كتابه Lit. Hist. of Persia vol. ii, p. 192 ، خصوصا وأن مولد أنوشروان كان في سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م) ، ومن ثم يمكن أن يكون هذا الرجل زميلا للحسن الصباح في صباه .



الديوان ، وكان بدهائه يلقى كل لوم ، مهما كان صغيرا ، على الوزير نظام الملك . على أن هذه السياسة النفعية الهدامة قادت إلى حثفه بظلفه ، فأثارت عليه حقن الوزير نظام الملك ، الذي أخذ يسعى من جانبه في إقصاء الحسن الصباح عن ديوان السلاجقة ، حتى طرده منه ، فأزال بطرده ذلك الكابوس الخيف الذي كان يقض عليه مضجعه .

ويعتبر خروج الحسن الصباح من قصر السلطان ملكشاه ، من أكبر الأحداث في تاريخ هذا الرجل ، بل في تاريخ الإسماعيلية في تلك البلاد ، وإذن ما السبب الحقيقي الذي حدا للسلطان السلجوقي إلى طرده من ديوانه ؟ تكاد تجمع المصادر على أن طرده يرجع إلى مؤامرة دبرها له نظام الملك ، فإن السلطان ملكشاه ، حين طلب من نظام الملك أن يقدم له تقريرا عن ميزانية دولته ، عجز هذا الوزير عن تقديمه بالسرعة التي كان السلطان يرغب فيها ، وأظهر للملك أن هذا التقرير لا يمكن الفراغ منه إلا بعد عامين كاملين ، وهنا يتجلى ذكاء الحسن الصباح ودهاؤه ، فقد تحدى الوزير نظام الملك ، وتعهد للسلطان بانجاز التقرير في أربعين يوما لا غير ، على أن يجعل السلطان جميع سجلات الدولة وكتبها تحت يديه .

وقد أتم الحسن التقرير فعلا ورتبه ، في المدة المعينة ، فهت نظام الملك لهذا النشاط الفذ ، وخاف على مركزه وهيئته من الضياع ، لذلك أرسل كاتبه إلى كاتب الحسن الصباح ، وتمكن من إرشائه ، وإحضار التقرير . ولما لم تكن الأوراق مرتبة ترتيبا عدديا ، فان نظام الملك ألقى بها في وجهه كاتب الحسن ، مدعيا أنها خرافات ، ولما تناثرت الأوراق أخذ



الكاتب يلتقطها في غير نظام. فلما حان وقت تقديم السجل، وأدرك الحسن ما حل به، وهو يقدمه إلى السلطان، تعثر وتلعثم، فانتهر نظام الملك تلك الفرصة، وأخذ يرمى الحسن بالإهمال والجهل قائلاً: «إذا كان المرء جاهلاً ادعى أنه يستطيع إتمام التقرير في أربعين يوماً، على حين يعجز العلماء عن إتمامه قبل عامين، فحق السلطان على الحسن الصباح، وكاد يقتله، لولا حبه له، وتمكن الحسن أخيراً من الفرار، وتوغل في الإلحاد. وكان ذلك في سنة ٤٦٤ هـ = ١٠٧١ م (١).

على أننا لا نستبعد أن يكون خروج الحسن من قصر السلطان ملكشاه، إنما كان لإختلافه في العقيدة مع الوزير السني نظام الملك، فهذا الحسن الصباح، يدين بالمذهب الإسماعيلي، الذي كان قد اعتنقه قبيل طرده من ديوان السلاجقة. ويقال: إنه اعتنق هذا المذهب ولم يتجاوز السابعة عشرة، وطرده من ديوان السلاجقة، وعمره تسع عشرة سنة، وفي ذلك يقول المستوفي (٢): «لما أصبح الحسن حاجباً للسلطان. ابدلع لهيب الحقد والعداء الديني بينه وبين نظام الملك، لأن نظام الملك سنى وذلك شيمى».

وإذا علمنا أن نظام الملك كان يعمل دائماً على إقصاء غير السنيين، من الشيعة وسواهم، عن وظائف الحكومة، وكان يفخر دائماً بذلك، إذا علمنا هذا لا نستبعد أن يكون طرده الحسن من ديوان السلاجقة،

(١) المستوفي: تاريخ جوزيذة، ج ١ ص ٤٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ج ١ ص ٢١٠.



إنما كان بعد أن تأكد نظام الملك من تضلع هذا الرجل في عقائد المذهب الإسماعيلي ، ولا يبعد أن يكون نظام الملك قد أوغر قلب السلطان ملكشاه على الحسن بسبب ذلك أيضا . على أن هناك (أمرأ) آخر نراه في تعقب وإلى خراسان السني للحسن الصباح ، عقب خروجه من قصر السلطان ، واتهامه إياه بالاتصال بدعاة الفاطميين <sup>(١)</sup> .

والحق أن الحسن الصباح كان داعيا للفاطميين وهو في قصر السلطان السلجوقي ، وبعبارة أخرى كان الحسن داعيا لإسماعيليا ، ولم يكن قد تجاوز العشرين من عمره ، فلما خرج من ديوان السلاجقة ، انكب على الدعوة الإسماعيلية ، فأضحى علما من أعلام دعائها . ونستطيع إذن أن نقول : إن طرد الحسن الصباح من حكومة السلاجقة ، إنما كان لاشتهاره بالتفاني في سبيل المذهب الإسماعيلي ، واتصاله بدعاة الفاطميين ، وكذلك لظهوره أمام السلطان السلجوقي بظهر المهمل ، الذي لم يهتم بأوامر رؤسائه ، فكان هذا كله ، من أكبر الدوافع في طرده من ديوان السلاجقة .

## ٢ - اعتناق الحسن المذهب الإسماعيلي

نشأ الحسن الصباح اثنا عشرى المذهب ، وتضلع في علوم مذهبه ، وتفنن في طرق النقاش فيها . ويظهر أنه وصل إلى أعلى درجات حدود الدعوة الاثنا عشرية . ويظهر كذلك أن الصراع كان عنيفا ، في فارس وخراسان ، بين أنصار المذهب الاثنا عشرى وأنصار المذهب الإسماعيلي ،

(١) ابن خلدون : العبر (مصر سنة ١٢٨٤هـ) ، ج ٤ ص ٩٤



ولذلك كان الحسن كثير النقاش مع الدعاة الإسماعيلية ، وكان في قرارة نفسه يعترف لهؤلاء الدعاة بالمقدرة الكلامية والفكرية ، كما كان يعتقد أن الخليفة المستنصر لم يكن غير فياسوف على رأس جماعة من الفلاسفة ، الأمر الذي يدل على أن الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس ، كانت تميل إلى الناحية العلمية الفلسفية ، وأن الدعاة الإسماعيلية هنالك ، كانوا من العلماء أو الفلاسفة .

وكان تأثير الداعي الإسماعيلي « أمير صرَّاب » في الحسن الصباح عظيماً ؛ فقد شككه في عقيدته الاثناعشرية ، وقربه من المذهب الإسماعيلي ، حتى أنه حين مرض الحسن ذات مرة ، ندم على امتناعه عن اعتناق هذا المذهب ، وما أن شفي حتى أخذ في تعلمه على يد الداعيين الإسماعيليين ، أبي نجم السراج ، الذي أخذ يشرح للحسن عقائد الإسماعيلية شرحاً مستفيضاً ، حتى امتلأ قلبه بحب المذهب الإسماعيلي ، وعرف أسرارها ، ثم الداعي مؤمن Moumin وكان من دعاة عبد الملك بن غطاس (١) .

وقد تعمق الحسن الصباح في معرفة مبادئ المذهب الإسماعيلي ، والإمام بدقايقه ، حتى طلب من الداعي الإسماعيلي مؤمن أن يأخذ عليه العهد ، ولكن هذا الداعي رفض ذلك ، مدعياً أن مرتبته أقل بكثير من مرتبة تلميذه الحسن ! غير أن الحسن ما زال به ، حتى أخذ عليه العهد .

---

(١) مما يدل على احتدام المناقشة بين الاثناعشرية والاسماعيلية في شرق المملكة الإسلامية ، ومما يدل أيضاً على مقدرة الدعاة الإسماعيلية ، وتفوقهم في الجدل على أقرانهم الاثناعشرية . ولا غرو فقد كان لمدارس القاهرة أثرها في تخرج جماعات أوقفوا أنفسهم على الجدل والمقارعة والتأثير في سائرهم .



وفي سنة ٥٤٦٤ هـ (١٠٧١ م) ، وصل رئيس الدعوة الإسماعيلية بالعراق ، عبد الملك بن عطاش ، إلى أصفهان ، فسر بالحسن وأكرمه ، ولا غرو فقد قويت الدعوة في فارس بانضمام هذا الزعيم الموهوب إليها ، ولذلك اتخذهُ عبد الملك بن عطاش - مساعداً له ، وبعبارة أخرى جعلهُ داعياً للإسماعيلية في تلك البلاد ، ووثق به ، فأمرهُ بالذهاب بعد ذلك إلى مصر ليحظى بالإمام المستنصر (١) .

ويعتبر اعتناق الحسن الصباح المذهب الإسماعيلي ، (قبل سنة ٥٤٦٤ هـ) حدثاً كبيراً في تاريخ الدعوة الإسماعيلية بالشرق ، بل في تاريخ الاثنا عشرية في تلك البلاد . لأنه باعتناقه هذا المذهب ساعد على إضعاف مذهب الاثنا عشرية هناك ، وفي الوقت نفسه ساعد على رواج المذهب الإسماعيلي ، فقد حمل الحسن على كسفيه مهمة ترويج مذهبه الجديد ، وعينه ابن عطاش ، رئيس الدعوة بالعراق - العربي والعجمي - داعياً على أصفهان (٢) . ويظهر أن ذلك التعيين حدث قبيل خروج الحسن من وظيفته في ديوان السلاجقة بأصفهان ، فكان ، والحالة هذه ، داعياً فاطمياً ، وموظفاً في قصر السلاجقة السنيين في الوقت نفسه .

ويظهر أن الحسن الصباح ، ظل يقوم بالدعوة ، منذ أن اعتنق المذهب الإسماعيلي ، في نحو سنة ٥٤٦٢ هـ ، حتى سنة ٥٤٦٩ هـ (١٠٧٦٩ م) ، ولم يكن يستقر في مكان في تلك الفترة : فبينما تراه في أصفهان تارة ، إذا بك

(١) الجويني : جهان جوشا - ترجمة ديفريرى في ، 6 — Essai pp. 65

(٢) Browne : Lit. Hist. of Persia vol. ii, p. 203



تراه في بلاد الري تارة أخرى . وقد تعرض الحسن في تلك الفترة من حياته لهجمات عنيفة . كان يشنها عليه أبو مسلم ، صهر نظام الملك ، الذي كان واليا على الري .

ويصح الذهاب إلى القول بأن رئيس الدعوة في المشرق «ابن عطاش» كان يتمتع بالحسن ، ويدرس سلوكه ، فلما اتضح له أنه شخص موهوب ، عمل على ترحيله إلى مصر ، لينهل أصول الدعوة من مناهلها الحقة بمدارس القاهرة .

والذي نستطيع استنتاجه من ذلك ، ما ذهبنا إليه من قبل ، وهو أن الحسن الصباح كان في خدمة السلطان السلجوقي ، ألب أرسلان ، ثم السلطان ملكشاه ، وهو يدين بالمذهب الإسماعيلي ، وأنه كان قبل اعتناقه المذهب الإسماعيلي على شيء كبير من الشهرة المذهبية ، حتى رفض داعي الإسماعيلية Moumin ، مؤمن ، أن يعطيه العهد لسمو مكاتبه . وشيء آخر جدير بالاعتبار ، هو أن سيلا من دعاة الإسماعيلية ، كان يغمر بلاد فارس وخراسان ، وأن رئيس الدعوة هناك ، كان موطنه بلاد العراق ، وكان يزور البلاد الواقعة تحت نفوذه من آن لآن ، وكان كذلك حلقة الاتصال بين الفاطميين في مصر وأشياهم في خراسان وفارس . كما كان يتمتع بحق تعيين الدعاة الذين يثق بهم ، ثم ينتخب من يراه صالحا جريئا موهوبا ، للذهاب إلى القاهرة ، للتعمق في أصول المذهب الإسماعيلي هناك .

وأهم من ذلك كله ، ضعف المذهب الاثنا عشرى في خراسان وفارس أمام المذهب الإسماعيلي . يدل على ذلك اعتناق كثير من



المبرزين فيه المذهب الإسماعيلي ، حيث يستطيع هؤلاء أن يحققوا ما ربههم كاملة في ظله ، فلا يبعد والحالة هذه أن يكون اعتناق الحسن الصباح المذهب الإسماعيلي ، راجعا إلى رغبته في إشباع ميوله وأطماعه ، إذ يستطيع في ظله ، أن يدعو لنفسه تحت ستار الدعوة للإمام الإسماعيلي ، الظاهر أو المستور . وهذا ما نستطيع إدراكه من سلوك الحسن الصباح ، فقد استطاع أن يكون على رأس جماعة تخلص له ، ويدعى لها أنه « حجة » الإمام المستور من أبناء نزار بن المستنصر .

والذي لا يمكن تصديقه ما يدعيه بعض من أن الحسن الصباح كان أستاذاً لناصرى خسرو<sup>(١)</sup> ، كما لا يمكن تصديق ما ذهب بعض آخر إليه من أن الحسن تلميذ ناصرى خسرو لا أستاذه<sup>(٢)</sup> . فأننا نعلم أن الخليفة المستنصر الفاطمي ، عين ناصرى خسرو حجة على خراسان ، في سنة ٤٤٣ هـ أي قبل مولد الحسن الصباح بسنة واحدة ، ومن ثم لا يعقل أن يكون الحسن الصباح أستاذا لهذا « الحجة » ، أو حتى تلميذا له . أضف إلى ذلك ، أن مراجعنا الكثيرة تذهب إلى القول بأن الحسن الصباح أخذ أصول المذهب الإسماعيلي عن ابن عطاش<sup>(٣)</sup> ودعائه ، ولا يبعد أن يكون

(١) كتاب مستطاب در حقيقت مذهب إسماعيلي ، ص ١٠ .

(٢) حيث يقول بروان Lit. Hist. of Persia vol. ii, p. 251 :

إن كتاب سارجوازشت سيدنا يؤكد أن الحسن كان تلميذا لناصرى خسرو .

(٣) كان عطاش من كبار علماء المذهب الإسماعيلي ، ألف الكتب الكثيرة في

مناصرة هذا المذهب ، وألف رسالة في الدعاء له ، أسماها العقيقة ( ابن الجوزي :

مرآة الزمان ، ج ٨ ورقة ١٣ )



ابن عطاش تلميذا لناصرى خسرو ، فكان الحسن الصباح أحد أصول المذهب عن ناصرى خسرو بطريق غير مباشر .

نستنتج من هذا كله أن الدعوة الإسماعيلية كانت راجعة في خراسان وفارس ، عند ظهور الحسن الصباح ، وأن هذا الرجل الفذ ، استغلها خير استغلال ، في تدعيم نفوذه ، وتقوية شأن جماعته ، وأن الدعوة الشيعية الاثنا عشرية كانت ضعيفة هزيلة هناك ، فلم تستطع الصمود أمام تيار الدعوة الإسماعيلية الجارف ، وأن دخول الحسن المذهب الإسماعيلي ، غير أسلوب حياة هذا الزعيم من النقيض إلى النقيض ، فتحمس للمذهب الجديد ، وبدرت منه بوادر هذا التحمس وهو موظف في قصر السلاجقة ، فأثار بتحتمسه سخط السنيين عليه ، وانتباههم إليه ، فما زالوا به يضنون العراقيين في طريقه ، حتى طردوه ، وكادوا يفتكون به .

ولقد عمل الحسن الصباح بعد اعتناقه المذهب الإسماعيلي ، وإقالاته من وظيفته ، على أن يتفانى إلى أقصى حدود التفانى في الإخلاص للمذهب الإسماعيلي ، فأثار بعمله هذا انتباه رؤساء الدعوة الإسماعيلية في فارس وخراسان ، وما زال يجد في نشر الدعوة حتى عملوا على إرساله إلى القاهرة ، ليركشف أصول المذهب الإسماعيلي ، من مدارسها ودعاتها وأئمتها .

### ٣ الحسن الصباح في مصر

عول الحسن الصباح على قصد مصر في سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م) ، فهل كان ذلك بوحي من الخليفة الفاطمي - المستنصر - نفسه ؟ أو أن رياسته



الدعوة بالشرق ، هي التي مهدت لهذا الرجل سبيل الوصول إلى مصر ؟ أو أن الحسن الصباح هو الذي رغب في تلك الرحلة من تلقاء نفسه ؟ يظهر أن عبد الملك بن عطاءش ، رئيس الدعوة بالشرق ، هو الذي مهد للحسن الصباح ، كي يذهب إلى مصر ، ليستزيد من علوم المذهب الإسماعيلي ، ويتلقف شئون الدعوة العملية من ينبوعها الأساسي . ويظهر أيضا أن رئاسة الدعوة في البحار ، المختلفة ، كانت تعنى بتخريج جماعة من أذكياء الدعاة ، ثم تعمل على إرسالهم إلى القاهرة . وقد رأينا أن القاهرة جذبت إليها غير الحسن الصباح كثيرين ، فلقد قصد إليها أحمد حميد الدين السكرماني ، وكثير من دعاة الدرزية في عهد الحاكم ؛ وكذلك قصد إليها المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ، ثم ناصري خسرو في عهد المستنصر ، وكل من هؤلاء الدعاة كان علما من أعلام الدعوة الإسماعيلية . فكان قصد الحسن مصر تنفيذا لسياسة مرسومة ، رسمتها رئاسة الدعوة المركزية والمحلية ، ودرج عليها الدعاة منذ القديم .

خرج الحسن الصباح من الري ميمما نحو مصر في سنة ٤٦٧ هـ ، وقصد إلى أصفهان ، وظل بها حتى سنة ٤٦٩ هـ م ، بجانب رئيس الدعوة عبد الملك ابن عطاءش ، فهد هذا له الطريق إلى القاهرة ، وكانت خطة سيره آية في الدقة والإحكام ، حتى لا يقع في أيدي السنيين ، فتزني بزى التجار ، ثم خرج من أصفهان في سنة ٤٦٩ هـ ، ومر بأذربيجان وميفارقين ، ثم الموصل وسنجار والرحبة ، ثم اتجه إلى دمشق فصيدا وصور ثم عكا . ومعنى ذلك أن الحسن قطع المسافة من أصفهان إلى عكا عن طريق البر ، ولكنه ركب



البحر بعد عكا ، حتى وصل إلى مصر في سنة ٤٧١ هـ . وقد استطاع أن يتعرف - وهو في طريقه - على كثير من الإسماعيلية ، الذين عاونوه خير معاونة ، وكانوا يتصلون به سرا . وهكذا وصل الحسن مصر في زى تاجر أو في زى نجار ، (١) .

والذى يلفت النظر حقا ، اهتمام زعماء الدعوة في مصر بالحسن الصباح . ونعتقد أن ابن عطاش كان على صلة برياسة الدعوة في مصر ، عن طريق الحمام الزاجل ، ولابد أنه أخبرهم عن حقيقة شخص الصباح ، ومدى تقانيه في نشر الدعوة الإسماعيلية ، ومدى ما لاقاه من اضطهاد على يد السلاجقة . ومن ثم رحب به الخليفة المستنصر نفسه ، على الرغم من أنه لم يقابله شخصيا ، كما رحب به داعى الدعاة ، وكثير من رجالات الدعوة المبرزين في مصر ، وخصصت له الحكومة الفاطمية في مصر منزلا يعيش به . ولنترك الحسن الصباح نفسه يتحدثنا عن ذلك فيقول : « إن مولاه المستنصر ، كان يحسن معاملته ، ويظهر عطفه عليه ، وحببه له ، وذلك على الرغم من أنه لم يقابله شخصيا مرة واحدة . ولم يكن المستنصر يتكلم عن الحسن إلا بكل إجلال وإكبار ، حتى أن موظفى القصر اعتقدوا أنه سيعين وزيراً للمستنصر (٢) . »

وقد استمر الحسن الصباح في مصر عاما ونصف عام (٤٧١ هـ - ٤٧٢ هـ) ، استطاع أن ينكب فيها على علوم الإسماعيلية ومعارفهم ،

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٨ .

(٢) Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins , p. 78



وأن يدرس أصول المذهب السرية دراسة وافية ، سواء أكان ذلك في دار الحكمة ، أو في غيرها من مجالس الدعوة ، غير أنه لم يعش قرير العين في القاهرة ، فقد قامت المنازعات بينه وبين الوزير العظيم - بدر الجمالي - ( ٤٨٧ هـ ) وأنصاره ، مما أدى إلى الزج به في السجن بمدينة دمياط ، بل لقد رأى الوزير في وجوده بمصر خطراً على كيانه ، ومن ثم عمل على نفيه إلى بلاد المغرب ، غير أن الريح ألفت به على سواحل الشام ، ففر منها إلى بلاده .

وترينا هذه المعاملة القاسية ، مدى ما كان يلاقيه الإسماعيلي المخلص لمذهبه وإمامه من عنت ، على يد رجال الحكومة الشفيعيين بمصر ، الذين كانوا ينظرون إلى الدعوة الإسماعيلية ورجالها ، نظرة احتقار وامتهان . وكان بدر الجمالي وأبناؤه من بعده من أكثر الناس كراهية للدعوة الإسماعيلية ، ولم نذهب بعيداً ؟ وقد لقي المؤيد الشيرازي من رجال الحكومة وأعدائهم أكثر مما لقيه الحسن الصباح .

وإن خروج الحسن الصباح من مصر على هذا الشكل الروائي المحزن ، ليجدوننا إلى بحث عوامل غضب الحكومة الفاطمية على ضيقها المخلص . وقد كفانا الحسن الصباح مؤونة هذا بنفسه ، فأخبرنا أن سبب طرده من مصر ، يرجع إلى أنه كان من أنصار الأمير الإمام نزار بن المستنصر . وقد آلم تحننه نزار أمير الجيوش بدر الجمالي وحزبه ، فكان هذا من أسباب الاحتكاك المتصل بين الحسن والوزير العظيم <sup>(١)</sup> .



وقد أوضح رشيد الدين ، في كتابه جامع التواريخ ، تلك الحال ، فقال :  
حدث في ذلك الوقت تعيين ولي العهد في مصر ، فاختار المستنصر ابنه  
نزارا ، وكان بدر الجمالي يحبذ تعيين المستعلي . وناصر الحسن الصباح  
التعيين الأول ، فغضب عليه بدر الجمالي ، ولم يرض بما كان المستنصر  
يبدية للحسن من احترام ، فعمل على سجنه ، ثم طرده من مصر (١) .  
ويغلو بلوشيه (٢) ، فيدعي أن المستعلي ، الذي كان تعيينه بعد تعيين نزار ،  
كان على رأس جماعة من الحانقين على الحسن الصباح ، ومعهم أمير الجيوش  
بدر الجمالي ، ولكن المستعلي كان في ذلك الوقت طفلا لم يتجاوز الرابعة  
من عمره . فلم يكن إذن على رأس جماعة تحقق على نزار وعلى الحسن  
الصباح ، وإنما الذي كان على رأس هذه الجماعة حقا ، هو بيت بدر  
الجمالي ، جد المستعلي لأمه .

ألسنا نرى في سلوك الحسن الصباح شيئا كبيرا من الدهاء ؟ فقد مهد  
الأمور لنفسه ، وأظهر التفاني للذهب الإسماعيلي ومبادئه ، فظهر أمام  
الإسماعيلية جميعا بأنه يأخذ بناصر الدعوة لا بناصر الدولة . ومن ثم  
انضوى تحت لواء نزار وأنصاره جميع القائلين بإمامته ، وجميع القائلين  
بصححة التعيين الأول وبطلان التعيين الثاني ، وهؤلاء هم خلاصة الإسماعيلية .  
وهذا كله مصداق ما قيل في الحسن الصباح من أنه كان نهازا للفرص ، يسعى  
دائما إلى الاصطياد في الماء العكر . to fish in the troubled water .

(١) Browne : Lit. Hist. of Persia, vol. ii, p. 203

(٢) Blochet ; Le Missianisme, p. 109



على أننا لا ننكر بأن حنق بدر الجمالي ورجال حكومة الدولة الفاطمية على الحسن الصباح ، إنما كان مبعثه ذلك الحققد الدفين ، الذي يكنه رجال الدولة الحكوميون لرجال الدعوة المخلصين . ولا نستبعد على الحسن أن يكون قد أدرك بثاقب نظره قرب نهاية الدعوة في مصر على أيدي رجال الحكومة النفعيين ، فهب في وجه النفعية ، وناذى بالثورة على هذه السياسة الخطيرة ، التي قد تودى بالدعوة والدولة معا . ولا ننكر كذلك بأن رجال الدولة في مصر ، عز عليهم ما رأوه من احترام المستنصر لهذا الداعى الفارسى ، وخاف كبار الموظفين ، كل على وظيفته ، واعتقد كل منهم أن الحسن سوف يحل محله فيها ، فـكـونوا جميعا جبهة قوية تكافقت في طرد الحسن الصباح من مصر .

وقد نسأل متى تم تعيين المستعلى ونزار ؟ يظهر أن هذا التعيين الخاص بالمستعلى ، إنما حدث في المدة التي استقر بها الحسن في مصر (٤٧١ — ٤٧٢هـ) ، أما نزار فلا بد أن يكون تعيينه قبل ذلك . غير أننا لا نعرف على وجه التحديد متى كان هذا التعيين ، لكن النزارية يرون أن تعيين المستنصر نزار لم يعجب بدر الجمالي وأنصاره ، وأن ذلك الوزير ما زال بالخليفة المستنصر ، حتى نقض التعيين الأول وعين ابنه الأصغر ، المستعلى ، وكان حفيدا لبدر الجمالي ، فألم ذلك التعيين الثانى جماعة النزارية الأوائل ، الذين كانوا يلتفون حول نزار وقتئذ واعتبروه خروجا على أهم مبادئ المذهب الإسماعيلى ، وافتئاتا من رجال الحكومة على رجال الدعوة ، خصوصا وأن بدر الجمالي وابنه الأفضلى ، كانا يحقدان على نزار ، ويريان إبقاء العرش فى بيت المستعلى ، الطفل



الصغير ، لقرابته منهما أولا ، ولصغر سنه ثانيا ، لكي يصبح أعبوة في أيديهما .

نعم أنكر الحسن الصباح ذلك ، على الوزير بدر الجمالي وابنة الأفضل ، محتجا بأن التعيين الأول ، وهو تعيين نزار ، هو المعمول به عند كافة الإسماعيلية ، وأن التعيين الثاني ، وهو تعيين المستعلي ، لا أساس له في المذهب ، وهذه الحجة قوية ، لأنها حجة الإسماعيلية الرئيسية ، التي يتذرعون بها في الرد على خصومهم الاثنا عشرية ، أنصار موسى الكاظم ، أوضح الحسن الصباح ذلك بقوله : كان لأمير الجيوش الكلمة العليا في البلاد ، كما كان نفوذه قويا على الخليفة المستنصر نفسه . هذا إلى أنه كان والد زوجة المستعلي ، الابن الثاني للمستنصر . والمستعلي هذا هو الذي أعلن الخليفة المستنصر بأنه سوف يليه بعد موته ، غير أن ذلك الإعلان كان الثاني من نوعه ، وإني مستندا على المبادئ الأساسية للمذهب الذي أعنتقه ، أدعو لنزار (١) .

وكل ما ورد على لسان الحسن الصباح صحيح ، إلا في الادعاء بأن بدرا الجمالي كان والد زوجة المستعلي ، لأن المستعلي ولد في ٢٠ من المحرم سنة ٤٦٧ هـ ( ١٠٧٤ م ) ، وكان الحسن في مصر سنة ٤٧١ هـ ( ١٠٧٨ م ) ، فعمره والحالة هذه أربع سنوات ، ولا يعقل أن يكون

(١) جهان كوشا : الجويني . ترجمة ديفريري في



زوجا لابنة أمير الجيوش ، كما أن المراجع الكثيرة تقول : إن بدرا الجمالى جد المستعلى لأمه لا حموه .

ونستطيع أن نقول - حسب ما ذهب النزارية إليه - إن المستنصر كان قد عين نزارا قبل تعيين المستعلى ، وإن المستنصر نفسه صرح بذلك للحسن الصباح ، ومعنى هذا أن الحسن حين ثار على المستعلى وجده بدر الجمالى ، وخاله الأفضل وحزبهم جميعا ، إنما كان يحافظ على أوامر الخليفة ومبادئ المذهب الإسماعيلى . يقول النويرى <sup>(١)</sup> : « ودخل الحسن على المستنصر ، وخاطبه فى إقامة الدعوة ببلاد العجم ، فأذن له ... وادعى أنه قال للمستنصر : من إمامى بعدك ؟ فأشار إلى نزار فمن هناك سموا بالنزارية » ويقول ابن واصل <sup>(٢)</sup> : « إن الحسن الصباح قدم على المستنصر ، وطلب منه أن يكون داعيا له ببلاد العجم ، فأجابه إلى ذلك ، فسأله : من الإمام بعده ؟ فذكر أنه قال : إنه ولده نزار ... فضى الحسن إلى بلاد العجم ، فدعا للمستنصر ، وبعده لولده نزار ، وبث دعوة الباطنية هناك » .

ويرى إيقانوا <sup>(٣)</sup> أن هذه الحكاية مخترعة من أساسها ، وأن الحسن الصباح إنما اخترعها كي يبرهن على صحة مذهبه ، وأنها إذا علمنا أن

(١) نهاية الأرب (مخطوط) ، ج ٢٨ ورقة ٧٥ .

(٢) مفرج الكروب (مخطوط مصور بمكتبة جامعة فؤاد الأول رقم ٣٦٠٥٠) ،

ج ١ ورقة ١٢٦ .

(٣) Ivanow. Kalami Pir. (Intro.), p. xx.



الخليفة المستنصر الفاطمي لم يقابل الحسن الصباح مرة واحدة ، وأن الموظفين بالقصر الخلفي في مصر ، أهملوه إهمالا تاما ، وأن الحسن نفسه كان شابا طموحا عظموحا لاحد له ، وكان يؤمل أن يرى في مصر غير ما رأى ، إذا علمنا ذلك كله ، نستطيع أن نقول : إن آلام ذلك الشاب قد تزايدت ، بسبب فشله في مصر ، وشعوره بنفورهم منه ، فأراد أن ينتقم لآلامه باختراع تلك القصة ، كي يدعو لنزار ، عدو أمير الجيوش اللدود .

من هذا كله نرى أن نفوذ المستنصر في دولته لم يكن شيئا مذكورا ، بجانب نفوذ بدر الجمالي وأهل بيته . ولا نستطيع أن نفسر تغاضي هذا الخليفة عن الحسن الصباح - تابعه المخلص الوفي ، بأن ما ناله إنما كان بأمره هو ، أو أنه على الأقل ، كان راضيا عن تصرف الوزير مع الحسن ويظهر أن المستنصر كان يقنع ، مع وجود بدر الجمالي ، من الخلافة باسمها ، فترك أمور الدعوة وأمور الدولة كلها في يد هذا الوزير ، الذي استبد بكل شيء . ولم يعد يأبه للخلفاء ولا للأمراء ، وإنما كان همه التمتع بالنفوذ المطلق لا غير ، حتى أن المستنصر ، على الرغم من حبه الحسن الصباح وعطفه عليه ، لم يستطع أن يقابله مرة واحدة ، أو يأمره بالمشول بين يديه <sup>(١)</sup> . فعل ذلك خوفا من وزيره الجمالي .

وكذلك لما قبض الوزير على الحسن الصباح وسجنه ، لم يستطع هذا الخليفة الدفاع عنه ، وقد شعر الناس بأن هذه الإهانة إنما وجهت إلى الخليفة وإلى الحسن الصباح معا . والدليل على ذلك ، أنه لما سجن الحسن

---

(١) Dozy : Essai Sur l'Hist. de l'Islamisme, p. 301



بدمياط ، وسقط أحد جدران القلعة التي كان مسجوناً بها مصادفة ،  
اعتقد القوم أن هذه معجزة من المستنصر ومن الحسن معا ، وما كان  
يصح للناس أن يعتقدوا ذلك لو كان المستنصر راضياً عما حل بتابعه  
المخلص ، الحسن الصباح .

نعوذ فنقول : إن ما فعله الوزير - بدر الجمالي - مع الحسن الصباح ،  
يعتبر بحسنة أصابت الدعوة الفاطمية في صميمها ، ولكنه يعتبر نصراً ومؤزراً  
للدولة ورجال حكومتها ، ولا غرو فقد أصبح الإمام الظاهر - الخليفة  
المستنصر - ألعوبة في يد الوزراء العظام ، الذين جمعوا السلطة كلها في  
أيديهم ، وأصروا على أن يكون مركز الدعوة أقل شأناً من مركز  
الدولة ، وأن لا يتركوا لرجال الدعوة فرصة يحاولون بها الوصول إلى  
الزعامة أو السلطان . وهذه السياسة الخطيرة كانت من العوامل التي عجّلت  
بسقوط الفاطميين<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من هذا كله ، أفاد الحسن الصباح من رحلته فائدة  
كبيرة ، فقد استطاع أن يدرس خلال تلك المدة التي مكثها في مصر ،  
أصول المذهب الإسماعيلي ، وأن يلم بكثير من أسرار ومبادئه ،  
فقد كان دائم الاتصال برجال الدعوة وأساتذتها ، وبمدارس الدعوة  
ومجالسها ، كما كان يتصل بالخليفة المستنصر عن طريق رجال الدعوة ،  
ويعرف منه أصول المذهب ومبادئه عن طريقهم كذلك . يقول ابن  
ميسر<sup>(٢)</sup> : « وسأل الحسن المستنصر عن مسائل على مذهب الإسماعيلية ،  
فأجابها عليها بخطه » .

(١) أنظر كتابنا « المشكلات الكبرى في تاريخ الفاطميين » .

(٢) تاريخ مصر ، ج ٢ ص ٢٧ .



وأهم من هذا كله أن الخليفة المستنصر عينه - على ما يقول النزارية -  
 نائباً له على خراسان ، أو بالأحرى «حجة» له عليها ، وليس هذا بعيداً  
 خصوصاً بعد أن رحل ناصري خسرو إلى إقليم بادخشان ، في أواسط  
 آسيا ، وترك إقليم خراسان لدعاتها المحليين ، كعميد الملك بن عطاش وغيره .  
 على أن بقاء الحسن الصباح عاماً ونصف في مصر ، ملتصقاً برجال  
 الدعوة ورجال الدولة معا ، أفاده فائدة تذكر ، فقد درس حالة الدولة  
 الفاطمية والدعوة الإسماعيلية ، وألم بعيوب هذه وتلك ، وعمل على  
 تلافيها في المستقبل . وبعبارة أخرى لا يبعد أن يكون الحسن قد أدرك  
 وهو بمصر ، ما آلت إليه الخلافة الفاطمية من الضعف ، وأدرك أن قوتها  
 أصبحت تناسب تناسبا عكسيا مع نجاح الدعوة الإسماعيلية ، فإنها ، على  
 الرغم من نجاح الدعوة في عهد المستنصر ، كانت ضعيفة أمام القواد وغير  
 القواد ، وكان الجيش الفاطمي والوزارة الفاطمية وغيرهما من كبريات  
 الوظائف ، في أيدي أعداء المذهب الإسماعيلي ، وأنه لما أدرك الحسن  
 ذلك كله ، عول على تكوين مجتمع إسماعيلي صرف ، يناقض في كثير من  
 النواحي المجتمع الفاطمي ، وهو أن يجعل رجال السيف ورجال الدعوة  
 الروحانيين خاضعين لرؤسهم (له ثم خلفائه من بعده) ، بحيث يعملون  
 جميعاً على نشر المذهب الإسماعيلي ، والفتك بمن يقف في وجههم ، ولو  
 أدت تلك السياسة الدموية الجريئة إلى قتل الخلفاء والسلاطين والوزراء ،  
 بل إلى قلب العروش ذاتها ؛ أي كأن ما أدركه الحسن الصباح ، وهو بمصر ،  
 من ضعف الدعوة أمام رجال الدولة ، قد أوحى له بتلك السياسة الخطيرة ،  
 التي سار عليها بعد ذلك ، وانهجها خلفاؤه من بعده .



#### ٤ — الحسمه الصباح سفير المستنصر في خراسان وفارس

بقى الحسن الصباح في مصر ، منذ شهر صفر سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) ، وأبحر من الإسكندرية في رجب سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ م) ، وكان قصد الوزير بدر الجمالي أن ينفيه إلى بلاد المغرب ، ولكن الظروف ساعدته ، فأفلت من انتقام هذا الوزير ، وألقت به الريح على سواحل الشام ، فنزل بشعر «عكا» ، وقصد منها إلى «حلب» ، فإلى «بغداد» . ثم اتجه من بغداد إلى «خوزستان» التي كانت تغص بالإسماعيلية في ذلك الحين . ثم ألقى عصا التسيار في «أصبهان» . وكان وصوله إليها في ذى الحجة من سنة ٤٧٣ هـ (مايو سنة ١٠٨١ م) ، ثم اتجه إلى مدينة «يزد» في جنوب فارس ، ثم إلى «كرمان» .

لم يستطع الحسن الصباح الاستقرار في مكان ما ، فكان ولاية السلاجقة السنيون يطاردونه في كل مكان ، ولذلك عاد من كرمان وقصد إلى «أصبهان» ، وبقى بها أربعة أشهر . وكان لا يفتأ ينشر الدعوة الإسماعيلية ، وينادي بامامة الخليفة المستنصر . وقد صرح لأحد المقرئين إليه بتصريحات تدل على مدى طموحه وجرأته ، وتدل في الوقت نفسه على أنه وضع برنامج الهدام الجريء منذ سنة ٤٧٣ هـ و٤٧٤ هـ ، فقد صرح الصباح للرئيس أبي الفضل اللبباني أحد مشهورى النزارية ، برغبته في قلب العرش السلجوقي ، وذلك بقتل السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك (١) . على أن الحسن اضطر إلى مغادرة «أصفهان» ، وقصد إلى خوزستان من جديد . واستمر بها ثلاثة شهور

(١) المستوفى : تاريخ جوزيدة ، ج ١ ص ٤٨٨ .



يدعو فيها للخليفة المستنصر ، ولم يقف نشاطه عند هذا الحد ، فقد اتجه عبر الصحراء ، من إقليم خوزستان إلى إقليم دامغان (١) . واستقر هناك ثلاث سنوات (٤٧٤ - ٤٧٧ هـ) .

ومما يمتاز به حياة الحسن في هذا الدور ، أنه لم يكن داعيا عاديا بسيطا ، بل كان يقوم برياسة الدعوة المحلية في فارس وخراسان ، فيرسل بالدعاة إلى أماكن يعينها لهم ، وكانت قلعة ألموت (٢) أهم منطقة بعث إليها بيسول دعائه ، وكذلك بلاد الديلم في الجنوب الغربي من بحر قزوين . كما يمتاز حياته في ذلك الدور بالخوف الدائم من عمال السلاجقة السنيين ، وعلى الأخص من أبي مسلم ، صاحب الري ، وصهر نظام الملك (٣) . لذلك كان الحسن يلجأ إلى طرق الخداع والتستر . أنظره وقد أراد الذهاب من كورة دامغان ( بين الري ونيسابور ) إلى مدينة قزوين - جنوبي بحر قزوين - يسلك طريقا معوجة ، فيتجه إلى مدينة « ساري » (٤) ، على البحر ، ومنها إلى « دوماوند » (٥) ، ومن دوماوند إلى قزوين ، وهي رحلة شاقة بالطبع ، وقد استقر في قزوين حينما من الزمن ، وبذل جهوده في نشر دعوة المستنصر في إقليم ألموت .

(١) مدينة بين الري ونيسابور ، وقيل : هي كورة بين الري ونيسابور .

(٢) وتقع في إقليم مازندران (طبرستان) ، بين سلاسل جبال البورز ، جنوبي بحر قزوين .

(٣) Defremery ; Essai Sur l'Hist. des Ismaéleens , p. 67

(٤) إحدى مدن طبرستان ، وتقع على مقربة من بحر قزوين

(٥) دوماوند : جبل وكورة بالقرب من الري .



من هذا نرى أن الحسن الصباح كان يدعو للمستنصر لا لسواه ، وذلك من سنة ٤٧٣ إلى سنة ٤٨٧ هـ ، فلم يكن يدعو لنزار ، كما توهم بعض<sup>(١)</sup> ، لأن الحسن لودعا في حياة المستنصر لابنه نزار ، لا اعتبر نائرا على هذا الخليفة ، ولجلب على نفسه ثورة الإسماعيلية في تلك البلاد النائية . والذي لا نشك فيه أن الحسن الصباح استمر على ولائه للخليفة المستنصر طيلة حياة هذا الخليفة (من سنة ٤٧٣ إلى ٤٨٧ هـ) . يدل على ذلك قول العيني<sup>(٢)</sup> : « وكان الحسن الصباح قد قصده في زى تاجر ... وخاطبه في إقامة الدعوة له في بلاد المعجم ، فعاد يدعو الناس إليه سرا ، ثم أظهرها وملك القلاع » . ويبين لنا القلقشندي<sup>(٣)</sup> أن الحسن دعا للمستنصر أولا ، ثم لنزار ثانيا ، فيقول : فقال الحسن للمستنصر : من الإمام بعدك ؟ فقال : ابني نزار . فعاد ابن الصباح ... وهو يدعو إلى إمامه المستنصر وابنه نزار بعده .

بذلك نرى أن الحسن كان يدعو أولا للمستنصر لا لنزار . ومهما يكن من أمر فإن الحسن الصباح عاد إلى خراسان ، ليدعو باسم إمام ظاهر - هو المستنصر - واستمر مخلصا في دعواه هذه . على أن هذا لا يمنع أن يكون الحسن قد أخذ يمهّد الأمور لنزار ، وينشر بين أتباعه أنه خليفة المستنصر . بل إن التهديد لنزار ، يجب أن يكون من أهم ما يعنى الحسن به في ذلك الوقت ، حتى لا يفاجئهم أشياءه بأمر نزار ، خصوصا بعد أن أدرك نوايا بدر الجمالي نحو نزار والمستعلى .

(١) Defremery : Essai sur l'Hist. des Ismaéleéns, p. 67

(٢) عقد الجمان ( مخطوط ) ، ج ٢٠ ورقة ٤٧٣ .

(٣) صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٣٣٧ .



وقد زاد بلوشيه (١) هذا الموضوع إيضاحا فقال : ويجب ألا ننسى بأن الحسن كان يعتبر نفسه داعيا للخليفة الفاطمي بمصر - المستنصر بالله أبي تميم معد - وقد بقي طول حياة هذا الخليفة على الولاء له ، وما كان الحسن ينتظر سوى إشارة واحدة منه ، حتى يعلن ما أعلنه أنوشتكين الدرزي ، وحمزه بن علي ، من تأليه الحاكم (٢) ، لكن هذه الإشارة لم تصله بعد ، لأن المستنصر لم يكن لديه شجاعة جده الحاكم .

وبهذا كان الحسن الصباح يعتبر الدعوة للمستنصر ضربا من ضروب التقوى والورع ، وينادى بالإمام الظاهر ، لا الإمام المستور ، وهكذا بعد أن هاجر الحسن إلى بلاد إمامه (مصر) ، وتلقى منه كيفية الدعوة لإمام زمانه ، عاد ودعا الناس ، أول دعوة ، إلى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان ، وتمييز الفرقة الناجية دون سائر الفرق بهذه التسمية ، أي أن لهم إماما وليس لغيرهم إمام (٣) . وكل هذه الحقائق تدل على أن الحسن لم يدع لغير المستنصر قبل سنة ٤٨٧ هـ .

والواقع أن الحسن الصباح كان يهيمه في هذا الدور (٤٧٣) — ٤٨٧ هـ (= ١٠٨٠ — ١٠٩٤ م) ، في حياة المستنصر ، أن ينجز هذه الأمور الثلاثة :

أولا : كان عليه أن يروج الدعوة الإسماعيلية ، باسم المستنصر أولا ، ثم نزار ثانيا ، وقد نجح الحسن في ذلك نجاحا ظهر أثره بعد ، فقد

(١) Le Missianisme (Paris, 1901), p. 3

(٢) وكانا من أشهر دعائم الدعوة الدرزية في عهد الحاكم .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ص ٢٩ (على هامش ابن حزم) .



استغل الانتماء إلى المستنصر ، الذي عينه «حجة» على خراسان ، ووضع نفسه على رأس جماعة من المتقانبين له ، وللمذهب الإسماعيلي ، فأصبح في مركز الأمراء والسلاطين ، بعد قليل من الزمان . وليس من شك في أن الحسن كان يمهّد الأمور ، في هذا الدور ، للثورة على رجال الحكومة الفاطمية النفعيين ، حتى إذا مامت المستنصر وجد الأمور مهيأة له ، ليدعو إلى نزار .

ثانياً : وكان عليه أن يوجد حوله زعماء آخرين يخلصون له ، ويتفانون في الدفاع عنه وعن مذهبه ، وقد نجح في ذلك نجاحاً يحسد عليه ، إذ ضم إليه جماعة من خيرة رجال ملكشاه وولاته . فكان هؤلاء وغيرهم أسلحة فتاكة في يده . ومن هؤلاء الأنصار الزعماء أمير قلعة «كردكوه» (١) . وكان من ولاية السلطان ملكشاه ، ويدعى «المظفر» وبفضل هذا الزعيم استطاع الحسن أن ينشر الدعوة الإسماعيلية بنجاح كبير في بلاد الري . ثم انضم إلى الحسن الصباح زعيم آخر هو الأمير الحسين القيني ، حاكم قلعة «طورشين» ، إحدى قلاع قوهستان . وانضم إلى الحسن كثيرون غير هؤلاء ، فقوى الحسن بهم (٢) .

ثالثاً : وكذلك كان على الحسن أن يعمل على امتلاك القلاع والحصون القوية ، كي يستعين بها في تقوية نظامه الجديد . وقد نجح في الاستيلاء على الكثير منها ، بالخداع تارة ، وبالقوة أخرى ، وسن بعمله

(١) قلعة حصينة بين الري ونيسابور ، وكانت من أشهر قلاع النزارية .

(٢) المستوفي : تاريخ جوزيده ، ج ١ ص ٤٩٠ .



هذا سنة انتهجها خلفاؤه من رؤساء الدعوة الزارية . وهكذا استمر الحسن الصباح عشر سنوات كاملة (٤٧٣ — ٤٨٣ هـ) ينظم خلالها الدعوة ، ويرسل الدعاة في جميع أنحاء بلاد فارس ، إلى أن استقر بقلعة حصينة ، اتخذها مركزا رئيسيا لنشاطه ، أو قل : عاصمة للملكة ، وتلك هي قلعة الموت ، فأصبحت سنة الإسماعيلية الاعتصام بالجبال ، وتكوين المجتمعات الإسماعيلية الخاصة في تلك الأماكن المنعزلة ، ولاغرو فإنه من السهل على من يسكن تلك القلاع الجبلية المنبوعة ، أن ينشر دعوته ومبادئه في أمان واطمئنان ، وأن ينقض على أعدائه من تلك الأوكار المحصنة البعيدة المنال . يوضح صحة هذا تاريخ الإسماعيلية الزارية ، الحافل بالاغتيالات المنظمة .

وفي الحق أن قوة الحسن الصباح بدأت في الازدياد منذ امتلاكه قلعة الموت سنة ٤٨٣ هـ ، التي اتخذها قاعدة لأعماله . ونهج أنصاره نهجه في احتلال القلاع المنبوعة . يقول ابن ميسر (١) : « وكانت دعوة الإسماعيلية ببلاد ديلمان (٢) والجبل من قديم ، فأقام - الحسن - بينهم بيت الدعوة ، حتى شاعت ، فأخذ يجمع الأسلحة والعدد سرا ، وأوعد أصحابه في رجب سنة ثلاث وثمانين في ليلة منها . . . كان السلطان حينئذ ملك كشاه بن ألب أرسلان ، فأخذ قلعة الموت . . . فاجتمع الباطنية بأصفهان وضواحيها ، مع رئيس دعائهم ، أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، فاستولوا على قاعدتين

(١) تاريخ مصر ، ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) ديلمان : أي بلاد الديلم ، جنوبي بحر قزوين . أما بلاد الجبل فيقصد بها قوهستان التي تقع فيها مدينة أصفهان .



عظيمتين ، إحداهما قلعة «شاه دز» ، والأخرى قلعة «خان» ، وهما على «جبل أصهان» . وقد اتخذ الزعيم الإسماعيلي الثاني ، أحمد بن عبد الملك ، من قلعة «شاه دز» قاعدة أساسية ثانية .

وبهذا نرى أن دعوة الخليفة المستنصر في فارس وخراسان ، كانت موكولة بعد عودة الحسن الصباح من مصر ، إلى أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، وإلى الحسن الصباح نفسه ، هذا في الموت (بطبرستان) وذلك في «شاه دز» بالقرب من أصفهان ، عاصمة السلاجقة في ذلك الحين . ولا ندرى على وجه التحقيق : أي الرجلين كان يعترف لزميله بالزعامة . ويظهر أن رئاسة الدعوة كانت موضوعة - رسميا في يد الحسن الصباح ، الذي كان يولى أحمد بن عبد الملك بن عطاش شيئا غير قليل من الاحترام . ولا غرو فقد كان أحمد هذا ابن أستاذه عبد الملك بن عطاش ، الذي رباه ، وأنشأه على حب المذهب الإسماعيلي ، وسهل له طريق الذهاب إلى مصر .

ومهما يكن من شيء فقد كان الحسن ، الصباح القلب النابض لدعوة المستنصر في المشرق ، وقد استطاع في عهد هذا الخليفة ، أن يضع أسسا متينة البناء لجماعة الإسماعيلية هناك ، وسن لأشياحه سنة الاستيطان في مجتمعات إسماعيلية خالصة ، بعيدة عن عنيت السنين ومناقستهم ، فكان استيلاؤه على قلعة الموت في سنة ٤٨٣ هـ ، شرارة اندلعت بسببها نيران الثورة الإسماعيلية في كل مكان . فاندفع أنصار الحسن يلقونه في الاستيلاء على القلاع الجبلية المتينة ، واتخذوها أوكارا ينقضون منها على خصومهم الدينيين والسياسيين ، في كل من فارس وخراسان وبلاد الشام .



## الباب الثالث

### استقلال الحسن الصباح عن الفاطميين

#### ١ — الدعوة لزوار المستنصر

دلت تصرفات الحسن الصباح جميعها على أنه كان ينزع إلى الاستقلال ، ويعمل على تكوين جماعة إسماعيلية في خراسان وفارس ، تختلف في تكوينها وتنظيمها عن جماعة الإسماعيلية قبل ذلك ، فلم يشأ أن يقرّ بالزعامة البصريين بعد وفاة الخليفة المستنصر ، ولم يشأ أن يعيش هو وجماعته وسط العالم السنّي الذي يضمر لهم الحقد ، ويتمنى لهم الفناء . ومن ثمّ سن سنة جديدة ، يرمى من ورائها إلى قلب العروش وسفك الدماء ، سنّية كانت أو شيعية ، في سبيل تكوين ملك دائم له ولخلفائه من بعده . وكان يسعى سعياً حثيثاً إلى إسقاط الخلافة العباسية وإقامة دولة إسماعيلية على أنقاضها<sup>(١)</sup> ، ومن ثمّ أصبح المذهب الإسماعيلي في بلاد المشرق آلة فتاكة للانتقام وسفك الدماء<sup>(٢)</sup> ، ومع هذا كله لم يناد الحسن بنفسه إماماً أو ملكاً أو خليفة ، بل كان يعتبر نفسه «حجة» للإمامة الإسماعيلية ، الظاهرة حيناً والمستورة حيناً آخر<sup>(٣)</sup> .

Von Hammer ; Hist. de l'Ordre des Assassins. 82 (١)

Menant ; Khodjas in Guzerat (R.M.M., vol xii), p.217 (٢)

(٣) الامامة الظاهرة، إمامة المستنصر، والإمامة المستورة، إمامة زوار وأبنائه من بعده



ظل الحسن على ولائه للمستنصر طول حكمه ، فلما مات هذا الخليفة في سنة ٤٨٧ هـ انتقض هو وأتباعه على إمامة ابنه المستعلي وخلافته (٤٨٧ هـ ٤٩٥ هـ) ، ونادوا بإمامة نزار ، الابن الأكبر للمستنصر . وليس من شك في أن الحسن كان يمهّد الأمور في فارس وخراسان للإمام نزار ، فجعل أنصاره يعتقدون أن نزارا هو الإمام الحق ، وأن المستعلي اغتصب منه العرش والإمامة معا . ومنذ اليوم الذي انتقض فيه الحسن على أنصار الدعوة الفاطمية في مصر ، عرف أنصاره باسم الزارية ، كما عرف أنصار المستعلي باسم المستعلية ، الأمر الذي حدا ببعض إلى الاعتقاد بأن الحسن إنما كان يسعى إلى تكوين ملك له هو ، دون سائر الخلفاء في مصر .

❖ يقول فون همر : إن الحسن حين حاول النجاح في قصر السلطان ملكشاه ، وأخفق في مسعاه ، تظاهر بالإخلاص والتفاني في خدمة الخليفة الفاطمي في القاهرة - المستنصر - ، وتستر بذلك الادعاء ، وبالتظاهر بالتقوى والورع ، وحاول أن يجذب الاشتياع إليه باسم المستنصر . وفي الحق أن الحسن الصباح لم يكن يعمل لغیر مصلحته ، ودون تحقيق آماله الشخصية En réalité, il ne travaillait qui pour lui, et dans l'intérêt de son ambition.

« ونعتقد أن ما ذهب إليه فون همر ليس صحيحا في جملة ، لأن الحسن الصباح لم يعمل شيئا تشتم منه الثورة على سيده المستنصر ، أما إن قصد فون همر أن الحسن ثار على المستعلي ، فهذا حق لا ريب فيه ، وتتفق مع فون همر حينئذ في أن الحسن انتهز فرصة قيام النزاع بين



نزار وأخيه الخليفة المستعلي ، ثم ما كان من مقتل الأمير نزار في القاهرة سنة ٨٨ هـ ، وخلق نظرية جديدة ، هي نظرية الإمام المستور والدعوة إليه <sup>(١)</sup> ، وبدعوته لنزار نجح نجاحا هائلا في تكوين نظام جديد ، يتلخص في أن دولة إسماعيلية ، صرفة خلقت وسط دولة السفين (الدولة العباسية) .

والحق أن الحسن الصباح أدرك ضعف المذهب الإسماعيلي في مصر فعمل على إدخال حيوية جديدة ، ودم قى جديد ، بين إسماعيليته هو ، وأخذ يسعى في تحقيق ذلك سرا في عهد الخليفة المستنصر ، فلما مات هذا الإمام الإسماعيلي ، أباط اللثام عن نواياه ، وأعلن عن سياسته هذه ، متسترا بستر الدعوة إلى نزار . ومن ثم اشتهر أتباعه باسم الحسينية ، نسبة إليه ، أو النزارية نسبة إلى نزار بن المستنصر ، أو أصحاب الدعوة الجديدة ، التي ابتدعها الحسن ليميزوا بها عن إخوانهم الإسماعيلية الغربيين The Western Ismailis (المستعلية ثم الطيبية) <sup>(٢)</sup>

وهكذا كان الحسن الصباح يعتقد أنه يستطيع تحقيق آمال عبد الله بن ميمون القداح ، الذي كان حجة محمد بن إسماعيل ، ودعامة المذهب الإسماعيلي ، في تكوين دولة إسماعيلية في كل شيء ، بحيث يكون الرعايا والحكام على

(١) نعم ! هي نظرية جديدة على إسماعيلية ذلك الزمان ، فقد ألف هؤلاء الدعوة لإمام ظاهر ، ومنذ قامت الدولة الفاطمية سنة ٢٩٦ هـ ، وهم يؤمنون بالإمامة الظاهرة لا المستورة . ولكنها نظرية غير جديدة على الإسماعيلية في العصور الأولى حيث عصر الست الأول ، الذي بدأ باستتار محمد بن إسماعيل في عهد الرشيد العباسي ، وانتهى بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة ٢٩٦ هـ .

(٢) نسبة إلى الإمام الطيب بن الخليفة الأمر .



عقيدة واحدة ؛ فإنه على الرغم من نجاح القرامطة ، فترة من الزمن ، في تحقيق ذلك ، إلا أنهم أخفقوا في تكوين دولة إسماعيلية لحما ودما . وعلى الرغم من قيام الدولة الفاطمية التي هي الثمرة الأولى للذهب الإسماعيلي ، فإنها هرمت قبل أوانها أو كادت ، لاعتمادها في سياستها وجيشها على أيد غير إسماعيلية . وعلى الرغم أيضا من نجاح الدعاة الإسماعيلية في اليمن والهند ، وفي كل مكان في العالم الإسلامي ، على الرغم من هذا كله ، رأى الحسن الصباح أنه إذا ما استطاع أن يكون دولة إسماعيلية بحتة ، أمكنه أن يرث الفاطميين ويهدم دولة العباسيين <sup>(١)</sup> .

وقد تركزت جهود الحسن بعد موت المستنصر في نشر الدعوة لنزار ، أو بالأحرى في نشر « الدعوة الجديدة » . وكان عليه أن يحتفظ بالأنصار القدامى من الإسماعيلية في فارس وخراسان ، ويجهلهم بلبثهم حول ، وكان عليه كذلك أن يضم إلى صفوفه عناصر جديدة . وعلى الرغم من أن الحسن الصباح كان عالما مبرزا ، فإنه لم يعمل كغيره من الدعاة والعلماء على جذب الطوائف المختلفة ، بل كان يلجأ إلى العامة ، حتى يسهل عليه وعلى دعائه التأثير فيهم ، خصوصا وأنه كان يأتيهم من ناحية عاطفية بحتة ، فيصور على بن أبي طالب وأبناءه تصويرا محزنا يصل إلى سويداء القلوب ، يقول الذهبي : <sup>(٢)</sup> « وكان لا يدعو إلا غبيا ، ثم يذكر له ما تم على أهل البيت من الظلم ، ثم يقول له : إذا كانت

---

Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins, p. 84 (١)

(٢) تاريخ الاسلام ، ج ٣ ورقة ٤٧٨ (مخطوط)



الآزارقة (١) سمحوا بنفوسهم في القتال مع بني أمية ، فما سبب تخلفك بنفسك عن إمامك ؟ فيترك هذه المقالة طعمة للسباع ..

٤ ويذهب ديفريمري Defremery مذهباً غربياً في وصف عقيدة الحسن الصباح ، التي كان يدعو إليها ، ويرى أن انتشار الإلحاد الذي اشتمر به النزارية ، إنما يرجع إلى الحسن وحده . ويؤكد دعواه هذه بقوله : إن الحسن لما قويت شوكته بامتلاك ألموت ، أخذ يرسل دعااته تباعاً في الأقاليم المختلفة ، لئلا يشر مبادئه الإلحادية ، وبخاصة بين سكان الجبال الجاهلين ؛ وبهذه الطريقة انتشر الإلحاد بين النزارية (٢) .

و نعتقد أن ما ذهب ديفريمري إليه ليس صحيحاً في جملة ، وأن تسميته « الدعوة النزارية بالدعوة الجديدة » ، إنما قصد بها تمييز هؤلاء النزارية عن المستعالية ، وتمييز دعوتهم عن دعوة الفاطميين ، أو الدعوة القديمة التي تمثلت بعد المستنصر في المستعالية ... فلم تأت هذه الدعوة النزارية بمذهب جديد ، أو آراء ومبادئ جديدة ؛ وآية ذلك أن الشهرستاني ، وقد اطلع على مبادئهم جميعها ، لم يستطع أن يفرق بينها وبين مبادئ المذهب الإسماعيلي عامة ، وأن عطا ملك الجويني ، وزير هولاء ، وقد اطلع على كتب النزارية ، الدينية وغير الدينية ، بعد سقوط ألموت في يد هولاء ، يقرر أن مذهب الحسن الصباح لا يختلف في شيء عن مذهب الفاطميين الإسماعيلية بمصر (٣) .

(١) طائفة من طوائف الخوارج

(٢) Defremery ; Essai sur l'Hist. des Ismaéleens, p. 69

(٣) Menant ; Khodjas in Guzerat (R.M.M.) vol. xii, p. 217



من هذا نرى أن تسمية الدعوة الزارية بالدعوة الجديدة ، لا تمت إلى الإلحاد بصلة ، وبخاصة في عهد الحسن الصباح ، لأن الإلحاد لم ينتشر رسميا وبصورة واضحة بين الزارية إلا في عهد الرئيس الزاري الرابع ، الحسن الثاني ( ٥٥٧ — ٥٦١ هـ ) . أضف إلى ذلك أن الحسن الصباح كان متقشفا نقشفا جعله يقسو على رعيته وأبنائه ، فقد طرد من قلعته رجلا كان يتعشق الموسيقى ، مما يدل على عدم انتشار الإلحاد في عهده ، ويدل على بطلان ما ذهب ديفريرى إليه .

ومن أهم ما يمتاز به دعوة الحسن إلى زار ، العمل على تكوين مجتمعات إسماعيلية بحتة ، تستقر في أماكن قوية التحصين ، ويجتمع فيها جميع « حدود » الدعوة الزارية ، من المستجيب حتى الرئيس ، ويعمل الجميع على أن يضموا إلى صفوفهم أكبر عدد مستطاع من تجار ورؤساء من السفينين ، وأن يزيدوا في ممتلكاتهم كلما تزايد عدد أتباعهم ، فأصبح للحسن الصباح ، تبعا لذلك ، عشرات ، بل مئات من القلاع والحصون القوية ، في أقاليم رودبار <sup>(١)</sup> وقوهستان <sup>(٢)</sup> ، والطالقان <sup>(٣)</sup> وغيرها .

على أن الحسن الصباح ، لم يكتف بالجهات الشرقية من المملكة الإسلامية ، بل وجه دعائه نحو بلاد الشام ، فنشروا الدعوة الزارية الجديدة هناك ، وحاربوا السلاجقة والمستعينة والصليبيين في تلك البلاد ،

---

(١) رودبار . باهرستان ، تتوسطها قلعة الموت ، قاعدة الزارية الرئيسية .

(٢) قوهستان : بخوزستان ، ومن أشهر قلاعها « شاه دز » بالقرب من أصفهان .

(٣) الطالقان : بلدة بخراسان بين مرو والروز وبلخ . وقيل : هي مدينة من

أكبر المدن في طخارستان . وقيل أيضا : هي كورة بين قزوین وأبهر وهو الصحيح .



وبهذا أصبح للحسن في كل إقليم أتباع ، وفي كل مدينة أنصار ، فلا يكاد يخلو منزل في الكثير من المدن من أتباع له وأشباع .

ومن أهم ما يميز دعوة الحسن في ذلك الحين استقلاله مبدأ التعليم من الإمام المعصوم . حقيقة ! كانت عامة الفرق الشيعية تعتنق هذا المبدأ ، غير أن الحسن الصباح أراد أن يقوى نفسه عن طريقه ، فادعى أنه لا يمكن لإنسان أن يعرف شيئا عن غير طريق الإمام أو نائبه ، وغرضه من تلك الدعوى أن يقيم حوله الأشباع ، لأنه نائب الإمام ومصدر العرفان . وبهذا نرى أن الدافع الذي دفع الحسن إلى المناادة بهذا المبدأ دافع سياسى محض .

وكان مبدأ التعليم من العوامل التى شجعت الحسن على حمل السيف في وجه الدول السنية القائمة ، لأنه التجأ إلى مبدأ إسماعيل آخر زاد من حق السنيين عليه ، واشتهر به الإسماعيلية جميعا ، وهو التأويل ، فأول القرآن للتزارية تأويلا يتفق ونزعاته السياسية ، فاعتقد الدعاة تبعاً لذلك أحقيته في تعيينهم ، واعتنق المستجيبون تقديسه ، حيث أوهمهم أن به جزءاً إلهياً حل فيه من الإمام . وبهذا التقديس ، وتلك الثقة ، نجح الحسن في خلق شعب يدين بالطاعة له .

✦ وقد أوضح تايلور (١) أثر مبدأ التأويل في جماعة التزارية بقوله : « إن الحسن أخبر أشباعه أنه نائب الإمام المستور ، ولذلك فإنه - جزئياً - عبارة عن حلول الألوهية . وقد اعتقد أتباعه أن السعادة والشقاء في إيمانهم . وهم يرون أنهم لا يعملون أية معصية في حياتهم ، لأن المعصية



في عصيان أو امره هو .

١ ويعترض الغزالي على عقيدة أتباع الحسن في التعليم من الإمام المعصوم ،  
ويناشدهم أن يبرهنوا له على وجود هذا الإمام المستور ، فيقول :  
« والعجب أنهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم ، وفي التبجح بالظفر به ،  
ولم يعملوا منه شيئا أصلا ، كالمتمضمخ<sup>(١)</sup> بالنجاسة يتعب في طلب الماء ،  
حتى إذا وجدته لم يستعمله ، ويبقى متضمخا بالجنائب<sup>(٢)</sup> .

ولما كان الحسن الصباح يريد من أتباعه الطاعة المطلقة ، فقد جعل  
عقيدة « الإمام المعصوم » دأبه ، ونادى بوجوب طاعته وطاعة نائبه  
« حجة » ، مدعيا أن ذلك هو الشرط الأساسي للدين الحق ، وبهذا  
تصرف الحسن في عقول أشياعه ، وكان ذلك التصرف غاية التي يسعى  
إليها ، كما تمكن بذلك الادعاء من التخلص من سلطان الفاطميين الإسماعيلية  
بمصر ، وكان هذا التخلص أيضا غرضا أساسيا من أغراضه التي يسعى إليها .  
وقد بلغ من خطورة الحسن في تلك الناحية العلمية أن عينت الدولة  
العباسية السنية كثيرا من العلماء للرد عليه وعلى أتباعه ، فهذا الغزالي ينشر  
كتاباه المستظهر<sup>(٣)</sup> أو فضائح الباطنية ، ليرد به على الزارية نظريتهم في  
الإمام المعصوم ، والمعلم المعصوم ، وترى كتابه « القسطاس المستقيم »  
عبارة عن نقاش دار بينه وبين أحد أتباع الحسن الصباح ، ممن يؤمن  
بنظرية التعليم . كما ترى مناقشات طريفة في كتابه « المنقذ من الضلال » .

(١) المتضمخ : المتلطخ .

(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال ص ١١٩ ( طبعة دمشق )

(٣) نسبة إلى الخليفة المستظهر العباس . وقد نشره وعلق عليه العلامة جولدزهر



ويقول ابن ميسر (١) : « وادعى (الحسن) أنه استأثر من إمامه بفواض العلوم ، وفشا في الملوك والرؤساء اغتياله إياهم ، وقتله لهم . واستدعى الإمام أبو حامد الغزالي إلى نيسابور ، فامتنع بالمدرسة ، وأخذ في مناظرة أصحاب ابن الصباح ، وألف كتابه المستظهرى ، وأجاب عن مسائلهم . ولا غرو فقد كان لنشاط الغزالي العلمى ، ضد الحسن الصباح وجماعته ، أثره في إظهار حقيقة أمر النزارية للئلا . يقول الغزالي (٢) : « فهو لاء جربناهم ، وسبرنا ظاهريهم وباطنيهم ، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوام ، وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى التعليم ، بكلام قوى مفهم . »

ويصور الغزالي في نقاشه مع أحد أتباع الحسن الصباح ، إيمان النزارية في عهد الحسن ، بمبدأ التعليم ، ومنه نرى اعتناقهم نظرية التعليم من الإمام الغائب أو المستور ، واعتقادهم بأنه يعلم الغيب ، ويطلع على كل ما يجرى في العالم . كما نرى شيئاً آخر ، هو احتقار النزارية لآراء غيرهم ، ولو كان هذا الغير من كبار العلماء ؛ أنظر النزاري يسفه آراء الغزالي ، حجة الإسلام ، ولا يريد أن يضعها موضع الاعتبار ، ويناقشها في حدة وعنف ، ثم يقطع حديثه معه بقوله : « فاطر طومار الهديان . » وإذا كان النزارية يعتبرون آراء الغزالي هديانا ، فما بالك بآراء غيره من السنيين (٣) !

(١) أخبار مصر ، ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال ، ص ١٢٠ .

(٣) انظر قسم الملاحق . انرى النقاش الحاد الذى قام بين الغزالي وأحد نزاريه الصباح .



من هذا نرى أن الحسن الصباح قد نجح نجاحاً منقطع النظير، في إقرار الأمور لنزار وأبنائه .

## ٢ - الحسن الصباح وتنظيم المجتمع النزاری

عمل الحسن الصباح على تنظيم جماعته تنظيمًا دقيقًا ، يضمن لها البقاء الطويل ، فعمل على تغذيتها بالدماء الجديدة القوية ، وتزويدها بالمبادئ الطبية ، كالسرية والطاعة وغيرهما . وكان أهم ما يمتاز به المجتمع النزاری الذي خلقه الحسن الصباح ، هو أنه أصبح وحدة قائمة بنفسها ، متماسكة تمام التماسك ، حتى كان المستجيب الجديد يشعر بما يشعر به خاصة القوم ، من وجوب التكالب على النهوض بتلك الجماعة ، ومن ثم قسم الحسن جماعته إلى مراتب ودرجات ، وضع في كل مرتبة من يستطيع البقاء فيها . وجعل التواد والمحبة والأخوة العامل المشترك بين أعضاء الدرجات جميعها ، وجعل للأعضاء شروطًا ، وحدد لهم حدوداً خاصة بهم ، كما جعل للدعوة الإسماعيلية حدوداً خاصة بها .

(١) التنظيم المادى ، أو الحدود الدينية عند النزاریة :

كان تنظيم المجتمع النزاری ، الذى التف حول الحسن الصباح من أهم ما كان هذا الزعيم يهتم به ، فقد كان يعلم أن مجتمعا كمجتمعه ، الذى امتاز بالثورة على الجميع ، عباسيين كانوا أو فاطميين ، يجب أن يعيش فى أمان ، ويجب أن يسوده الإخاء ، حتى يستطيع أن يقف على قدميه أمام العداء المضطرد ، الذى كان يحيط بهم جميعا . ومن ثم عمل على تقسيم مجتمعه



هذا إلى مراتب ، أو بالأحرى إلى مدارس ، يتمتع بالبقاء في كل منها جماعة لهم صفاتهم الخاصة ، وجعل أصحاب هذه المراتب جميعا يتجهون إلى هدف واحد ، هو تقديس إمامهم المستور ونائبه ، أى الحسن نفسه ، وجعل الأخوة أهم عناصر حياتهم .

ولم يشأ الحسن الصباح أن يجعل جميع أعضاء مجتمعه جنودا يحملون السلاح في وجه الأعداء ، بل أوقف على حمل السلاح جماعة ممن اشتهروا بالقوة البدنية ، فجعل دأبهم تهديد الأعداء بخناجرهم المسمومة ، وهؤلاء هم الفداوية ، الذين يبذلون أنفسهم رخيصة في سبيل إمامهم ونائبه . وبهذه الوسيلة استطاع بقية أعضاء مجتمعه ، أن يتوفروا على أعمالهم العمرانية ، زراعية كانت أو تجارية أو صناعية . على أنهم جميعا كانوا ، إن جدد الجدد ، وحزب الأمر ، يحملون السلاح ، للدفاع تارة ، والهجوم أخرى . وسنرى من استعراض مراتب الدعوة النزارية ، مدى نجاح الحسن في تنظيم مجتمعه من هذه الناحية المادية ، التي تعتمد في تصوير هذا النظام على جعل الحسن نفسه شخصية واقعية ، لها مكانتها في عالم الدعوة الجديدة .

مراتب الدعوة النزارية ، أو تقسيم حدود الدعوة

المرتبة الأولى : مرتبة شيخ الجيل .

جعل الحسن الصباح مراتب دعوته المادية محصورة بين المستجيب العادي ، ونائب الإمام ، أى رئيس الدعوة الجديدة ، وجعل عددها سبعة .



وكان الحسن يلقب نفسه بلقب رئيس الدعوة Un Grand Maître ولا غرو فقد أصبح هذا الزعيم الرأس المفكرة للدعوة الإسماعيلية في فارس وخراسان ، منذ عاد من مصر في سنة ٤٧٢ م ، وباحتلاله قلعة «الموت» في سنة ٤٨٣ هـ ، آلت إليه رئاسة الإسماعيلية من الناحية العملية ، وجموت الخليفة المستنصر سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) ، ومناذاته بإمامة نزار ، آلت إليه رئاسة الدعوة الإسماعيلية بفارس وخراسان من الناحية الروحية أيضا ، فجمع في يده ، منذ ذلك التاريخ ، رئاسة الدعوة بشقيها ، العملي والروحي ، فأصبح جديرا بأن يسمى «رئيس الدعوة الجديدة» . وكان مجتمعه الذي صاغه بيديه ، يحتوى على جميع مقومات الدولة ، ويتمتع هو بكل ما كان الملوك والسلاطين يتمتعون به من نفوذ ، ومع ذلك لم يلقب نفسه بلقب ملك أو سلطان .

ومن ألقاب الحسن ، باعتباره رئيس الدعوة النزارية ، لقب «مولانا» ولقب «سيدنا» (١) ، وهذان اللقبان إن دلا على شيء فإنما يدلان على مدى تقديس النزارية للحسن . وما تجدر الإشارة إليه أن واحدا من خلفاء الحسن ، من الدعاة ، لم يلقب بلقب «السيد» ، أو «سيدنا» ، وإنما كان ذلك وقفا عليه وحده (٢) .

(١) رأينا مثل ذلك اللقب عند القرامطة الشماليين خاصة ، أتباع زكرويه بن مهرويه ، الذين كانوا يلقبون رئيسهم بالسيد ، وأطلقوا على الداعي انقرمطى ، القاسم بن أحمد ، لقب « نائب السيد » . كما رأينا النزارية يطلقون على كتاب سيرة الحسن الصباح اسم « ساراجوزاشت سيدنا » ، وينسبون إليه كتابا آخر ، يسمى « هفت باب بابا سيدنا »

Berchem : Epigraphie des Assassins des Syrie (٢)  
(J. A. 1897), p. 272.



على أن أكثر ألقاب الحسن شيوعا ، وبخاصة خارج نطاق جماعته ، لقب « شيخ الجبل » ، فقد انتشر هذا اللقب في العالم الغربي خاصة ، حتى لقد أطلقت الصليبيون على مقدم الدعوة النزارية بالشام ، فعبروا عنه بشيخ الجبل <sup>(١)</sup> Vetus Montes . ونحن نعلم أن لقب « شيخ » يدل على الوفاق والرياسة ، كما نعلم أن الحسن الصباح سن لانصاره سنة الاستقرار في قلاع قوية فوق قلع الجبال ، فأضحى خليفه بأن يسمى « شيخ الجبل » ، أي رئيس قلاعه <sup>(٢)</sup> .

وكذلك لما كانت رياسة الدعوة كلها في يديه ، وأضحى تعيين الدعاة وعزلهم مقصورا عليه ، أطلق عليه بعض لقب « داعي الدعاة » ، غير أنه كان يتمتع بنفوذ يفوق نفوذ داعي دعاة الفاطميين ، فقد كان مركز داعي دعاة الفاطميين قليل الأهمية ، لا يزيد كثيرا عن مركز قاضي القضاة ، ويستمد نفوذه من رجال الحكومة ، وغالبيتهم من غير الإسماعيلية . أما الحسن الصباح ، فكان سلطانه لا يحد ، فلا يستمد السلطان من أحد ، بل كان يلقى أوامره في آماوت ، فيتلقفها الإسماعيلية في جبال لبنان ، وفي كافة أنحاء مملكته الشاسعة .

---

(١) الشيخ : يستخدم هذا اللفظ لرؤساء القبائل العربية ، ورؤساء الطوائف الدينية ، وبخاصة المتصوفين والدرويش . وقد انتشر اسم « شيخ الجبل » في عامة آسيا ، وترجمه الأوربيون بكلمة عجوز الجبل The Old Man of the Mountain . وهذا خطأ بالطبع ، لأن المقصود رئيس القوم وسيدهم ، لا عجوزهم ومنهم .

(٢) Von Hammer ; Hist. de l'Ordre des Assassins , pp. 89-90



ولا نشك في أن الحسن الصباح كان يلقب نفسه في عهد المستنصر بلقب «حجة الإمام»، لأن هذا الخليفة جعله - كما رأينا - حجة على خراسان. كما لا نشك في أن كثيرا من ألقاب التعظيم هذه، إنما سمي بها بعد استقلاله عن مصر، فقالوا فيه: مولانا، وسيدنا، ورئيس الدعوة، وغير ذلك. وإن في تلقيبه هذه الألقاب، ما يشعرنا بانفصاله عن إسماعيلية مصر، وتكوينه قوة مستقلة لها كيائها الخاص. وقد ساعده على ذلك مادعاه أولا أنه «حجة الإمام» الظاهر - المستنصر - ثم ادعاه بعد ذلك أنه حجة الإمام المستور، نزار وأبنائه، وأنه لسان الإمام الناطق.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الحسن جعل وظيفة رئيس الدعوة الجديدة، مقصورة على المتفانين في الإخلاص للذهب الإسماعيلي، الذين وصلوا إلى أعلى درجاتهم. ولم يجعل لمبدأ الوراثة أى اعتبار في التمتع به، ولذلك عين بعده أحد هؤلاء المخلصين للدعوة، المتفانين في طاعة مذهبهم ورؤسائهم، فدل بعمله هذا على رغبته في إيجاد حكومة أخوية، يسودها الوفاق والإخلاص للذهب.

ولا يبعد أن يكون «المسبتارية» والداوية الصليبيين، قد أخذوا نظامهم الآخرى عن ذلك النظام الصباحي البديع، الذى صاغه الحسن بيديه. والحق أن الحسن أوجد نظاما ولم يوجد دولة، كدولة الفاطميين أو العباسيين، التى أفسدت الشكليات حكومتها. يقول دوزى<sup>(١)</sup> إن إمبراطورية الحسن لم تكن إمبراطورية عادية، كإمبراطورية الفاطميين مثلا، بل هى نظام أخوى



له دستوره الخاص ، وجميع شئونه موضوعة في يدي رئيسه .

ولما كان رئيس الدعوة النزارية - الحسن - قد وصل إلى أعلى درجاتها ، لم يعد في نظر أشياعه شخصا يخضع لنواميس الشرائع التي خلقت للعامة ، بل أصبح له مطلق الحرية في أن يفعل ما يريد ، ما دام قد تخطى حدود العامة . الذين من أجلهم نزلت الشرائع والتكليفات ، ولكن الحسن ، على الرغم من هذا كله ، كان يعمل على سيادة المبادئ الإسماعيلية والتكليفات الشرعية بين الاتباع ، ما ذلك إلا لأنه قد أدرك ببصيرته أن الإلحاد ، وإن كان قوة هدامة ، لا يمكنه الإبقاء على العروش التي يقيمها ، فها هي دولة القرامطة الملاحدة ، تذبذب كأن لم تغن بالأمس ، وها هم الملاحدة الثوار ، الذين ثاروا على العباسيين ، كبابك الخرمي وأضرابه ، ينجحون لحد كبير ، ولكن إلحادهم نفسه كان وبالاً عليهم في نهاية الأمر .

ولما كان الغرض الذي يسعى إليه الحسن هو تأسيس دولة ثابتة الدعائم ، لتبقى ما بقي الدهر ، فانه نشر بين جماعته التظاهر بالتشرف والورع ، والمحافظة على ظواهر الشريعة الإسلامية ، فقتل أحد أبنائه لاتهامه بشرب الخمر ، وقتل الآخر لاتهامه بالقتل ، وطرده رجلاً من خيرة أتباعه من قلعة الموت ، لأنه كان يطرب بمزماره فيها . كما عود نساء غزل الصوف ، ليقنتن من عمل أيديهن ، وغير ذلك كثير . وكان لهذا كله أثر في سياسة خليفته الداعيين - الكيا بزر جميد ( ٥١٨ - ٥٣٢ هـ ) ، وابنه محمد الأول ( ٥٣٢ - ٥٥٧ هـ ) ، مع أن الغرض الأساسي لأولئك الذين كانوا يديرون دفة شئون النزارية ، إنما هو النهوض بالدعوة



الجديدة على أنقاض المذاهب السنية (١).

من هذا نرى أن الحسن الصباح ، رئيس الدعوة النزارية ، قد جمع في يديه إدارة شئون الدعوة والدولة معا ، فبينما هو يتمتع برئاسة الدعوة من عامة نواحيها ، إذا به يتمتع برئاسة دولة النزارية وحكومتها ، في فارس وخراسان والشام ، بل وفي الهند أيضا .  
المرتبة الثانية : كبار الدعاة .

إن كانت رئاسة الدعوة مقصورة على صاحب المرتبة الأولى ؛ فوظيفة كبار الدعاة مقصورة كذلك على ثلاثة من كبار رجالها ، ممن يثق الحسن الصباح بهم ثقة تامة ، وذلك أن الحسن الصباح ، قسم العالم الإسماعيلي النزاری إلى أقسام ثلاثة ، وأخذ يعمل على ترويج الدعوة بها جميعا ، كما جعل على رأس كل قسم منها ، واحدا من هؤلاء الثلاثة الرؤساء ، فوضع في كل من إقليم الشام وإقليم قوهستان بخوزستان ، وإقليم رودبار ، جنوبي بحر قزوين ، داعيا كبيرا . ولم يترك الحسن هؤلاء شيئا من الحرية والاستقلال ، بل ظل الرأس المفكرة التي يخضع الجميع لها (٢) .

وكان الحسن يطلق على كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة لفظ «بحر» . فالداعي الكبير (٣) ، إذن ، هو الذي يتولى رئاسة الدعوة دينيا وسياسيا في إقليمه الخاص ، أو في «بحره» الذي يعينه فيه كبير الدعوة ، ويخضع

Von Hammer's Hist. of the Assassins (Arabia (١) and Mahomet), p. 11.

(٢) البستاني : دائرة المعارف — لفظ إسماعيلي ( ج ٢ ص ٦٦٩ )

O'Leary : A Short Hist. of the Fatimid Khaliphate, (٣) p. 213.



مباشرة لآلوت ، لالقاهرة . وفي ذلك التعيين الدليل الساطع على استقلال الحسن الصباح عن إسماعيلية مصر ، وعلى الاختصاص منذ عهد المستعلي ، وانفراذه بالسلطة وحده ، ولا بد أن تكون تلك الوظيفة قد وجدت فقط بعد موت المستنصر (٤٨٧ هـ) . والداعي الكبير في عهد الصباح ، أشبه بالوالي تام الولاية عند السنيين . ومن أشهر كبار الدعاة النزارية السكيازرجميد في إقليم رودبار ، والحسين القيني في إقليم قوهستان ، وأبو طاهر في إقليم الشام . ومن هؤلاء كان ينتخب شيخ الجبل ، وبخاصة في عهد الدعاة .

#### المرتبة الثالثة : الدعاة .

وتقتصر هذه الرتبة على كل من يوثق في عقيدته وطاعته من النزارية ، ويكون قادرا - في الوقت نفسه - على نشر مبادئ الدعوة الجديدة - الدعوة النزارية - ، ويأمره بذلك من هم أعلى منه رتبة ، أي رؤساء الدعوة في آلوت ، أو كبار الدعاة في عواصم البحار ، الإسماعيلية المشهورة . ويكون الدعاة الدرجات العليا من درجات «الدعوة الجديدة» ، ويصلون في تعمقهم الديني والمذهبي ، إلى المعرفة الحقيقية لأسرار المذهب الإسماعيلي النزاری ، وإلى إدراك الغاية السياسية منه <sup>(١)</sup> . وهؤلاء الدعاة أيضا أكثر عددا ممن يصل إلى المرتبة السابقة - رتبة كبار الدعاة - .

وبعد أن كان السكثيرون يأخذون قسطهم العلمي في مدارس القاهرة ، أي في مجالس الحكمة بها ، أو على الأقل ينهلون من رجال تعلموا بتلك المدارس ،



أصبحت قلعة «آلوت» هي المركز الأساسي لتخريج هؤلاء الدعاة ،  
توجههم كيفما شاءت ؛ ولا غرو فقد أضجى نائب الإمام المستور ، مستقرا  
بها ، منذ سنة ٤٨٨ ، إلى سنة ٥٥٩ هـ ، وستصبح مقرا للإمام النزاری  
نفسه بعد سنة ٥٥٩ هـ .

وعلى أية حالة ، فإن الدعاة النزاریة هم الذين اعتنقوا مذهبهم النزاری ،  
وخضعوا خضوعا تاما للسلطة الدينية والمدنية ، التي يتمتع بها الرئيس  
النزاری الأكبر في «آلوت» ، وهم الذين يدعون الناس إلى مذهبهم ،  
ويرشدونهم إلى طريقتهم <sup>(١)</sup> ، أو هم - كما يقول دوزي - الرؤساء  
المستجيبون <sup>(٢)</sup> . ولا يمنع هذا اللقب (الدعاة) إلا لمن سبق أن تدرج  
في مراتب الجمعية السرية <sup>(٣)</sup> .

والحق أن الحسن الصباح قصر عمل الداعي على بث الدعوة الجديدة ،  
وعلى قبول المستجيبين إليها ، وإعطائهم العمود ، وأخذ المواثيق عليهم .  
وليس من شك في أن دعاة النزاریة كانوا يستقرون مع كبار دعاةهم في  
عواصم الأقاليم النزاریة الرئيسية <sup>(٤)</sup> ، كما أن كبار الدعاة كانوا يختارون  
من بين الموهوبين من هؤلاء الدعاة . على أن دعاة النزاریة لم  
يكونوا يتمتعون بتلك المكانة التي كان يتمتع بها زملاؤهم في عصر

(١) التاليد في مذهب أهل التوحيد ( نشر ميخائيل شارويم ) ، ص ١٠

(٢) Dozy : Essai sur l'Hist. de l'Islamisme, p. 303

(٣) سيد أمير علي : تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ص ٧٤

(٤) Sykes ; History of Persia, vol. ii, p. 38



الفاطميين، أو بالأحرى، دعاة «الدعوة القديمة»، حتى أن اسم «داع» قد غير وبديل، وحل محله اسم [معلم]، وهكذا، بمضى الزمن، أصبحت تلك الأسماء رمزية فقط؛ فوظيفة الداعي المعروفة في كتب الإسماعيلية النزارية حل محلها وظيفة المعلم، أى المعلم الدينى<sup>(١)</sup>، بل لقد كادت الدعوة التى كان يقوم بنشرها الدعاة عند الفاطميين، أن تقف وتتعلل عند النزارية، أللهم إلا فى مناسبات قليلة، كما لو أرسلت آلموت دعائها، أو بالأحرى معلمها الدينيين، إلى بلاد الهند مثلاً.

والحق أن الحسن الصباح اشترط فى الداعي أو المعلم الدينى «أن يكون بارعا فى التشكيك، ماهرا فى التلبيس، مقتدرا على إشراب القلوب مطالبه»<sup>(٢)</sup>. ومهما يكن من أمر، فإنه بفضل هؤلاء الدعاة النزارية، انفصلت فارس والشام، من الناحية المذهبية، عن «الدعوة القديمة»، وبفضل هؤلاء الدعاة النزارية أيضا، أخذت الدعوة طريقها إلى بلاد الهند؛ فكان الأغاخانية - أتباع أغا خان - غرس يد هؤلاء الدعاة.

#### المرتبة الرابعة : الرفاق Campanions

وتلك الطبقة تفقهت فى أصول المذهب الإسماعيلى تفقه جماعة الدعاة المأذونين بنشر الدعوة سواء بسواء، إلا أنهم لم يؤمروا بنشرها، فالأولون دعاة مأذونون بنشر الدعوة، أما الرفاق فإنهم دعاة لم يؤذن لهم بعد بنشرها. ويتلخص عمل الرفاق فى التفانى فى المحافظة على جماعتهم ومذهبهم، ولا يمكنهم الوصول إلى مرتبة الدعاة إلا بالتدرج، وبعد

Ivanow : Kalami Rir, p. xiiix (١)

(٢) الأفغانى : الرد على الدهرية (ترجمة الشيخ محمد عبده)، ص ٤٠.



اختبارات عنيفة طويلة الأمد <sup>(١)</sup> . ويظهر أن الرفاق كانوا يكونون الطبقات الدينية الدنيا من الدعاة المأذونين . وهكذا يعتبر الرفاق مستودعا هاما للدعاة ، بحيث لا يختار الداعي المأذون من بينهم إلا بعد أن يبرهن على قدرته وصلاحيته للقيام بالدعوة وتفهم أغراضها ومراميها .

#### المرتبة الخامسة : الفداوية

وهم الذين كان الحسن الصباح يستخدمهم في قتل أعدائه ومنافسيه غدرا ، وهم الذين يضحون أنفسهم فداء لرئيسهم . وهذا النوع من المستجيبين ، إنما اخترعه الحسن الصباح ، ليربط نفسه وعرشه بسواعدهم المفتولة . ولا يشترط في الفداوية التعمق في دراسة أسرار المذهب النزاری ، وإنما يشترط فيهم التفاني في طاعة رئيسهم ، بحيث يضحون بأنفسهم في سبيل تحقيق تلك الطاعة .

وقد استطاع الفداوية أن يكونوا آلة انتقام فتاة ، كما استطاعوا أن يخلقوا عصرا مليئا بالخوف والفرع . وما أحسن ما وصفهم به براون <sup>(٢)</sup> حيث يقول : « هم ملائكة النعمة ، وأداة الانتقام الفعالة في يد رؤساء النزارية » . ويقول فون همر <sup>(٣)</sup> في هذه الطبقة : إنها تجمل المذهب السري للدعوة الجديدة ، ولكنها السلاح الفعال ، والآلات الفتاة في أيدي رؤسائهم ، ليحققوا بهم رغباتهم وآمالهم .

وأهم ما يميز تلك الطبقة اتصاف أفرادها بالشجاعة النادرة المثال ،

Browne : Lit. Hist. of Persia, vol. ii, p. 206 (١)

Ibid. (٢)

Von Hammer : Arabia & Mahomet, p. 11 (٣)



والقدرة على التغلب على الصعاب والمخاطر ، التي يواجهونها أثناء  
بأدية وظائفهم وسفاراتهم الدموية . وكانوا يتمتعون بعزيمة لا تقهر ، وصبر  
لا حد له <sup>(١)</sup> ، ولا بدع في ذلك ، فقد يبق الواحد منهم شهورا ، بل سنين ،  
يتربق الفرصة ليفتك بغريمه ، وليس هذا فقط ، بل يجب أن يكون  
الفدائي من الشبان الأقوياء ، القادرين على رياضة الجسم وإعداده  
للعمليات ، كما يجب أن يكون قادرا على تعلم لغات عدة ، إن اقتضت ظروفه  
ذلك ، وأن يكون مستعدا للموت في سبيل تحقيق آمال سيده رئيس الدعوة .  
« فالحياة عنده لا تقارن بالسعادة الدائمة التي أعدت له إن أطاع ، وأن  
سقوطه قتيلا في سبيل دعوته ورئيسه ، لمنتهى السعادة والشرف ، له  
ولا بذاته والمقرين إليه » <sup>(٢)</sup> .

وبذلك نرى أن الإغراق في تعلم أصول «الدعوة النزارية» لم يكن من  
برامج هذه الطائفة - على ما سبق القول - وإنما ينصب برنامجهم الرئيسي على  
إجادة استخدام الخنجر ضد المعارضين <sup>(٣)</sup> ، فكان من أثر ذلك أن نشر  
هؤلاء الرعب واللع للذين كان يفرع لها الملوك من فوق عروشهم <sup>(٤)</sup> .

وهذا الصنف من المستجيبين لم يكن موجودا قبل ظهور «الدعوة  
الجديدة» ، الأمر الذي يميز النزارية عن سواهم ، فقد كان العنصران  
الرئيسيان عند غير النزارية من طوائف الإسماعيلية . هم الدعاة والرفاق ، أما

---

(١) Lockhart : Hasan-i-Sabbah (B.S.O.S. 1928-30), p. 680

(٢) St. Guyard : Un Grand Maître des Assassins, p. 23

(٣) Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins, p. 97

(٤) Browne : Lit. Hist. of Persia, vol. ii, p. 202



النزارية فإن أهم عنصر لديهم هم الفداوية . والحق ان الحسن الصباح كان يركز سياسته حول أمرين اثنين : أولهما ، الاستيلاء على القلاع ، وقد نجح في ذلك نجاحا يحسد عليه ، وثانيهما الاعتماد على خناجر الفداوية ، وكان نجاحه في هذا الغرض أعظم من نجاحه في الغرض السابق .

وبما لا ريب فيه أن الحسن الصباح أدرك بثاقب ذهنه نجاح الدعوة المحدود في آسيا ، في عهد الإمام المستنصر ، الخليفة الفاطمي ، وقبل عهده . فرأى ألا يكتفى فقط بنشر المذهب السري كالفاطميين ، حيث لا يملك الرؤساء سوى الحيلة والذكاء ، دون السواعد والأيدى الباطشة . كما أدرك أيضا أنه على الرغم من نجاح مدارس الدعوة بالقيروان والمهدية ثم القاهرة ، وعلى الرغم من نجاح الإسماعيلية في إضعاف العباسيين ، على الرغم من هذا كله ، فإن الإسماعيلية لم يتمكنوا من مد نفوذهم على ما كان يجب أن يكون لهم من بلاد ، فرأى الحسن إذن ، أن يوجد جماعة مخصصة لرؤساء الدعوة ، همها السيف والفتك بالعدو فقط (١) ، وهذه الجماعة وجدها في الفداوية . ولا غرو فهم الخلاصة المتبلورة من دعاة الأبي هاشمية ، الذين قلبوا العرش الأموي ، وأقاموا الدولة العباسية ، لكنهم لم يعملوا كدعاة أو معلمين ، وإنما كانت غايتهم تنفيذ أوامر رئيسهم الأكبر Le Grand Maître من القتل غيلة ؛ ولهذا كان الفداوية من أخطر الفرق السرية في العالم (٢) .

Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins. p. 86 (١)

O'Leary : A Short Hist. of the Fatimid Caliphate, p.214 (٢)



### المرتبة السادسة : اللاصقون .

ينتسب هؤلاء اللاصقون إلى الدعوة الإسماعيلية ، ولم يكن لهم عمل الدعاة أو عمل الفداوية ، فهم يأخذون العهد على الناس ، دون أن يكون لهم حق نشر الدعوة ، كما أنهم المستودع الهام الذي ينتخب منه الفداوية (١) ، وإذن فإنهم يدرّبون على الاستعداد للدخول في مرتبة الفداوية ، ومن ثم لم يكن مطلوباً منهم أن يتوغلوا في معرفة أسرار المذهب ، فلا يعرفون منها إلا القليل ، لذلك يقول براون (٢) : « إن اللاصقين هم الذين يأخذون العهد على المستجيبين ، دون أن يفهموا كثيراً من أسس المذهب » .

ويرى بعض من العلماء غير ما ذهبنا إليه ، فيعتقدون أن مركز اللاصقين من الدعوة أسبق في الترتيب من مركز الفداوية ، فهم لهذا أكثر معرفة بأسرار الدعوة من الفداوية أنفسهم (٣) .

### المرتبة السابعة : المستجيبون .

يكون المستجيبون المرتبة الأخيرة من مراتب الحدود الدينية عند النزارية ، فهم العامة *Peuple* ، أو المؤمنون *Fidèles* المبتدئون (٤) . وليس صحيحاً ما ذهب البستاني إليه في تفريقه بين العامة والمبتدئين (٥) ،

(١) Dozy : Essai. p. 305

(٢) Browne : Lit. Hist. vol. ii. p. 206

(٣) Ibid.

(٤) Dozy : Essai, p. 306

(٥) البستاني : دائرة المعارف ، ج ٣ ص ٦٢٩



إذ أن المبتدئين هم العامة لا سواهم ، وهم جميعا يكونون مرتبة واحدة من حدود الدعوة ؛ هي المرتبة الأولى - من مراتب المستجيبين . وعلى الرغم من أنهم لم يعرفوا الكثير عن المذهب الإسماعيلي ومبادئه وأسراره ، فإن عملهم الرئيسى كان ينصب على زعزعة عقائد الناس ، ممن يخالفونهم فى المذهب (١) .

وبهذا النظام البديع فى تكوين حدود المجتمع النزارى ، استطاع الحسن أن يجعل منه قوة متماسكة ، فنجح فى أن يحقق كل ما كان الإسماعيلية الأوائل يسعون إلى تحقيقه ، من تكوين مجتمع إسماعيلي لا يعرف أسرارَه إلا القليلون ، بينما يخضع السواد الأعظم لهؤلاء القليلين خضوعا أعمى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تمكن الحسن الصباح ، بفضل ذلك النظام ، وبفضل تكوينه جماعة القداوية المخاطرين ، من أن ينشر الاغتيال السياسى المنظم ، ذلك الاغتيال الذى كان له أثر يفوق أثر الجنود المنظمة ، والجيوش الجرارة فى الدول الكبرى .

ومما هو جدير بالذكر ، أن الحسن الصباح عنى كعامة فرق الإسماعيلية بالعدد سبعة ، فجعل حدود دعوته الدينية سبعة ، كما رأينا ، وجعل حدود دعوته الروحية ، ومراحل هذه الدعوة سبعة كذلك . وظل هذا النظام البديع ، الذى وضعه الحسن الصباح ، نبراسا يهتدى النزارية بهديه ، طيلة حكمهم الطويل (٤٨٨ — ٦٥٤ هـ) .



## ب — تربية الفداوية وتسميتهم

(١) تربية الفداوية .

يعتبر نظام الفداوية بدعة القرن الخامس الهجرى ؛ فقد ابتدع الحسن الصباح فى تربية الفداوية نظاما وصل بهم فى النهاية إلى الاعتقاد بأن رؤسائهم يفوقون البشر، فطاعتهم إذن واجبه . وكان يؤتى بأولئك الذين أعدوا ليكونوا «فداوية» أطفالا أو صديانا صغارا ، ويربون فى منازل الدعاة والرؤساء الروحانيين ، أو بالأحرى فى منازل خاصة بهم ، وكانت تربيتهم تقوم على تعليمهم حب المخاطرة ، واحتقار الحياة الدنيا التى لا تعد شيئا مذكورا ، بجانب الحياة الآخرة ، وما فيها من نعيم دائم ، فالدين الصحيح عند هؤلاء ، هو التفانى فى بذل نفوسهم رخيصة فى سبيل طاعة رؤسائهم .

يقول البستاني<sup>(١)</sup> : «كانوا يربون منذ نعومة أظفارهم ، منحصرين فى منازل الرؤساء ، تحت نظارة الدعاة ، فيعلمونهم أن سلامتهم متوقف على فداء أنفسهم ، وأن أقل مخالفة تكون سببا فى وقوعهم تحت العقوبة والمسئولية إلى الأبد ، وإن لم يبد منهم مخالفة يكون جزاؤهم الجنة .

وقديما سلك أبو سعيد الجنائى + ٥٣٠ هـ ، مؤسس دولة القرامطة فى بلاد البحرين ، ذلك المسلك فى إعداد جيشه ، ولكن الحسن الصباح وخلفاؤه ، عثوا بالناحية الروائية من الموضوع عناية خاصة ، فعملوا على

ص (١) دائرة المعارف ، ج ٣ ص ٦٣١ .



إعداد هؤلاء الفتيان لمجابهة كل أنواع المخاطر، وأنفقوا معهم فنون التخفي، حتى كان الواحد منهم يمثل دور التليذ أحيانا، ودور التاجر، أو الصوفي، أو الجندي، أو الفسيس، أو ما إلى ذلك، أحيانا أخرى.

وقد زاد براون (١) هذا الأمر وضوحا فقال: إن الفداوية كانوا يدربون التدريب الكافي على استعمال السلاح، وتحمل المشاق، وإجادة التخفي، وفوق ذلك كله، كانوا يتدربون على معرفة اللغات الأجنبية، حتى الأوربية منها. وكان هؤلاء الفداوية مغرمين بتمثيل أدوارهم في شكل روائى، فيقتلون الأمراء السنيين في أيام الجمع وفي المساجد، كما يقتلون الدوق، أو الأمير المسيحي، في الكنييسة تحت سمع المجتمع وبصره.

وقد يتسامل المرء عن الكيفية التي مكنت الحسن الصباح وخلفاءه من جعل أولئك الزراع البسطاء، وسكان الجبال الأجلاف، شجعانا يضرب بهم المثل في شجاعتهم، فلا يخافون الموت أو يرهبونه؟ والجواب على ذلك، أن الحسن الصباح جعل جميع أتباعه يؤمنون بأنه إنسان يفوق البشر عامة، ويستطيع الإتيان بالمعجزات، وفوق ذلك، فهو حجة الإمام، الذى يمتص منه العلم والمعرفة.

والحق أن الحسن الصباح كان قادرا على الإتيان بالحيل التي تشبه المعجزات، مما زاد في انجذاب الناس إليه. حتى لقد رعى بأنه حين طلب منه بعض أتباعه أن يقيم لهم برهانا على حضور الإمام نزار، قال لهم: الآية في ذلك، أن يطلع القمر في غير وقته، ومن غير مطلعه، ثم عمد إلى جبل هناك مرتفع شاهق، وأخذ شئنا شبيها بالدن (٢)

(١) Lit. Hist. of Persia, vol. ii, p. 209.

(٢) الدن. وعاء كبير، كالبرميل.



الكبير ، عمل خلفه ضموما ورفعته ، فلما رأوه بشر بعضهم بعضا بالإمام (١) . فكان مثل ذلك الادعاء ، وهاتيك الشعوذة ، وما تلقننه هؤلاء الفداوية في صغرهم من معلمهم ومرشديهم عن صفات الحسن الصباح الخارقة للعادة ، كان كل هذا من العوامل التي جعلت الفداوية يتسابقون في طاعته وطاعة خلفائه من بعده .

ويذهب الكثير من المؤلفين ، شرقيين وغربيين ، إلى القول بأن الحسن الصباح لجأ في إغواء الفداويين ، والتأثير في أذهانهم إلى إيهامهم أنه نبي ، بل إلى أنه أرفع درجة من النبي ، فجعل معلومهم يلقنونهم أن باستطاعة الحسن إدخال من يشاء منهم الجنة ، التي وردت في القرآن الكريم ، وأداه ذكاؤه الخارق . إلى تكوين حدائق ملأها بكل ما ورد في القرآن عن الجنات التي وعد بها المتقون . . . ولما كان الحسن على علم كبير بالطب ، وبخصائص بعض النباتات ، فقد أجاد في صنع مخدر يتناوله هؤلاء الشبان ، ثم يحملون إلى تلك الحدائق ، فإذا رأوا ما فيها ، أيقنوا أنهم بالجنة ، ثم يعودون بعدتناولهم المخدر ، لثاني مرة ، إلى مكانهم الأول ، فيسرد عليهم الرئيس كل ما رأوه في تلك الحدائق ، ويسردون هم لزملائهم ما شاهدوا . فيزدادون جميعا اعتقادا في نبوته ، بل في ألوهيته .

وقد كان لما ذكره ماركو پولو الرحالة الأوربي البندقى ، الذى عاصر الوزارة ، عن ذلك الموضوع أثره الكبير ، فطففت به

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ( مخطوط بدار الكتب المصرية ) ،

ج ١٢ ورقة ٦٩ ، متشبهها في ذلك بالمقنع الخراسانى ، الذى ثار على العباسيين في عهد الخليفة الثالث ، المهدي .



الكتب ، وامتلأت بالتعليق عليه ، الأمر الذى زاد تاريخ الفداوية وضوحا وجلالاً ، وذلك أن ماركو پولو ، وصف إخلاص الفداوية لساداتهم من رؤساء «آلموت» ، وخصوصاً أيام رئيسهم السابع - الإمام علاء الدين (٦١٨ — ٦٥٣ هـ) ، فقال : إن شيخ الجبل أنشأ فى واد بين جبلين ، بالقرب من «آلموت» ، أجمل حديقة يستطيع العقل البشرى تصورها ، وجلب إليها جميع أنواع الفواكه الجميلة الموجودة فى العالم ، كما أقام بها القاعات الفخمة ، والمقاصير الآخذة بمجامع القلوب ، فكانت موهبة بالذهب ، ومزينة بصور كل ما هو جميل فتان . زد على ذلك ما أنشأه فيها من قنوات يجرى فى بعضها الخمر وفى بعضها اللبن ، وفى البعض الآخر العسل أو الماء الشهى (١) ، وهناك أيضاً نساء وقتيات (٢) ، وقد جعل شيخ الجبل القوم يعتقدون أن هذه الحديقة هى الجنة بعينها ، فبناها على النمط الذى ذكره الرسول للعرب ، ووعدهم بأنها من نصيب المتقين ، وفيها فوق ذلك ، الحور العين ، والغلمان «كأنهم أولؤ مكنون» ، وهذه الوسائل اعتقد النزارية أن هذه هى الجنة نفسها الواردة فى القرآن الكريم .

وكان شيخ الجبل - كما وصفه ماركو پولو - يبقى بقصره فى آلموت غالباً ، أو فى معسكر خاص ، جميع الشبان ، الذين اختيروا ليكونوا فى طبقة الفداوية ، ولم يكن يقل عمر الواحد منهم عن اثنى عشر عاماً ، ولا يزيد على

(١) يتمثل بقول الله تعالى فى الجنة : « مثل الجنة التى وعد المتقون » فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات » سورة محمد ، آية ١٥ .  
(٢) لقوله تعالى : « وحور عين كأنثال اللؤلؤ المكنون » سورة الواقعة



العشرين ، وكانوا ممن تبدو عليهم المقدرة الزائدة على حمل السلاح . كما كانوا يلقنون كثيراً عن الجنة التي وصفت في القرآن ، بحيث يطابق ما ورد في القرآن عنها جميع أوصاف حديقة شيخ الجبل ، وكان الرئيس النزاري - الحسن الصباح وخلفاؤه - يستخدم أربع الوسائل لإيصال أولئك الشبان إلى الحديقة ، فيحملون إليها ، حسب ما يريد هو ، فتارة يكونون أربعة ، وتارة عشرة . وأخرى عشرين .

والطريقة التي يسلكها شيخ الجبل مع الفداوية ، هو إحضارهم إلى منزله ، ثم يجلسهم في حضرته ، ويتسامر معهم ، ويعطيهم بعد ذلك مشروباً مخدراً ، يسقطون بعده نياماً ، فيحملون إلى الحديقة ، ويوقظون هناك ، فيرون أنفسهم في تلك الحديقة التي سبق وصفها ، فيعتقدون أنهم في الجنة ... ويجدون هناك كل ما تصبو نفوسهم إليه ، ويودون البقاء فيها مدى الحياة ، ولكنهم سرعان ما يغادرونها رغم أنوفهم ، فينومون من جديد ، ويحملون إلى دار رئيسهم ، وإلى المجلس الذي كانوا فيه ، فإذا ما أفاقوا وجدوا أنفسهم في نفس المكان الذي كانوا فيه من قبل ، وإذا سألهم الرئيس عن المكان الذي كانوا به ، أكدوا له أنهم كانوا بالجنة التي وعد بها المتقون . ثم يندفعون يقضون مارأوا ، كل هذا وشبان القصر الآخرون واقفون ينصتون ، فيزداد الجميع تحرقاً ورغبة في الذهاب إلى هذه الجنة ، فيلتب شعورهم ، ويستعدون للدوت كي يذهبوا إليها ، ويشتاقون جميعاً إلى اليوم الذي يموتون فيه ليدركوها .

ويلجأ شيخ الجبل بعد ذلك إلى طريقة التجربة ، فإذا ما أراد قتل



رجل عظيم ، أخذ يوفد هؤلاء الشبان إلى الجهاد المجاورة ، ويعين لهم فريسة يختارها بنفسه ، ويرسل وراءهم جواسيسه . ليروا أى الشبان أقدر على القيام بتنفيذ المهمة المقبلة ، فإذا ما انتهوا من مهمتهم الأولى ، عادوا جميعا إلى قصر رئيسهم ، فيختار منهم من يقوم بقتل ذلك الرجل العظيم ، الذى يريد قتله ، ويخبرهم أنه إنما أمرهم بذلك ليرسلهم ثانية إلى الجنة التى تمتعوا بها حيناً ، ثم يقول لهم : « اذهبوا واقتلوا فلانا ! فإذا مُسِّم فإنكم لا محالة ذاهبون إلى الجنة » . ولكم يكون عظيماً سرور من يقع عليهم الاختيار لتنفيذ رغبة الرئيس الزارى ! . وهكذا لا يمكن لكائن من كان أن يفر من الموت إن أراد شيخ الجبل قتله <sup>(١)</sup> . هذا ، وكان شيخ الجبل يقتل الغداوية الذين يعودون سالمين بعد أداء سفاراتهم الدموية <sup>(٢)</sup> .

ولكن أمن الممكن أن يكون كل ما ذهب إليه ماركو پولو صحيحاً ؟ يرى ما لىكوم <sup>(٣)</sup> وغيره من المؤرخين أن ذلك محض افتراء ، ويستدلون على هذا بأن الحسن الصباح كان يقتل شاربى الخمر ، فلا يعقل إذن أن يبيع شرب المخدرات ، التى أطلق عليها المؤرخون اسم « الحشيش » . ولكن قات هؤلاء العلماء أن الحسن الصباح كان رجل سياسة ، لا رجل دين فقط ، وأنه لجأ إلى التظاهر بالتدين لينال مآربه كاملة فى جذب الأشياع . وفاتهم كذلك أن ينصتوا لأقوال العلماء الشرقيين القدماء خاصة ، حيث قالوا فى الحسن الصباح : « وكانت سيرته فى دعائه ألا يدعو إلا غيباً

Ricci : The Travels of Marco-Poolo, pp. 50 — 52 (١)

Ibid. (٢)

Malcolm : The History of Persia, vol. ii, p. 245. (٣)



لا يفرق يمينته من شماله ، ومن لا يعرف أمر الدنيا ، ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى تنبسط دماغه ، (١) .

وإذن فإن إعطاء المخدر ، أيا كان نوعه ، كان يعرفه عند الدعاة النزارية ورئيسهم الحسن . على أننا نوافق ما الكولم في أن تعاطى ذلك المخدر « الحشيش » كان محرما على العامة من الإسماعيلية . ومن المحتمل جداً أن يكون امتلاك تلك المادة مقصورا على الحسن وحده ، وعلى قليل من يثق بهم ، ولا نستبعد ذلك على الحسن الصباح ، لأنه كان على شيء كبير من معرفة خصائص النبات - على ما تقدم القول - .

والشيء الذي لا يمكن إنكاره ، هو عظيم تأثير الحسن في أتباعه ، ذلك التأثير الروحي ، الذي ساعده على تنفيذ مآربه السياسية ، ولكن لا يبعد عليه أن يضيف إلى ذلك التأثير الروحي تأثيرا ماديا آخر ، خصوصا بعد ما رأينا بعض رجال الدين في الشرق - الوهابيين - والغرب - الباباوات - يبيعون لأتباعهم القصور الفخمة والضياع الواسعة في الجنة (٢) وأن هؤلاء كانوا يجدون كل تصديق وتضحية من أتباعهم .

ولم يكن هذا كل ما كان الحسن الصباح يفعله في تربية الغدواية ، فقد أخذ على عاتقه تأليف المكتب في طرق تربيتهم ، وفي الوسائل الأخاذة التي

(١) ابن الجوزي : تلبس إبليس ، ص ١١٧ .

(٢) يرى جويارفي كتابه (Un Grand Maître, p. 22) أن أحد الوهابيين طعن رئيسا من رؤساء العرب بالقرب من البصرة ، ولم يشأ أن يعيش بعد فريسته ، فقتل نفسه ، وهو يقبض في يده على ورقة ، فيها أن رئيس الوهابية باعه بحياته قصرا من زمرد ، وعددا من الخور العين ، في أحسن بقعة من بقاع الجنة .



تجيبهم إلى رياسة الدعوة ، وتدعوهم إلى الإخلاص والطاعة ، الأمر الذى ساعد أولئك البسطاء على أن يكونوا - كما قال جويار (١) - آلة انتقام رهيبة في يد الرؤساء النزارية .

وفي الحق أن الجماعتين الخطيرتين اللتين تعرض الإسلام لهما ، وهما النزارية والصليبيون «الفرسان» ، كانت كل منهما تخضع خضوعاً لا حد له لرؤسائها الروحيين ، فلم يكن للسواد الأعظم ولا للعامة منهم إلا اتباع أوامر الرؤساء . وإذا صدقنا أن البابا إربان الثانى ، وغيره من البابوات ، أعلنوا أن من يسقط من الصليبيين فى القتال قيد فى المملكة الألهية The Kingdom of Heaven ، وأن أثر ذلك الإعلان كان عظيماً بين الصليبيين ، إذا صدقنا هذا ، فلم لا نصدق ما ذهب البعض إليه ، من القول بأن الحسن الصباح كان يوم أتباعه بجنة يتمتعون بها ، وأنه اعتمد فى البرهنة على دعواه هذه بأمر مادية ، هى ما رأيناها ؟

على أن القتل الذى برع الفداوية فيه ، لم يكن للانتقام وحده ، بل كثيراً ما اتخذ الحسن وسيلة لإرضاء الأصدقاء ، والحصول على الأموال يملأ بها خزائنه . وكان النزارية ينظرون إلى من يقتل من الفداوية على أنه من الشهداء ، ويقدمون المال والهدايا إلى ذويه ، ويعتقونهم إذا كانوا من الأرقاء (٢) .

وهكذا كان الفداوية ، على ما يقوله الصليبيون أنفسهم ، يعتقدون

(١) St. Guyard : Un Grand Maitre des Assassins au Temps de Saladin, p. 22.

(٢) Taylor : Hist. of Mohammedanism & Its Sects, p. 218



« أنهم بالموت يفوزون بجنات النعيم ، تحت مضارب من أرجوان ، في بساتين تجرى بين أشجارها الحملة بالآثمار الفردوسية ، سواق من لبن وعسل ، مع باقى الم لذات الجسدية بتمامها... ومن ثم كانوا يهجمون على أخطار الموت بلا افتكار بخوف ، لا ! بل كانوا يوجدون فيما بين أعدائهم ، بوجوه باشة ، ويقتبلون منهم العذابات والموت ، خلوا من مبالاة ، كي يذهبوا حالا إلى جنات النعيم <sup>(١)</sup> . ويرتبط بالفداوية البحث فى أسمائهم التى تميزهم عن سواهم .

## ٢ — تسمية الفداوية

اشترى الفداوية فى الشرق والغرب ، لما كانوا يقومون به من اغتيايات منظمة ، وأطلق الغربيون عليهم اسم « حشاشين » ، حتى أن الفعل الانجليزى - to assassinate إنما اخترع بعد الحروب الصليبية ، وقصد به القتل غدرا ، ويرى العلماء أن كلمة The Assassins التى يقصد بها القاتلين غدرا ، تحريف لكلمة « حشاشين » الذين يقصد بهم « الفداوية » ، لاشتهارهم بتناول هذه المادة المخدرة « الحشيش » . وإنك لترى العلماء الغربيين المعاصرين للنزاربة ، يطلقون عليهم جميعا هذا الاسم .

فيرى جوانفيل Joinville ، وهو من علماء القرن الثالث عشر الميلادى ، يطلق على النزاربة عامة اسم حاسوساسى Hasussassi أحيانا ، وأحيانا أخرى اسم أساسى Assacis . وليس من شك فى أن هذه

(١) مكسيموس : تاريخ الحروب المقدسة ، ج ١ ص ٢٤٦ .



الاسماء جميعا محرفة عن كلمة حشاشين أو حشيشية<sup>(١)</sup>. والحق أن الحسن الصباح كان ياجأ إلى استخدام تلك المادة - كما رأينا - وعلى الرغم من أنه لم يبع استخدامها لاتباعه ، فإنه كان يستخدمها لتحقيق مآربه ، حيث يجعلهم في حالة بتصور فيها المرء الوهم على أنه حقيقة<sup>(٢)</sup>.

وليس مذهبنا إليه بعيد التصديق ، بعدما رأينا العلماء الشرقيين يسمون النزارية الحشيشية؛ فترى أبا شامة<sup>(٣)</sup> وابن ميسر<sup>(٤)</sup> ، وكلاهما من علماء القرن السابع الهجري ، يطلقان على النزارية لفظ حشيشية . ومن ذلك نرى أن إطلاق كلمة حشيشية على الفداوية كان شائعاً بين السنيين أنفسهم ، في العهد الذي نتكلم عنه ، وأن العلماء الغربيين حرفوا تلك التسمية . ولكنهم اختلفوا في ذلك التحريف . فمن قائل : إن الفداوية كانوا يسمون «أساسيني» ، Assassini ، ومن قائل إنهم يسمون «أسيسيني» ، Assissini أو «هسّيسيني»<sup>(٥)</sup> Heississini ، ويسمهم كثير من ورخي الصليبيين «هاسيسين» Hassissins<sup>(٦)</sup>

(١) Joinville : Hist. de St. Lewis, p. 453

(٢) Von Hammer. Hist. de l'Ordre des Assassins p. 354.

(٣) و(٤) أخبار مصر لابن ميسر، ج ٢ ص ٢٨ ، وكتاب الروضتين لأبوشامة،

ج ١ ص ٢٥٩ .

(٥) Browne : Lit. Hist. of Persia, vol, ii, p. 294.

(٦) Recueil des Historiens occidentaux des Croisades, vol. ii, p. 190.



ويرى العلماء المحدثون إرجاع هذه الأسماء المختلفة إلى أصل واحد ، هو كلمة « حشيش ، Hashish ، ويقول دى ساسى : إن المكتتاب اللاتينيين حرفوا هذه الكلمة إلى مفردها - حشيشى Hashishi ، ونطقوها بألفاظ مختلفة ، منها ما تقدم ذكره (١) .

ويقرب صحة هذا إلى أذهاننا ما ذهب بارتولد إليه في قوله : « كانت للذهب هيئة سرية مكونة من الفدائيين المغالين في التعصب ، يؤمن أفرادها بإمكان قتل من يريدون قتله ، أيا كانت شخصيته . وكان لتعاطى « الحشيش » تأثير في شجاعة هؤلاء المتعصبين . وقد أخذت كلمة أساسين Assassins الفرنسية من كلمة الحشاشين العربية ، وتدل هذه الحالة على أن نظام الإسماعيلية - النزارية - ترك أثرا شديدا في الاوربيين في القرون الوسطى (٢) .

ويظهر أن شهرة استخدام تلك المادة في الشرق كانت ذاتعة في أوروبا منذ العصور الوسطى ، حتى القرن الثامن عشر ، حتى أن نابليون بونابرت - وهو بمصر - ( ١٧٩٨ - ١٧٩٩ م ) أصدر قرارا حرم فيه استعمال هذه المادة أو بيعها ، خصوصا بين الطبقات الفقيرة (٣) .

على أن استعمال ذلك الاسم اليوم « حشاشين » ، يختلف عن استعماله في زمن الحسن الصباح وخلفائه ؛ فإن المقصود به اليوم من يدمنون على

---

(١) Defremery ; N. Recherches (J. A. 1854), p. 358

(٢) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٨٦ — ٨٧ .

(٣) Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins, p. 354

وقديما فعل الظاهر بيبرس ذلك وأشد منه . انظر كتابنا « إسماعيلية الشام من أقدم العصور حتى اليوم » .



تعاطى مادة « الحشيش » ، أما المقصود به في الزمن الذي تتناول الكلام عليه ، فإنما هم قوم برعوا في فنون القتل ، وقد فهمنا مما تقدم ، العلاقة بين استعمال تلك المادة وبين القتل غيلة ( القتل السياسي المنظم ) . وما لامرأه فيه ، أن الكتاب حين كانوا يذكرون تلك التسمية ، كانوا يطلقونها على جميع النزارية ، وهذا خطأ ، لأن ذلك الاسم ينطبق فقط على جماعة من الفداوية ، ممن تناولوا هذا المخدر ، وقد أخذ العلماء يتفننون في إرجاع تلك التسمية إلى أصول مختلفة غير « كلمة حشيش » .

فيعتقد كازانوف أن هناك علاقة بين الكلمة السكسونية « سكس » Seax ، ومعناها السكين ، وبين كلمة حشيشية أو حشاشين . وهذا تعسف ظاهر ، حيث يريد الكاتب تطبيق الاسم على المسمى ، بإتيانه بكلمة لا يعرف لها علاقة البتة بكلمة « حشيش » أو « حشاشين » . ومثل كازانوف من يحاول إرجاع تسمية الفداوية ( الحشاشين ) إلى كلمة « شاهنشاه »<sup>(١)</sup> ، فأى ارتباط بين كلمة شاهنشاه وكلمة حشاشين أو حشيشية ؟

ويرى آخرون أن كلمة « أساسين » Assassins مأخوذة عن كلمة عبرية هي Essenes ، ومعناها « يقتل » . وكل هذه آراء بعيدة التصديق . وقريب من هذا ما ذكره البستاني في دائرة معارفه حين قال : إن لفظ « أساسين » حرفها الفرنيجة عن كلمة « عساسين » ، ومفرداها « عساس » ، أى

---

(١) Browne : Lit. Hist. of Persia vol. ii, p. 203



حارس ، لأن النزارية كان من عملهم حراسة البلاد من السرقات (١) .  
وهذا الرأي رغم وجاهته ، لتقارب النطق بين كلمتي « حشاشين »  
و « عساسين » ، لا يقوم على أساس تاريخي صحيح ، إذ لم نجد مؤلفا  
عربيا واحدا ذكر ذلك ، هذا إلى أن كلمة « عساس » لا تدل على المعنى  
الدقيق المقصود من الفداوية ، وهو القتل غيلة ، والاشتهار كذلك بتعاطي  
مخدر مخصوص هو الحشيش .

وعلى الرغم من ذلك الاختلاف فإن هناك أمرين جديرين بالملاحظة :  
أولهما : أن الكشيرين من المؤرخين يؤكدون استخدام رؤساء  
الدعوة النزارية لمادة مخدرة تعرف « بالحشيش » ، تستعمل في إحدى  
مراتب الدعوة فقط ، أى للفدائية لا غير . دون تشجيع استخدامه  
للمراتب الأخرى (٢) .

ثانيهما : أن أولئك الفداوية اشتهروا بالقتل غيلة ، فحاول العلماء  
جعل اسم الحشيشية ينطبق على ما عرف عنهم من سفك الدماء ، فأتوا  
بآراء مختلفة ، معظمها غير قابل للتصديق .

ويصح أن نأتى برأى آخر هو : إذا كانت كلمة أساسين Assassins  
تعنى القتل ، وأنها قد اشتقت أو حرفت عن كلمة « حشاشين » ، وهم الذين  
اشتهروا بالقتل غدرا ، كما اشتهروا باستخدام مادة الحشيش على النحو الذى  
شرحناه ، فلم لانرجع ذلك إلى أصل عربي بحث؟ فنقول : إن كلمة حشاشين

(١) البستاني : دائرة المعارف ، ج ٣ ص ٦٢٦ .

(٢) Browne ; Lit. Hist. of Persia, vol. ii, p. 206



محرفة عن كلمة حسّاسين ، ذلك أن كلمة « حسّ » في اللغة العربية معناها استأصل قتلا . وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده ، إذ تحسونهم بإذنه » (١) أي إذ تستأصلونهم وتبديونهم قتلا باذن الله . وقد ورد في القاموس ما نصه : « حسّ » حسوهم : استأصلوهم قتلا . وبابه رد . ولما كان اسم الفاعل من هذا الفعل هو « حاس » بمعنى قاتل ، وصيغة المبالغة منه هي « حسّاس » بمعنى الكثير القتل غيلة ، وجمع التذكير السالم من صيغة المبالغة هو « حسّاسون » أي كثيرو القتل والاستئصال ، لما كان ذلك كذلك ، فانه لا يبعد أن تكون كلمة حشاشين محرفة عن كلمة حسّاسين .

ولزيادة التوضيح نقول : لما للنزارية ، وبخاصة الفداوية منهم ، من شهرة في الاغتيال المنظم بولغ في وصف خطرهم ، فأطلق عليهم اسم « حسّاسين » لكثرة ما كانوا يرتكبونه من اغتيالات . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، حرفت كلمة « حسّاسين » إلى أسّاسين عند الفرنجة ، وإلى حشيشية عند مؤرخي العرب . ولنعقد أنه ليس هناك إسراف أو مبالغة فيما ذهبنا إليه ، فإن انطباق المعنى الحرفي لهذه الكلمة « حسّاس » حساسين على جميع أعمال الفداوية ، يقرّبنا إلى تصديق صحته .

على أن هناك رأيا آخر يكاد يكون وجيها ، وهو أن كلمة أساسين Assassins ، المعروفة عند الأوربيين ، تحريف لكلمة « حسنين » ، نسبة إلى الحسن الصباح . ذهب إلى ذلك جماعة من المؤرخين وعلى رأسهم الدكتور (٢) .

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥٢ .

(٢) Malcolm ; The History of Persia, vol. i, p. 241



ويرتبط بالكلام على أسماء الفداوية ، البحث في تسمية أنصار الحسن الصباح ، فمن العلماء من يسميهم « باطنية » ، كالغزالي وغيره ، وهذه التسمية عامة ، تشمل أتباع الصباح وغيرهم من طوائف الإسماعيلية ، كما تشمل غير الإسماعيلية ، ممن يقولون بالباطن . ومثل ذلك تسميتهم السبعية ، أي القائلون بالآئمة السبعة ، لأنها تشمل جميع فرق الإسماعيلية حتى الدروز والقرامطة منهم . وخير تسمية لأتباع الحسن الصباح ، هي « النزارية » ، لأنهم نادوا بعد موت المستنصر بإمامة ابنه الأكبر نزار ، وتفاخروا في ذلك ، وكان اشتهارهم بالنزارية أكثر من اشتهارهم بالحسينيين ، لأن الحسن الصباح لم يشأ أن يظهر بما يدل على ثورته على نزار - إمامه المستور - كما لم ير مؤلفا واحدا معاصرا أطلق على الحسن اسم « الحسينيين » .

وأما تسميتهم « الفداوية » فتسمية ناقصة ، لأن الفداوية طبقة من طبقات النزارية ، فهي إطلاق الجزء على الكل ، ومثل ذلك تسميتهم الحشيشية أو الحشاشين ، لأن تلك التسمية لا تنطبق إلا على الفداوية وحدهم .

ويرى بعض العلماء أن اسم « حشيشية » أو حشاشين خاص بنزارية الشام . والحق أن نزارية الشام ونزارية فارس سواء في كل شيء ، فلا معنى إذن لهذه التفرقة . وأما تسمية أتباع الحسن « ملاحدة » ، فيكاد لا ينطبق عليهم كثيرا في عهد هذا الزعيم ، ولا يمكن انطباق هذه التسمية عليهم إلا بعد سنة ٥٥٩ هـ - كما سبق القول - أما إذا قصد بالإلحاد العدول عن ظاهر الكتاب إلى باطنه ، واللجوء إلى التأويل ، فإن



تلك التسمية لا تميزهم عن سواهم من فرق الباطنية . وأما ما ذهب إليه ابن خلدون من تسمية أتباع الحسن الصباح بالقرامطة (١) ، فصحيح من ناحية كونهم جميعا إسماعيلية ، ومن ناحية اتفاقهم في الثورة الصريحة على الدين والدولة معا ، ولكنه خطأ من ناحية أخرى ، إذ أن القرامطة غير النزارية بالطبع .

### (ح) التنظيم الروهي في المجتمع النزارى

وإذا كان الحسن الصباح قد وضع كل عضو من أعضاء جماعته في المركز الدينى الذى يجب أن يشغله في حياته ، بحيث كان الجميع ، من الناحية العملية ، يخضعون خضوعا أعنى للحسن نفسه ، فإنه لم يهمل الناحية الروحية ، ونظم مجتمعه الإسماعيلى تنظيما روحيا ، بجانب تنظيمه العملى ، بحيث ينتهى بهم جميعا إلى الخضوع للإمام الغائب ، فقسم المجتمع النزارى إلى سبع مراتب : تبدأ من المستجيب العادى ، وتنتهى بالإمام النزارى الغائب ، وغرضه من التقسيم الروحى ، جذب قلوب الأشباع إلى الإمام ، والظهور أمامهم بمظهر التابع الوفى لإمامه ، حتى يتكالب الجميع فى رفع منار دعوة هذا الإمام . وبما تجدر الإشارة إليه أن الحسن كان يعتقد أن إمامه المستور هو نزار ، ثم أبنائه من بعده ، ويرى أن الإمام المستور دخل فى دور الاختفاء ، وأنه حتى يترقب الفرصة للظهور ، وأنه فوق هذا وذاك منبع العلوم والمعارف ، وأنه معين بالنص من الله تعالى .



وتشغل رتبة الإمامة في هذا التقسيم الروحي المقام الأول ، ولم يكن لهذه المرتبة في التقسيم المادى السابق وجود . وقد اهتم الحسن بمبدأ الإمامة ، وأخذ يؤلف الكتب الكثيرة فيها . حتى لقد أفاد الحسن الثانى النزارى — الرئيس الرابع — ( ٥٥٧ — ٥٦١ هـ ) من هذه الكتب وتلك المبادئ ، التى كان الحسن الصباح يروجها ، واستغلها في دعواه بأنه الإمام المستور . وبهذا نرى أن الحسن الصباح قد أعاد مبدأ الاستتار ، الذى كان ينادى به أبناء القداح ، رؤساء الدعوة الإسماعيلية الأوائل ، في عصر الستر الأول . وقد ظل دور الستر النزارى منذ خلقه الحسن الصباح سنة ٤٨٨ هـ ، حتى سنة ٥٥٩ هـ ، حين نادى الحسن الثانى السابق المذكور ، بنفسه إماما ، وقال : إنه هو الإمام النزارى المستور . وتلى رتبة الإمام رتبة « الحجة » ، نائب الإمام . وهذه الرتبة تمتع بها الحسن الصباح ، منذ سنة ٤٧٢ هـ ، حين عينه المستنصر « حجة » على خراسان . ووظيفة « الحجة » عند النزارية لها مكانتها السامية ، فهى كما سبق القول ، تفوق وظيفة داعى الدعوة الفاطمى ، بل تفوق وظيفة « الحجة » عند الفاطميين أنفسهم ، ولا غرو ، فإن « الحجة » الفاطمى ينزوب عن إمام ظاهر ، على حين ينزوب « الحجة » النزارى عن إمام مستور ، فهو والحالة هذه أكثر نفوذا .

أضف إلى ذلك أن النظام الفاطمى كان يجعل للدعوة الفاطمية « حججا » كثيرين ، يصلون أحيانا إلى أربعة وعشرين « حجة » ، أما فى النظام النزارى الروحى ، فليس هناك سوى « حجة » واحد ، هو الحسن الصباح ، ثم خليفته من بعده بالتتابع . ومهما يكن من شئ ،



فإن الحججة، للنزاري كان يتمتع في نظر النزارية، بما كان يتمتع به الإمام نفسه، من التقديس والإجلال، كما أنه يأخذ العلم والمعرفة عن الإمام، وكذلك لا يمكن أن يكون هناك إمام بدون حجة؛ فالحجة ظل الإمام. لا يفارقه، ومن ثم وجب على الأشيع أن يولوه الطاعة التي يولونها الإمام نفسه. وبفضل هذا كله، كان الحسن يتمتع بشيء كبير من السلطان المطلق. ووظيفة الحججة، في التقسيم الروحي تطابق مرتبة «شيخ الجبل»، أو «رئيس الدعوة» Le Grand Maître، في التقسيم المادي سالف الذكر.

ولكن يجذب الحسن الصباح الاتباع إليه، وإلى خواص أنصاره ورؤساء دعوته في الأقاليم المختلفة، كان يقول: إن للحجة نوابا ينوبون عنه، يسمى واحد منهم «دامصة»، وهذا يمتص العلم عن «الحجة»، كما يمتصه «الحجة» عن الإمام، وموقفه من «الحجة» موقف «الحجة» من الإمام، سواء بسواء. ونعتقد أن الحسن الصباح، إنما قصد بذلك المبدأ، تبرير تعيين كبار الدعاة شيوخا للدعوة في كبريات الأقاليم (البحار) الإسماعيلية؛ لأنه إذا كان «دامصة» يمتص العلم من «الحجة» ويمتص «الحجة» العلم عن الإمام، فإن «دامصة» بالتالي، يأخذ معارفه عن الإمام بطريق غير مباشر، وهذا وحده هو ما حدا بالنزارية إلى التفاني في طاعة الداعي الأكبر - شيخ الجبل الثاني - الرئيس السكيا بزرجميد (٥١٨ - ٥٣٢ هـ)، و«شيخ الجبل الثالث» الرئيس محمد الأول، رغم أنهما كانا من كبار الدعاة فقط. وبذلك نرى أن هذه الرتبة في ذلك التقسيم، تطابق مرتبة كبار الدعاة في التقسيم الأول. ويأتي «الداعي» بعد «دامصة». والداعي في التقسيم الروحي



هو نفسه في التقسيم المادى لحدود الدعوة . ويسمى الداعى الزارى أحيانا «بابا» ، أى أنه باب الإمام عن طريق الحجة . فإن كان «الحجة» «باب» الإمام المباشر ، فإن الداعى «باب» الإمام غير المباشر ، لأن الداعى «باب» «الحجة» الذى هو «باب» الإمام (١) .

على أن رتبة «المأذون» تلى رتبة الداعى ، ويظهر أن عمل المأذون جزء من عمل الداعى ، أو على الأقل ، كان «المأذون» يمد الأمور للداعى ؛ فكان يأخذ العهد على المستجيبين ، مما يدل على أن التأثير فى الناس وبث أصول المذهب الزارى ، كان من عمل الدعاة ، وإن كان أخذ العهد على المستجيب من عمل «المأذونين» .

وبلى رتبة «المأذون» رتبة «المكبين» ، سمو بذلك تشبيها لهم بكلاب الصيد ، لأنهم «ينصبون للناس الحبائل» ، ويكيدونهم بالغوائل ، وينقضون على كل عاقل ، ويلبسون على كل جاهل (٢) . ومن هذه التسمية نرى الصراع المحتدم بين الزارية وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى ، ونرى اعتماد الزارية على طائفة «المكبين» فى زحزحة عقائد من يخالفهم فى المذهب ، والوصول إلى قلوبهم ، وغزوها بشتى الوسائل ، التى برع فيها الزارية .

أما الرتبة السابعة ، وهى الرتبة الأخيرة ، فى التقسيم الروحى ، فهى رتبة المستجيب ، التى تشبه رتبة العامة فى التقسيم المادى ، وهى المدخل الأساسى للمذهب الإسماعيلى .

(١) الشاطبى : الاعتصام ، ج ٢ ص ١٨٣

(٢) الحمادى النيانى : كشف أسرار الباطنية ، ص ١٦



وهكذا اهتم الحسن الصباح بالمراتب الروحية ، فجعلها سبعاً ، مقلداً في هذا أستاذه الأول ، عبد الله بن ميمون القداح ، مؤسس المذهب الإسماعيلي . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، عمل الحسن على أن يضيف إلى التأثير المادى فى تقسيمه الأول ، تأثيراً روحياً فى تقسيمه الثانى . وقد كان للتقسيم الروحى أثره فى وحدة المجتمع النزارى ، إذ بفضل قوى مركز شيوخ الجبل وكبار دعائهم . وهكذا ساهم التقسيمان ، المادى والروحى ، اللذان ابتدعهما الصباح ، فى خلق جماعة إسماعيلية متماسكة .

### ( ٥ ) طرق الدعوة النزارية

كان تقسيم حدود المجتمع الإسماعيلي ، روحياً ومادياً ، ينصب على شخصيات الاتباع النزاريين ، أو بالأحرى على المستجيبين فى درجاتهم المختلفة . على أن الحسن الصباح ، وضع لجذب المدعويين وضمهم إلى نطاق الدعوة النزارية ، طرقاً مختلفة ، تدل فى مجموعها على اللباقة والقدرة فى التأثير على النفوس . ومن ثم قسم هذه الطرق إلى درجات سبع ، لا تختلف كثيراً عما وضعه عبد الله القداح ، أستاذ الإسماعيلية الأول . وتنتهى هذه الدرجات إلى شئ واحد ، هو إخراج المستجيب من عقيدته الأولى ، التى كان يعتقد أنها ، وإدخاله إلى حظيرة المذهب الإسماعيلي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، اتخذ الحسن الصباح خطوات الدعوة النزارية وسيلة لإرشاد دعائهم وتعليمهم ، حتى لا يضموا إلى مجتمعهم إلا الأعضاء النابغين الصالحين ، وهاء خطوات الدعوة النزارية ، كما وضعها الحسن الصباح



### الخطوة الأولى : التفرس

والمقصود بالتفرس، إدراك حالة المدعو إدراكا صحيحا، والوقوف على مكشوفات نفسه : هل هو قوى الإرادة ، أو يميل إلى التردد ؟ أهو سهل الانقياد ، أم صعب المراس ؟ ويظهر أن الحسن الصباح كان يجذب إلى دعائه اختيار المدعويين البسطاء - على ما رأيت - فأوجب عليهم ألا يدعوا الجهال الممعنين في الجهل ، أو المثقفين المتضلعين في العلوم والمعارف ، لأن الأولين لا يستطيعون فهم أسرار المذهب الزاري الإسماعيلي ، والمثقفين لا يستطيعون كتم أسرارهم ، وعلى هذا فإن هؤلاء وأولئك ، إذا ما انضموا إليهم ، سيكونون مصدر الضرر على المذهب الزاري . وهذا يفسر لنا لماذا منع الزارية . إلقاء البذر في الأرض السبخة ، والتسليم في بيت فيه سراج ، (١) .

والواقع أن التفرس، يقتضى من الداعى شيئا غير قليل من الذكاء ، كما يقتضى منه أن يدرس حالة المدعو الجديد من كافة النواحي ، وأن يتجسس عليه ، حتى يعرف خبيثة نفسه ، هذا إلى أن دراسة أخلاق الغير وطباعهم يقتضى لماما كبيرا بمبادئ علم النفس ، ومعرفة الطبائع البشرية ، بما كان يجبر الداعى على أن يكون عالما ، قادرا على الوصول إلى أعماق النفوس . ومهما يكن من شيء ، فإن خطوة التفرس ، من أخطر خطوات الدعوة الزارية ، فعليها تقوم الخطوات الأخرى .

---

(١) الشاطبي : الاعتصام ، ج ٢ ص ١٨٤ والأرض السبخة : العقول المفكرة ،

أو الجاهلة . والبيت فيه السراج : الموضع فيه الفقية .



### الخطوة الثانية : التأنيس :

والتأنيس، هو بعث الأمان والطمأنينة إلى نفس المدعويين ، الذين وافقوا على دخول المذهب النزاری ، ويكون « التأنيس » بإشباع ميول المدعو ، وإعطائه كل ما يميل إليه طبعه ، فإن كان تقياً أظهر الدعاة له التقوى ، وإن كان عريدا زينوا له العريضة ، واستصوبوا كل ما يعمل ، وأولوا تصرفاته تأويلا تأنس نفسه إليه .

والتأنيس ، كالتفريس ، يقتضى دراسة طبائع الناس ومعالجتها بكل ما يتفق معها ، وقد يؤدى القليل من الخطأ فى هذه المرحلة ، إلى النفور من الداعى والدعوة معا . ولذلك وجب على الداعى أن يبتعد عما يثير نفوس المدعويين . وقد رسم الحسن الصباح «للدعاة المأذونين - فى هذه الخطوة - أن يجعلوا مبيتهم كل ليلة عند واحد من المستجيبين ، ويجهدوا فى استصحاب من له صوت طيب فى قراءة القرآن ، ليقرأ عندهم زمانا ، ثم يتبع ذلك بشئ من الكلام الرقيق ، وأطراف من المواعظ اللطيفة ، الآخذة بمجامع القلوب ، ثم يردفون ذلك بالطعن فى السلاطين ، وعلماء الزمان ، وجاهال الأمة ، ويذكرون أن الفرج منتظر ببركة أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وكل ذلك ليستحكم الأناىس به ، ويميل القلب إلى الإصغاء إلى كلامه ، <sup>(١)</sup> . يفعل الدعاة كل ذلك حتى تهدأ نفوس المدعويين ، وتركن إليهم ، فيندفعون نحو الدعاة ، يثبونهم جميع ما فى نفوسهم ، وبهذا يتهيأ السبيل أمام الدعاة ليوغلوا بالمدعويين فى خطوات الدعوة المختلفة .

(١) الغزالي : فضائح الباطنية ، ص ٤



### الخطوة الثالثة : التشكيك :

والتشكيك ، هو القدرة على زعزعة عقيدة المدعويين . وتعتبر هذه الخطوة الجريئة من أخطر الخطوات وأدقها شأنا على الداعي والمدعو معا ، فيتحتم فيها على الداعي أن يكون لبقا تمام اللباقة ، يعرف كيف يصل إلى قلب المدعو . فيكثر من ضرب الأمثلة التي تصل إلى سويداء القلوب ، وتوهن عقيدة المدعو الأولى ، دون أن يتشكك في إخلاص الداعي وقدرته ، أو يتشكك في عقائد المذهب الإسماعيلي ، وإنما يجعله الداعي يعتقد بأن هذا المذهب ليس إلا حركة إصلاحية ، مآل معتقده الجنة والسعادة ، ولذلك يشرح له آى القرن بطرق تبعده عن معانيها المألوفة له ، ويشككه في هذه المعاني ، وفي مظاهر الطبيعة ، وما إلى ذلك .

وترجع خطورة التشكيك ، على المدعو في أنه يعتبر نقطة البداية في تحوله عن عقيدته الأولى إلى المذهب الإسماعيلي : والغرض الذى يقصده الداعي من خطوة «التشكيك» مزدوج الفائدة ، ولاغرو ، فإنه يرمى من ورائه إلى إضعاف عقيدة المدعو من ناحية ، وإلى جذبه إلى المذهب النزارى من ناحية أخرى ، لأن المدعو حين يتشكك في صحة ما كان يعتقد ، يلجأ إلى الداعي يستمد منه المعونة ، فيثير الداعي فيه غريزة حب الاستطلاع ، ويجعله يعتقد أن معارفه ليست شيئا مذكورا بجانب معارف الداعي<sup>(١)</sup> ، وهذه الدرجة نوع من حرب الأعصاب ، التى يستغلها المحاربون اليوم ، وكان لها أثرها الناجح في عهد النزارية .

(١) الأفئافى : الرد على الدهرية ( ترجمة الشيخ محمد عبده ) ، ص ٤٠



ومن هنا نرى أنه من الواجب على الداعى أن يكون ذا مقدرة فى  
التقوية على الناس ، وان يكون على علم كبير ، لأنه يجب عليه أن يصوغ  
عقول المدعويين من جديد ، فيضع مكان عقائدهم السابقة عقائد جديدة ،  
وبدل معارفهم الأولى معارف جديدة مستساغة ، ويعتبر « التشكيك »  
خطوة هامة توصل المدعو إلى المذهب الإسماعيلى ، أو بالأحرى إلى التعلق  
بهذا المذهب ، ثم الارتباط التام به .

#### الخطوة الرابعة : التعليق أو الربط .

والمقصود « بالتعليق » ، كخطوة من خطوات الدعوة ، ترك الداعى  
المدعو ، بعد تشكيكه ، متأرجحاً فى عقيدته ، فإن المدعو بعد تشكيكه الذى  
بشه فيه الداعى ، فى الخطوة السابقة ، أضحي متعطشاً إلى إدراك كنه المذهب  
الإسماعيلى ، والإلمام بجميع أسرارهِ ، ولذلك يرتقى فى أحضان الداعى ،  
ليستعين به فى تحقيق ذلك ، ولكن الداعى يطوى عنه جواب هذه  
الشكوك ، إذا هو استكشف فيها شيئاً ، ولم ينفس عنه أصلاً ، بل يتركه  
معلقاً ، ومهولاً للأمر عليه ومعظماً ، (١) .

والغرض من خطوة « التعليق » ، زيادة التأكد من معرفة شخصية المدعو  
ونفسيته . وليس هذا فقط ، بل ليأخذ الداعى عليه العهد إن رآه متعطشاً ، إذ  
أن الداعى يصور للمدعو خطورة الموقف ، ويبين له أن هناك أسراراً اختص  
بمعرفة من أحبه الله ، وأنه لا يمكنه أن يلقبها إليه جزافاً ، بل لا بد للداعى من أن

(١) الفزالى : فضائح الباطنية ، ص •



يأخذ العهد عليه حتى تظل سرا مكتوما ، فإذا ما أخذ العهد ، عليه جعله عبدا خاضعا للدعوة والدعاة .

ويرينا هذا كله لإقبال الدعاة ، على الشاك وهو في حيرته ليمتوه بالنجاة منها ، وهدايته إلى اليقين الثابت ، فإذا انقاد لهم أخذوا موافقيهم ، ثم أوصلوه إلى مرشدكم الكامل ، (١) .

وإن أخذ العهد على المدعو يضيف إلى جماعة النزارية عضوا خاضعا خضوعا أعمى ، لكنه لازال على تشكيكه ، وما أخذه العهد في نظره هو ، إلا خطوة لإزالة ما اعتراه من شكوك ، والوصول إلى ما يعتقد أنه الحقيقة .

وبهذه الوسيلة - الربط - استطاع الداعي أن يضم إلى المجتمع النزاري عضوا قد طلق دينه الأول ، وعقائده السابقة ، واعتقد أن المذهب الإسماعيلي بقيته ، وكل ما يؤمل . ويمتاز المدعو في تلك المرحلة بضعف الإرادة وقلة التسلط ، وهذه الحال التي وصل إليها تساعد الداعي على أن يخطو به إلى الخطوة التالية ، وهي التدليس (٢) .

الخطوة الخامسة : التدليس .

الحق أن المدعو قد أصبح آلة طيعة في يد الداعي ، فقد ترك دينه ومذهبه ، ووثق كل الثقة في داعيه ، واتخذ منه أباً وأخاً وأستاذاً ، وأمل الخير على يديه ، فجعل يصغى إليه بكل جوارحه ، ويتلقف ما يتفوه به على أنه حقائق لا يعترها

---

(١) الافغاني : الرد على الدهرية ، ص ٤ .

(٢) التدليس : الخداع ، والحيانة ، والتمويه .



شك ، غير أن الداعى ينتهز فرصة ارتقاء المدعو بين يديه ، واعتماده على أمانته وصدقه ، ويلجأ إلى الكذب والتويه ، ويدعى ادعاءات كثيرة كاذبة ، تزيد فى تعلق المدعو بالمذهب الإسماعيلى ، منها أن أكابر العلماء المسلمين السنيين ، يعرفون أسرار المذهب الإسماعيلى ، ويؤمنون بها ، ولكنهم يكتُمون ذلك تقية (١) .

ويرى حجة الإسلام - الغزالى - أن « التدليس » ، هو عدم إعطاء المستجيب المعلومات دفعة واحدة ، بل يتدرج الداعى فى ذلك ، ويلجأ فى أثناء هذا التدرج إلى الكذب ، فيبدأ مثلاً فى شرح ما فيه أهل البيت من ظلم حائق بهم ، ويوضح للمدعو أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وأن الظاهر من الباطن ، كالقشر من اللب ، ثم يمتنّيه بقرب ظهور دينهم وقوتهم ، إلى غير ذلك من الأمور التى تجذب المدعو إلى الداعى ومذهبه (٢) .

ويعتقد فون همر أن الغرض من التدليس ، هو أن يميز المدعو أوجه الشبه والخلاف بين المذهب النزارى والمذاهب الأخرى من ناحية ، وبينه وبين آراء العلماء والسياسيين المشهورين من ناحية أخرى ، ويرى أن هذه طريقة خطيرة ، يستخدمها النزارية للتأثير فى قلوب المستجيبين (٣) . وأياً ما كان ، فإن الداعى يؤكّد للمدعو فى هذه المرحلة . موافقة أكابر الدين

(١) الشاطبى : الاعتصام ، ج ٢ ص ١٨٦

(٢) الغزالى : فضائح الباطنية ، أو المستطرى ، ص ٢٢٦ .

(٣) Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins, p.95



والدنيا لهم ، حتى يزداد ميله (١) . وبهذا وغيره يستطيع الدعاة النزارية أن يجذبوا إليهم جماعة من المتفانين في إخلاصهم للدعوة التي استجابوا إليها ، وبذلك أيضاً نرى أن الغرض من «التدليس» لم يكن غرضاً دينياً خالصاً ، بل كان غرضاً دينياً سياسياً .

ومن الواجب بعد ذلك على الداعى أن يعمل على تثبيت هذه المعلومات الجديدة التي ألقاها في روع المستجيب ، حتى تكون الاستجابة أكثر إحكاماً . وتتمتع جهوده في هذه السبيل ، من الخطوة التالية .

#### الخطوة السادسة : التأسيس :

ويقصد به تثبيت المعلومات والحقائق التي أدلى بها الداعى للمستجيب ، وتقريرها في ذهنه ، أو هو ، كما قال الشاطبي : إيراد مقدمات يقبلها المدعو . والحق أن «التأسيس» يعتمد على خطوات كثيرة ، إذ يقتضى تفرس الداعى حالة المدعو ، والعمل على بث الطمأنينة في قلبه ، حتى يرتاح إليه للوصول إلى الخطوة التالية «الخلع» . كما يقتضى من الداعى خلق التشكيك في نفس المدعو من جديد ، حتى يرتقى في أحضان دعاة المذهب ، ويعتمد عليهم في كل أموره ، وبذلك يكون المدعو أسلس قياداً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ليعرف الدعاة ، على وجه التحقيق ، نفسيات المستجيبين ، كي يستطيعوا التوغل معهم في دراسة أسس المذهب الإسماعيلى ، دون تراجع من هؤلاء المدعوين .

كما يجب على الدعاة في هذا الدور ، أن يتأكدوا من قوة تأثير العهود التي أخذوها على المدعوين ، ويمثلوا قلوبهم بالتدليس والخداع . كل ذلك

(١) الشاطبي : الاعتصام ، ج ٢ ص ١٨٤



ليس له غرض سوى تقوية إيمان المستجيب بمبادئ المذهب النزاری وشجذ هممه<sup>(١)</sup>. وليس من شك في أن المدعويين الذين يصلون إلى تلك الدرجة، يجب أن يكونوا بمن نالوا تقدير الرؤساء، واشتهروا كذلك بالإخلاص. وهكذا لم ينتقل الدعاة من خطوة إلى أخرى، إلا بعد التأكد من روح جماعاتهم، مما ساعد على عدم وجود دعاة للزينة بينهم، وبما جعل المجتمع الإسماعيلي من أقصاه إلى أقصاه يدين بالولاء والطاعة لرؤسائه. وبهذا يصل المدعو إلى الخطوة السابعة (الآخيرة). وقد أصبح إسماعيليا خالصا. وهو غاية الإسماعيلية، التي تنتهي بخلع المدعو من المذاهب السنية وغيرها، ودخوله المذاهب الإسماعيلية، بل ثورته على المذاهب السنية أيضاً.

#### المرتبة السابعة : الخلع .

ومعنى «الخلع» إقصاء المدعويين عن خطيرة المذاهب السنية، إن لم يكن عن خطيرة الإسلام نفسه، بإسقاط التكليف الشرعية عنهم، ولذلك قال العلماء: إن «الخلع» هو الاطمئنان إلى إسقاط الأعمال الدينية، و«الفسخ» هو إسقاط الاعتقادات جميعها<sup>(٢)</sup>.

ويكون «الخلع» و«الفسخ» باللجوء إلى التأويل غير المشروع، ويتركز في تلك القاعدة خلاصة المذهب الإسماعيلي، حتى لقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن التأويل هو القاعدة السابعة من القواعد التي وضعها الحسن

(١) Von Hammer ; Hist. de l'Ordre des Assassins, p. 98

(٢) الشاطبي : الاعتصام ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .



الصباح في لتنظيم طرق الدعوة (١). والواقع أن من يصل إلى تلك المرتبة لم يعد يعاباً بتكاليف الشرائع، ويعتقد أن لآي القرآن باطناً غير ظاهرها (٢)، ويؤولها حسبما تصبو نفسه إليه .

وليس من شك في أن « التأويل » قائم على أغراض سياسية حقة ؛ فإنه بالتأويل ، يستطيع هؤلاء الدعاة الزارية هدم المذاهب السنية ، ذلك الهدم الذي هو الغاية السياسية للمذهب الإسماعيلي الزاري ، وبه كذلك يخلقون مجتمعا يدين بالطاعة لرؤسائه ، مادام هؤلاء الرؤساء هم مصدر التأويل ، الذي يحررهم من ربة الأديان والقول الوجيز ، على ما يقول الغزالي ، وإنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة ، صرفوهم عن المراد بها إلى مخاريق زخرفوها ، واستفادوا بما أنتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ ، لإبطال معاني الشرع ، وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم للبايعة والموالاة (٣).

على أن من يصل إلى تلك الدرجة يصبح باطنياً عالماً بأسرار العقيدة الباطنية . وليس من شك في أن فلسفة المذهب الإسماعيلي تتركز حول تلك القاعدة وحدها ، تلك الفلسفة ذات الشعب الثلاث : الدينية والسياسية والثقافية . ولا يتمتع بتلك الفلسفة ، إلا عدد قليل من كبار المستجيبين الذين يثق الرئيس بهم (٤).

(١) Von Hammer ; Hist. de l'Ordre des Assassins p. 96

(٢) المستوفى : تاريخ جوزيده ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٣) الغزالي : فضائح الباطنية ، ص ١٢ .

(٤) Von Hammer ; Hist. de l'Ordre des Assassins. p.96



وهكذا نجح الحسن الصباح في تكوين مجتمع لإسماعيل خالص ، يمتاز بالنظام الدقيق ، بحيث يفوق في هذا ، مجتمع القرامطة الإسماعيلية في بلاد البحرين ، ذلك المجتمع الذي أوجده أبو سعيد الجنابي ، وغذاه بمبادئه ، فقد كان لنظام الحدود الدينية ، وتربية الفداوية ، وللتقسيم الروحي ، عند أتباع الحسن ، الأثر الكبير في نجاح الدعوة النزارية ، وبقائها قوية مرهوبة الجانب .

وإن في تسميتهم دعوتهم « الدعوة الهادية » ، وتسميتهم أنفسهم « عبيد الدعوة الهادية » ، ما يدل على مدى تماسك هذا النظام ، وعلى مدى نجاح الحسن وجماعته ودولته ، ويفسر بقاء هذا كله ما يقرب من قرنين . وقد استمرت سياسة الحسن تعمل في نفوس أشياعه وخلفائه عمل السحر ، حتى بقيت هذه الآثار إلى اليوم . وبفضل هذا النظام الدقيق ، استطاع الحسن الصراع مع السلاجقة وغيرهم من منافسي المذهب النزاری .

### ( هـ ) أما كمه الرعاية النزارية

#### ١ — قلاع الدعوة :

لم يكد الحسن الصباح ، مؤسس الدعوة النزارية ، يدرك وهن والدعوة الإسماعيلية القديمة ، في مصر ، حتى عمل على الجمع بين محاسن نظام الدولة الفاطمية ، في تكوين أما كن استقرار دائمة في عواصمها ، ومحاسن دولة القرامطة ، في استخدام السيف كوسيلة من وسائل الإرهاب ، والاعتماد على الاستقرار في دور هجرة خاصة بأشياعهم . فقرر ألا يستقر بجماعته في مدن ، كما كان الفاطميون يفعلون ، أو في دور هجرة كما فعل القرامطة ، وإنما عمل على أن يستقر في قلاع قوية



التحصين ، لا يستطيع أحد التغلب عليها إلا بشق الأنفس .

وكان احتلال الحسن قلعة ( ألموت ) سنة ٥٤٨٣ هـ ، إيذانا بتنفيذ تلك السياسة الخطيرة ، وهى اتخاذ هذه القلاع أمكنة لوثوب الدعوة ورجالها على منافسيهم ، وقد تمكن الزارية فى عهد الحسن من الاستيلاء على عشرات القلاع فى فارس وخراسان ، وأطلقوا عليها اسم « قلاع الدعوة الهادية » . يقول بارتولد (١) : « اتجهت الدعاية الإسماعيلية فى نهاية القرن الخامس الهجرى إلى وجهة جديدة ، فاستولى الإسماعيلية على أماكن كثيرة حصينة ، فى كل أرجاء إيران » . وهكذا فإن قلاع الدعوة كانت دورا للهجرة من ناحية ، كما كان بعضها ، كآلموت ، عاصمة دينية سياسية ، من ناحية أخرى .

ولم تكن قلاع الدعوة جميعها أمكنة للوثوب ، وإنما كانت القلاع الرئيسية وحدها هى المخصصة لذلك ، أما القلاع غير الرئيسية ، فكانت موطنًا لوثوب الجنود الزارية على جيرانهم ، ومستقرا للمجتمع الزارى ، الذى آلى على نفسه ألا يسكن مع السفين فى مكان واحد . وكانت قلعة « ألموت » ، هى القلعة الرئيسية من بين قلاع الدعوة ؛ فيها يقيم الرئيس الأعلى - شيخ الجبل - وهو المشرع الأول للدعوة الجديدة ، وهو ملك الزارية وسلاطنتهم ، بل إمبراطورهم ، واستمر خلفاؤه السبعة (٢) .

(١) تاريخ الحاضرة الإسلامية ( نشر حمزة طاهر ) ، ص ٨٦ .

(٢) وهم الداعى الكبير الكيازرجميد ( ٥١٨ - ٥٢٣ هـ ) ، وابنه الداعى محمد الأول ( ٥٢٣ - ٥٥٧ هـ ) ، ثم الإمام الحسن الثانى ، الذى يلقبه الإسماعيلية بلقب « على ذكره السلام » ( ٥٥٧ - ٥٦١ هـ ) ، وابنه الإمام محمد الثانى ( ٥٦١ - ٦٠٨ هـ ) ، ثم ابنه الإمام الحسن الثالث ، ويسمى « المسلم الجديد » ( ٦٠٨ - ٦١٨ هـ ) ، وابنه الإمام علاء الدين ( ٦١٨ - ٦٥٣ هـ ) ، وأخيرا الإمام ركن الدين خورشاه ( ٦٥٣ - ٦٥٤ هـ ) .



على منواله ، فاتخذوا من قلعة « آلموت » عاصمة لملك جديد ودعوة جديدة . وبعبارة أخرى ، كانت قلعة « آلموت » دار هجرة الإسماعيلية النزارية وعاصمتهم .

وهكذا وضع الحسن الصباح أسس هذه الدعوة وتعهدها خلفاؤه . فكانت الجيوش النزارية تخرج من « آلموت » ، وينتشر منها دعائهم ، ومنها أيضا سن الحسن الصباح سن دعوته الجديدة ، وشرع تشريعاته الدينية ، وألف كتبه الضخمة ، في النهوض بالمذهب النزارى ، وترويج الدعوة إليه . وبما تمتاز به « قلاع الدعوة » أنها تحتوى على كثير من أشخاص المستجيبين النزارية ورتبهم . ففي « آلموت » - عاصمة النزارية - ترى فيها نائب الإمام . ( ٤٨٣ — ٥٥٩ هـ ) ثم الإمام نفسه ، ( ٥٥٩ — ٦٥٤ هـ ) ، وفيها الدعاة والمأذنون والفداوية وعامة المستجيبين . أما القلاع الرئيسية في « جزر » الدعوة ، عواصم « البحار » ، ففيها نواب الرئيس الأكبر ، وهم كبار الدعاة ، الذين كانوا بالنسبة لرئيس الدعوة ، كالْحِجَّة بالنسبة للإمام . وأما القلاع العادية ، فتخلو من الإمام ومن الْحِجَّة ومن كبير الدعاة ، ولكنها تحوى بقية الأعضاء . والعنصر الهام في سكان تلك القلاع العامة هم المحاربون . وكثيرا ما تمد هذه القلاع العادية القلاع الرئيسية بالفداوية ، ليكونوا تحت أوامر الرؤساء . وقد استمرت قلاع الدعوة في خراسان وقوهستان ورودبار والشام ، معقل المذهب الإسماعيلي ، حتى أزالها التتر من عالم الوجود - تقريبا - في منتصف القرن السابع ، وفعل الظاهر بيبرس بقلاع الدعوة في الشام ، ما فعله هولاكو في بلاد المشرق (١) .

---

(١) انظر كتابنا « إسماعيلية الشام من أقدم العصور حتى اليوم »



## ٢ - دور الدعوة :

الحق أن قلاع الدعوة هي « دور دعوة » أيضا ، لكن أهمية هذه الدور إنما تظهر في البلاد التي كان المذهب السني يسود فيها ، كما تظهر أهميتها في أنها بدعة اختص بها النزارية وحدهم ، دور باقى طوائف الإسماعيلية ، وبعبارة أخرى ، كان دعاة النزارية يعنون دائما بتشكوين « نقط ارتكاز » في بلاد السنيين ، شبيهة بدور الهجرة التي كانت تتخذ في دور السستر الأول . بحيث تعتبر هذه الدور مأوى لأنصار المذهب النزاري ، وتروج منها الدعوة النزارية بتطوراتها المختلفة .

وسوف نرى أن أول دار من « دور الدعوة » هذه إنما أقيمت بالقرب من مدينة أصفهان ، حاضرة السلاجقة ، أقامها رئيس الدعوة النزارية الثاني - ابن عطاش - وقد تمكن النزارية بفضل تلك الدار من جذب عشرات الألوف من الأهلين ، الأمر الذي سبب الرعب في المدينة نفسها ، وفي ضواحيها ، ولا غرو فقد اتخذت تلك الدور - كالقلاع - أمكنة للوثوب منها على السنيين .

ولو تتبعنا نشاط الدعاة النزارية في الأقاليم السنية المختلفة ، لوجدنا دورا كثيرة من هذا النوع ، الذي كان الصباح يعمل على ترويجه . ولم نذهب بعيدا ؟ وقد كان من أهم شروط الاتفاق بين النزارية في الشام وبين الملك رضوان بن تلش ، (+ ٥٠٧ هـ) صاحب حلب ، أن يكون لهم بحاضرة ملكه (حلب) «دار دعوة» يلجئون إليها ، فزاد نفوذ النزارية بحلب وبلاد الشام ، تبعاً لذلك . وفعل النزارية في دمشق - بعد ذلك - ما فعلوه في حلب نفسها . وترجع أهمية تلك الدور ، التي بعثها الصباح ، من الناحية المذهبية



خاصة ، إلى أن النزارية يستطيعون بفضلها ، وبفضل قربهم من السفينين واحتكاكهم بهم ، التأثير في أكبر عدد ممكن ممن يخالفونهم في المذهب ، وضمهم إليهم ، كما أن هذه الدور كانت تقوّى عصب النزارية ، بجذب الخائفين من هذه الطائفة إليها ، وبخاصة ممن يعيشون منهم بين السفينين ، وباللجوء إليها ، والاستقرار بها . وإذن كانت هذه الدور أشبه بنواد تدرس فيها الدعوة النزارية ، كما تدرس فيها المشروعات الهدامة ، التي يرى النزارية القيام بها ضد منافسيهم وأعدائهم . وهكذا كان نشاط النزارية في دور دعوتهم ، مكثرا لنشاطهم في قلاعهم ، المتناثرة فوق الجبال ، في كثير من بقاع العالم الإسلامي .



## الباب الرابع

### صراع دولة الحسن الصباح مع العالم السنّي في بلاد المشرق<sup>(١)</sup>

١ — عوامل نجاح الحسن الصباح في سياسته الخارجية في بلاد المشرق :  
كان استيلاء الحسن الصباح على قلعة دآلموت ، - جنوبي بحر قزوين -  
بالطريقة الآنفه ، تحديا للدولة السلجوقية السنية ، وعاملا من أقوى العوامل  
التي ساعدت على تقوية جانب الحسن ورفاقه . كما كان لانضمام بعض  
ولاة ملكشاه السنيين إلى جماعة الحسن ، أثره في تنبيه السلاجقة للخطر  
الذي سوف يتعرضون له ، إذا ما قدر النجاح لتلك الفرقة الدينية السياسية  
الخطيرة . هذا إلى ما قام به أنصار المذهب النزاري في أنحاء العالم  
الإسلامي من اغتيال منظم أضاع هيبة السلاجقة السنيين ، الذين رأوا  
أنه من الواجب عليهم أن يدافعوا عن هيبتهم الضائعة أولا ، وعن العالم  
الإسلامي السنّي ، باعتبارهم أكبر قوة إسلامية سنية ، ثانيا . ومن ثم كان  
الصراع العنيف مع الحسن الصباح .

وكاد سلاطين السلاجقة ينجحون ضد الحسن ، لولا ظهور عوامل كثيرة ،  
من أهمها : موت السلطان ملكشاه ، في سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) ، فـ  
كان موته ضربة قاضية ، وجهت إلى العالم السنّي عامة ، وإلى ده "

---

(١) أقصد ببلاد المشرق هنا ، فارس وخراسان .



بوجه خاص ، كما كان موته فرصة نادرة المثال ، بالنسبة للنزارية ، الذين استغلوا اختلاف أبناء هذا السلطان على العرش بعد أبيهم ، وما تبع ذلك الاختلاف من قيام تلك الحروب الأهلية المدمرة بينهم . والتي بقيت عشرات السنوات ، على ما سنرى . فانتهاز النزارية ذلك العراك الطاحن وزادوا في قوتهم ، وأخذ الحسن يعمل على امتلاك القلاع والحصون من السفين . كل ذلك وأبناء ملكشاه معشّون بأموالهم الخاصة في أثرة منقطعة النظير ، فلم يوجهوا عنايتهم وحجافلهم نحو الحسن الصباح ، إلا بعد أن استكمل هو وأنصاره ، وسائل الدفاع عن أنفسهم ، وبعد أن تمكنت قوتهم من البلاد التي استقروا بها ، وساد نفوذهم شرقا وغربا ، فكان من المتعذر إذن على السلاجقة اجتثاث بذور النزارية . كما لم يعد في حيز الإمكان أن تكون نهاية هذا الزعيم النزارى الصباح ومن معه ، على أيدي هؤلاء السلاجقة المنشقين على أنفسهم .

وخلاصة القول أنه لولا موت السلطان ملكشاه ، وقيام الحروب الأهلية بين أبنائه من بعده ، وبخاصة تلك الحرب العنيفة ، التي قامت بين الأخوين : بركياروق ومحمد ، ابني السلطان ملكشاه<sup>(١)</sup> ، لولا ذلك ، لتغير تاريخ النزارية ،

ولا غرو فقد عجز هؤلاء الأمراء عن القيام بأية محاولة جديدة ضد النزارية ، لانتراع قلعة (آلموت) منهم ، واستئصال جذورهم ، قبل استفحال خطرهم ، وبالأولى لم يستطع السلاجقة بسبب تلك الحروب الأهلية ، أن يقوموا بهجوم عام خاطف ، على جميع قلاع الدعوة النزارية<sup>(٢)</sup> ، وإخراجهم

(١) ابن سفنديار : تاريخ طبرستان ( ترجمة براون ) ، ص ١٤٠ .

(٢) Lockhart : Hasan-i- Sabbah. (J.R.A.S. 1931), p. 684



منها. وليس هذا فقط ، بل أخذ أعداء السنين ينضمون إلى النزارية (١) جماعات جماعات . وهذا يفسر لنا سر قوتهم ، في أواخر القرن الخامس ، وأوائل القرن السادس خاصة .

ولم يقف الأمر عند موت السلطان ملكشاه ، وقيام النزاع بين أبنائه على الملك ، بل تعداه إلى ظهور خطر خارجي هائل ، كاد يعصف بالعالم الإسلامي ، ذلك الخطر هو هجوم الصليبيين على المشرق ، وعيبتهم بالممالك الإسلامية الواقعة في شرقي البحر الأبيض المتوسط ، فقد كان هذا الهجوم المفاجيء الخاطف على العالم الإسلامي . بعد موت السلطان ملكشاه ، صدمة عنيفة للسلاجقة ، كادت تؤدي بهم وبدولتهم .

حقاً ! لقد اقتضى الصراع بين السلاجقة ، ويمثلهم أتابكة الشرق الأدنى ، وبين الصليبيين ، إلى بذل مجهود هائل شغل دولة السلاجقة عن الانتباه للحسن الصباح ، الذي استغل هذا الظرف الملائم ، فضاغف جهوده للاستفادة من ذلك الاضطراب العنيف بين الشرق والغرب ، وأرسل رسله وأنصاره إلى بلاد الشام ، فتمكنوا بعد جهود كبيرة . من أن يفعلوا هناك ، ما فعله الحسن في بلاد المشرق : من الاستيلاء على القلاع الجبلية القوية ، وتكوين مجتمعات إسماعيلية هناك ، من القلاع ودور الدعوة ، لا هم لها جميعاً إلا الصراع ضد السنين .

وهكذا استفاد الصليبيون ، كما استفاد النزارية ، من حالة الفوضى والنزاع ، اللذين وقعت فيهما الدولة الإسلامية السنية ، وكان كلا الجماعتين



- النزارية والصليبيون - عدوا شديداً المراس للمسلمين السفين<sup>(١)</sup> .  
على أن هناك عوامل أخرى غير العاملين السابقين ، كان لها الأثر الكبير في زيادة قوة الحسن الصباح ونفوذه السياسي ، من ذلك ، الطرق التي درج النزارية عليها ، من القتل غيلة ، والوسائل المزعجة التي كان الفداوية يسلكونها ، في الفتك بضحاياهم والتمثيل بهم ، تلك الوسائل التي أربعت القواد والملوك والشعوب ، فأخذ بعض القواد - تبعاً لذلك - يتوانون في الهجوم على النزارية ، ويهملون أمورهم . بل لقد تغاضى الكثير من الملوك والأمراء عنهم ، وانفق بعض منهم - مثل السلطان سنجر - وجعل كثير من قواد المسلمين ينضمون إليهم ، خوفاً ورهبة .  
وهكذا ملك الخوف من خناجر الفداوية على الناس قلوبهم ، فلم يجد أحد من الملوك في حفظ نفسه منهم حيلة ، فصار الناس فيهم فريقين : ففهم من جاهرهم بالمداوة والمقارعة<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من عاهدهم على المسالمة والموادعة<sup>(٣)</sup> ، فن عاداهم خاف من فتكهم ، ومن سالمهم نسب إلى شركهم في شركهم ، وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجهتين ،<sup>(٤)</sup> .  
وإذن كان للبيادى التي وضعها الحسن الصباح في إخافة الناس ، وتهديم أعصابهم ، والقضاء على روحهم المعنوية ، أثر كبير في تقوية النزارية ضد السنيين خاصة ، أو قل : كانت هذه الأسس نوعاً جديداً من « حرب الأعصاب » ، التي يستغلها المحاربون اليوم في القضاء على مقاومة العدو .

(١) Taylor ; Hist. of Mahammedanism & Its Sects, p. 217.

(٢) التعنيف ، لا بمعنى المساهمة .

(٣) الموادعة : المصالحة .

(٤) الأمفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٣ .



وغير خاف علينا أن الحسن الصباح تمكن من أن يجذب إلى صفوفه كثيرا من كبار موظفي السلاجقة ، حتى أن بعض الوزراء والقواد كانوا على هوى النزارية : فهذا الوزير الدرگزني ، يتأمر معهم على سيده السلطان محمد ( ٥١١ هـ ) ، ويخلقون منه جاسوسا خطيرا يستعينون به على تنفيذ مآربهم في دولة السلاجقة . وهذان غلاما السلطان محمد بن ملكشاه من أخلص تلامذة الحسن الصباح . وبذلك نستطيع القول بأن تشيع كبار موظفي السلاجقة ، كان من أقوى العوامل في نجاح دعوة الحسن الصباح وانتشارها (١) .

وبجانب هذا وذاك ، كانت البلاد التي روج الحسن الصباح فيها مذهبه ، بلادا تأصل فيها الإلحاد منذ عهد بعيد ، فقديما تأثر أهلها بمبادئ مزدك الاشتراكية الهدامة ، وفي العصر الإسلامي راجت فيها مبادئ كثيرة لها خطورتها ، مثل مبادئ البابكية الخرمية ، نسبة إلى بابك الخرمي ، الذي انضم إليه المنتشيعون الغلاة ، ولذلك لا يبعد أن تنال دعوة الحسن الثورية في تلك البلاد كثيرا من النجاح . أضف إلى ذلك أن مبادئ الشعوبية كانت رائجة هنالك ، وأن قلوب الأهلين فيها كانت تفيض بمقت العرب ودينهم ، فتمكن الحسن الصباح بفضل ذلك كله من إيجاد أرض صالحة لدعواه ، فتمت وترعرعت وآتت أكلها ، وأثمرت خير الثمار .

ولا ننس ما نال فريق الشيعة الاثنا عشرية من ضعف ، فقد طال انتظارهم لمهديهم ، الذي اختفى في سرداب بسامرا ، منذ سنة ٢٦٠ هـ ( ٨٧٣ م )

(١) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٣ .



ويش السكثير من الاثنا عشرية ذوى المطامع والآمال ، أن يزوا دولتهم التى يئشدونها تحكم العالم الإسلامى ، وتبدل الجور الحائق بهم بعدل شامل . وقد وجد هؤلاء مبتغاهم فى الانتقال إلى المذهب الإسماعيلى ، وكان الحسن الصباح نفسه أحد أولئك الاثنا عشرية ، الذين تركوا مذهبهم ، واعتنقوا المذهب الإسماعيلى .

ولمذ كان لوعزة الأفكار ، والمبادئ الاثنا عشرية فى بلاد فارس ، أثرها فى نجاح دعوة الحسن الصباح ، انظر إلى ما يقوله المؤيد فى الدين ، هبة الله الشيرازى ، داعى دعاة الفاطميين ، وهو يكاد يكون معاصرا للصباح ، حيث يسمو بالإسماعيلية ويضع بالاثنا عشرية ، فيقول : « ومعلوم أن أولاد عمنا أبى ابراهيم ، موسى بن جعفر [ الكاظم ] ، ما فيهم من قاد عسكريا ، أو أثار من الملك عنيرا ، ولا من توج بذكر على وفاطمة وولدهما منبرا . كفعل آبائنا الأئمة الهداة (١) البررة ، فأى الفئتين أسبق عند جدنا وأبيها بالفضل ؟ إن من صح وجوده من أولاد موسى الكاظم ليس عندهم علم خاص بهم ، وأنهم ارتموا فى أحضان المعتزلة ، واستنقوا من علماء الكلام أصول التوحيد على مذهب المتكلمين ، ففسروا بذلك علم الأئمة (٢) . فاذا قرأ الناس أقوال المؤيد وسواء من الدعاة الإسماعيلية ، ترعزت عقيدتهم فى زعماء الاثنا عشرية ، وآثروا عليهم الإسماعيلية .

(١) المقصود : الأئمة الإسماعيلية .

(٢) المؤيد : المجالس المؤيدية ، ج ٢ ورقة ٧٦ ، ٧٧ ( عن رسالة الدكتور محمد كامل حسين ) . والمقصود بعلم الأئمة أصول المذاهب الشيعية .



ولو أضفنا إلى ذلك مناعة القلاع التي استقر بها الحسن الصباح وأنصاره ، أدر كنا سر نجاحه الكبير ، ولا غرو ، فقد اختار الحسن لدعوته ، البلاد الوعرة ، التي يصعب على الجيوش المنظمة أن تنال منها غرضا والتي يسهل على الدعاة التأثير في أهلها ، وإدخالهم ، في المذهب الإسماعيلي ، وقد استطاع الحسن الصباح ، أن يكون أخطر الفرق في الإسلام بين سلاسل جبال طبرستان ، جنوب بحر قزوين ، وسلاسل جبال قوهستان ، دون أن ينال السلاجقة منه غرضا ، بل إنك لتراه يدافع عن قلعة آلموت ، ومعه عشرات من الرجال لا غير ، ثم يهزم بهذا العدد الضئيل جيوش السلطان ملكشاه ، ثم ابنه السلطان محمد ( ٤٩٨ — ٥١١ هـ ) ، بوجه خاص .

على أن طريقة الحسن الصباح في نشر الدعوة السرية وبلمبة الأفكار بين الأعداء ، وزعزعة عقائدهم ، كان لها أثر كبير في نجاحه . فقد اتخذ من دور دعوته ، نقط ارتكاز في بلاد الأعداء ، كما اتخذها محطات للجاسوسية النزارية ، وإنك لتري كثيرا من موظفي الحكومة السلاجقية ضمن أشياعه ، فكان لدور هجرته هذه أثرها في إطلاعه على أسرار السلاجقة وخبايا السنيين . كل هذه العوامل كانت من أكبر دواعي نجاح الحسن الصباح واستقرار دولته .

٢ — صراع الحسن الصباح مع السلطان ملكشاه ٤٦٥ هـ = ١٠٧٢ م / ١٠٩٢ م

من العوامل التي ساعدت الحسن الصباح على النجاح في أيامه الأولى ، أن رئاسة الدعوة في المشرق كانت موضوعة في يديه ، وفي يدى أحمد بن عبيد الملك بن عطاش ؛ هذا في أصفهان — مقر السلطان ملكشاه ،



وذلك في «آلموت» — جنوبي بحر قزوين . وكان من حسن حظ النزارية ، أن السلاجقة لم يدركوا خطر هذا الفريق في أصفهان ، إلا بعد موت السلطان ملكشاه ، أما في «آلموت» ، فقد ترك السلطان ملكشاه أمر تأديب الصباح ونزاريته لعماله في «رودبار»<sup>(١)</sup> . وطبرستان ، جنوبي بحر قزوين ، فلم يستطع هؤلاء العمال أن ينالوا من الحسن غرضاً .

أقطع السلطان ملكشاه إقليم «رودبار» ، إلى أحد قواده ، ويدعى «ألتونتاش» ، فأدرك هذا القائد خطر الحسن الصباح وفرقه ، فلم يأل جهداً في الوقوف في وجه النزارية ، وهاجم معقلهم الرئيسي في «آلموت» مرات عدة ، في عهد السلطان ملكشاه ، حتى أصاب أهلها الوهن ، وتناقص عددهم ، وكادوا يلقون السلاح ، ويفرون منها إلى البلاد المجاورة .

وقد ساعدت الظروف الحسن الصباح ، إذ تكاتف سكان القلعة معه ، بعد أن قوى عزائمهم ، بادعائه أن رسالة وصلت إليه من إمامهم الخليفة المستنصر الفاطمي ، وفيها يحثهم على البقاء في «آلموت» ، ويعددهم بالنصر ما داموا صامدين في هذه القلعة . فتمكن الحسن ، بفضل تلك الدعوى ، من الإبقاء على أهل «آلموت» ملتفين حوله . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، تنفس النزارية الصعداء ، بموت الأمير «ألتونتاش»<sup>(٢)</sup> ، وإلى إقليم «رودبار» السلاجوقي .

والحق أن الحسن الصباح قد حالفه الحظ بموت ذلك الأمير ، حتى

---

(١) وهو الإقليم الذي تنوسطه «آلموت» ، التي تقع في ابتداء بلاد الديلم غرباً . انظر . ياقوت .

(٢) Defremery ; Essai sur l'Hist. des Ismaéliens , p. 77



سمى قلعة «آلموت» - تبعاً لذلك - قلعة «الحظ» أو قلعة «السعادة». ومعنى هذا أن الحسن الصباح بدأ صراعه مع السلاجقة، في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي، ولا يبعد أن يكون ذلك الصراع بوحي من هذا الخليفة نفسه.

لم يكن السلطان ملكشاه قد أدرك خطر الحسن بعد، فلما رأى ما آلت إليه قوته بعد موت الأمير «ألتوتاش»، وبعد أن اجتمع جماعة من النزارية، وفصلوا العيد وخدمهم في مدينة ساوه<sup>(١)</sup>، وقتكوا بمؤذنها حين رفض الدخول في مذهبهم<sup>(٢)</sup>. لهذا كله، ولسمى نظام الملك بهم، عزم السلطان ملكشاه على استئصالهم، فأعد جيشين، وجههما من جديد إلى قاعدتي النزارية في إقليم «رودبار» (آلموت) وفي إقليم قوهستان (طورشيز)<sup>(٣)</sup> وجعل، في قيادة جيش رودبار، الموجه ضد الحسن الصباح نفسه، «أرسلان تاش»، أحد قواده المشهورين، كما وضع قائده المشهور «قزل تاش» على رأس جيش قوهستان، الموجه ضد الحسين القيني، الذي كان والياً على قلعة «طورشيز». أشهر قلاع قوهستان، قبل انضمامه إلى الحسن الصباح. على ما رأينا.

(١) ساوة: مدينة تتوسط الري وهمدان، وبالقرب منها مدينة آوة، وكل أهلها شيعة إمامية. انظر ياقوت.

(٢) كان قتل النزارية المؤذن سبياً في قتل نظام الملك، الوزير، أحد أتباعهم، وكان نجارا، فكان هذا النجار أول قتل من الإسماعيلية.

(٣) طورشيز: قرية أو قلعة تقع في إقليم نيسابور، بينها وبين مدينة نيسابور ثلاثة أيام.



قامت هاتان الحملتان، في أوائل سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٣ م)، وكان كل من القائدين السنين يحمل الأوامر الصارمة من السلطان، يحثه فيها على استئصال شأفة النزارية أينما وجدوا. وقد نجح القائد «أرسلان تاش»، في الوصول إلى قلعة «آلوت»، في جمادى الأولى سنة ٤٨٥ هـ = يونيو سنة ١٠٩٣ م)، وضيق عليها وعلى من بها الخناق، حتى أنه لم يبق مع الحسن إلا أربعون رجلا، وطلب النجدة من أنصاره الإسماعيلية، فأنجده الدهدار<sup>(١)</sup>. أبو على الأردستاني<sup>(٢)</sup> بثلاثمائة رجل؛ فتمكن الحسن الصباح بهذه النجدة من الهجوم على القائد السلاجوقي، «أرسلان تاش»، وعلى الرغم من قلة عدد النزارية، إذا قورنوا بأعدادهم، فإنهم تمكنوا من إيقاع الهزيمة التامة بجيش السلاجقة، وفر القائد نحو أصبهان.

وصف البنداري ذلك بقوله: وصل المدد إلى قلعة «آلوت»، ومساعدة سكان القلعة، ومساعدة إسماعيلية رودبار، هوجم معسكر «أرسلان تاش»، فارتد مهزوما. وقد تألم السلطان ملكشاه لذلك، وعزم على إبادة النزارية، ولكن حانت منيته دون تحقيق هذا، وبموته وقف دولا ب العمل ضد النزارية، الذين أخذت قوتهم تنمو باضطراب<sup>(٣)</sup>.

على أن وصول المدد النزاري من الرى إلى «آلوت» دون اعتراض

(١) الدهدار: شيخ القرية.

(٢) نسبة إلى أردستان، وهى بلدة بين فاشان وأصبهان.

(٣) Defremery; Essai sur l'Hist. des Ismaeliens, pp. 78-9



الجيوش السنية له في الطريق، يعتبر أكبر دليل على مدى الفوضى في الدولة السلجوقية السنية، كما يعتبر دليلاً آخر على مدى انتشار المذهب الإسماعيلي في بقاع كثيرة من بلاد فارس.

وإذا كانت هذه هي نهاية جيوش أرسلان تاش في «آموت»، فإن زميله «قزل تاش» لم يستطع فتح قهستان، وذلك أنه على الرغم من نجاحه ضد الداعي الكبير «الحسين القيني»، وإلى النزارية على إنليم قهستان، اضطر إلى رفع الحصار عن ذلك الوالي الإسماعيلي، حين علم بموت السلطان ملكشاه، واستطاع الإفلات من تلك البلاد الحصينة بشق النفس.

فيذهب ابن الجوزي إلى القول بأن الحسن الصباح استخدم حزب الأعصاب في صراعه مع السلطان ملكشاه، فكان يهدد هذا السلطان بالتخويف من خناجر فدائوته، بإظهار طاعة أنصاره وإخلاصهم له. ونعتقد أن الحسن لم يلجأ إلى هذا التهديد قبل عهد السلطان محمد بن ملكشاه. وعلى أية حالة، يقول ابن الجوزي (١): «وكان ملكشاه قد أنفذ إلى ابن الصباح، يدعو إلى الطاعة ويتهده، ويأمره بكف أصحابه عن قتل العلماء والأمراء، فقال للرسول: الجواب ما تراه، ثم قال لجماعة كانوا وقوفاً بين يديه: أريد أن أنفذكم إلى مولاكم في حاجة، فمن ينهض لها؟ فأشرب كل واحد منهم لذلك، وظن الرسول أنها رسالة يحملها إليهم، فأومأ إلى شاب منهم، وقال: اقتل نفسك: لجذب سكينه وضرب

(١) مرآة الزمان: حوادث سنة ٤٩٤ هـ.



بها غلصمته <sup>(١)</sup> ، نحر ميتا . وقال لآخر : إرم بنفسك من القلعة ، فألقى نفسه ، فتقطع ، ثم التفت إلى الرسول ، وقال : قل له : إن عندى عشرين ألفا ، هذا حد طاعتهم . وعاد الرسول ، وأخبر ملككشاه ، ففجج وأعرض عن قتالهم . . وليس هذا صحيحا ، لأن السلطان ملككشاه مات وجنوده تفرع أبواب قلاع الإسماعيلية في كل مكان — كما رأينا — .

ولم يكتف الحسن الصباح بذلك ، بل عزم على إحداث اضطراب عام في ملك السلاجقة ، بالتخلص من الوزير السنى العظيم ، نظام الملك ، منافسه الخطير ، وأتبعه — على ما يقال — بسم السلطان ملككشاه . وقد تمكن الحسن من قتل هذا الوزير بأسلوب روائى درامى ، في شهر رمضان سنة ٤٨٥ هـ ، بعد انتصاره على جيش القائد « أرسلان تاش » ، بشهر واحد ، وذلك على يد فداوى أتاه في شكل متظلم . ولم يمض شهر آخر حتى مات السلطان ملككشاه ، في شهر شوال من السنة نفسها ، مسموما ، على ما قيل . ونحن لا نستبعد على اليد التى صاغت مقتل الوزير ، أن تصوغ مقتل السلطان ، والمهم أنه بتخلص الصباح من هاتين الشخصيتين ، خلا له الجو ، فتمادى أنصاره ، وعملوا على « مد نفوذهم في كل مكان ، وأخافوا الناس ، وانطبق عليهم قول الشاعر :

يالك من قبرة بمعمر      خلاك الجر فيضى واصفرى <sup>(٢)</sup>

وقد سن الحسن بعمله هذا سنته الخطيرة في قتل الوزراء والأمراء والملوك المعارضين ، فظل هذا دأب الوزارة ، حتى قتلوا الخلفاء ،

(١) الغلصمة : رأس الحلقوم ، وهو الموضع الناقى في الحلق .

(٢) Defremery ; Essai sur l'Hist. des Ismaéliens , p. 79



فاطميين كانوا أوعباسيين ، كما قتلوا العلماء ، وفي هذا رد على من قال :  
إن القتل السياسي ، أو الإغتيال المنظم ، لم يكن من سياسة الحسن الصباح .  
وقد كثرت الكلام حول مقتل نظام الملك ، فمن قائل : إن الحسن  
الصباح ، بقتله نظام الملك ، انتقم لنفسه ، فقتله والحالة هذه ، انتقام  
شخصي ، والحق في غير ذلك ، لأن قتل هذا الوزير يعتبر انتصارا  
للذهب النزاری ، وانتقاما له من كبار معارضيهِ السنيين خاصة ، وفيه  
أيضا سنة جديدة ، سنّها الحسن لأتباعه ، وهي قتل كل من عارضهم ، مهما  
عظم مركزه ، واستباحة القتل غدرا إذا عجزوا في ساحة الوغى ،  
وإذن فإن قتل نظام الملك انتقام سياسي ديني وشخصي معا (١) .

ومن قائل : إن السلطان ملكشاه دس على نظام الملك من قتله ،  
لأنه سئم طول حياة هذا الوزير . وكره استبداده بالأمور هو وبنيه ،  
ولكن كيف يفعل السلطان ذلك ، وهو أكبر رأس سنية تدافع عن  
الإسلام والسنين ضد الثوار ، وعلى الأخص ضد النزارية ؟

على أن هناك جماعة يغلون ، فيعتقدون أن هذا السلطان ، خاف على  
نفوذه ومملكته من نظام الملك ، وتأثر في الوقت نفسه بعض التأثير بالمذهب  
الإسماعيلي ، فكره ، لذلك السبب ، نظام الملك ، عدو النزارية اللدود .  
لمسح ابن الجوزي إلى هذا بقوله : « إن السلطان ملكشاه قد فسدت  
عقيدته بسبب معاشرته بعض الباطنية . ثم تنصل من ذلك ورجع  
إلى الحق ، (٢) .

(١) Malcolm ; The Hist. of Persia, vol. ii, p. 243

(٢) مرآة الزمان ، ج ٨ ورقة ١٣ .



من هذا كله نرى أن السلطان ملكشاه لم يستطع أن ينال غرضه من الحسن الصباح ، ولا من نزاريته ، ومات ، وهو متألم لعجزه عن الانتصار عليهم ، وترك مهمة الصراع معهم إلى أبنائه الذين مزقتهم الحروب الأهلية ، وفرقت شملهم بددا .

٣ — دولة الحسن الصباح وخلفاء ملكشاه :

( ١ ) موقف الحسن من السلطان بركياروق ( ٤٨٧ - ٤٩٨ هـ )

راجت الدعوة النزارية ، وأخذ أتباع الحسن ينشرونها في جميع أنحاء فارس ، وأشعلوا الثورات في كل مكان ، ودخل دعوتهم كثير من كبار السلاجقة ، بعد أن هزموا جحافل السلطان ملكشاه ، وتحلصوا من وزيره العظيم - نظام الملك - فانتهزوا قيام الحروب الأهلية التي أعقبت وفاة هذا السلطان فإن : « الخاتون » ، زوجة السلطان ملكشاه ، وضعت ولدها الصغير « محمود » على العرش ، فقامت الحرب بين أنصارها وبين السلطان بركياروق بن السلطان ملكشاه ، وانضم النزارية ، في ذلك الحين ، إلى السلطان محمود وأمه « الخاتون » ، وكادوا يفتكون بركياروق . وبموت السلطان محمود بعد قليل ، أصبح بركياروق سلطانا على السلاجقة . وسرعان ما عارضه أخوه السلطان محمد بن ملكشاه ، وحاربه ، وكانت الحرب بينهما طويلة قاسية ، فانتهز الإسماعيلية النزارية ذلك ، وأخذوا يختطفون من لم يعتنق مذهبهم ، من الشوارع والطرق ، وتفتنوا في طرق الفتك بالراعياء السنيين ، فكانوا أحيانا يجلسون امرأة بأصهبان على حصير بالية ، يغطون بها بثرا ، أعدها لتكون قبرا لمن يأتي أن



ينضم إلى صفوفهم ويعتق مذهبهم ، كما أعدوا رجلا ضريرا منهم ، يقف على رأس حارة من الحارات ، يطلب من المارة توصيله إلى نهاية الدرب ، ثم يفتكون بمن يرفض أن يعتنق مذهبهم كذلك .

وهكذا ، لما مات السلطان ملكشاه آل أمرهم إلى أنهم كانوا يسرقون الناس ويقتلونهم ويلقونهم بالآبار ، فكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ، ولم يعد إلى منزله يئسوا منه ، (١) .

ولم يكتف نزارية الحسن بذلك ، بل تعرضوا للحاج ، وفتكوا بهم ، مقلدين بعملهم هذا ، إخوانهم القرامطة الإسماعيلية . فكانوا يتحدثون الأمراء والوزراء ، ولا يخشون لهم بأسا ، وإنك ترى من النقاش الحاد الذي دار بين وزير السلاجقة وأحد الغداوية النزارية ، ما يدل دلالة قاطعة على إقدام الغداوية وجرأتهم . يقول ابن الجوزي (٢) في حوادث سنة ٤٩٣ هـ : « قتل رجل أميرا في الري ، في دار الوزير نغر الملك بن نظام الملك . وقيل : إن الرجل باطنى ، فأحضر بين يدى نغر الملك ، فقال : ويحك ! قتلت هذا الأمير في دارى ، وهتكت حرمتى ، وأذهبت حشمتى ! فقال له الباطنى : وهل لك حرمة مهتوكة ، ودار مملوكة ، أو حشمة تمنع من الدماء المسفوكة ؟ أو ما علمت أننا ستة نفر ، بعثنا إلى ستة لنقتلهم ، أحدهم أخوك ؟ قال : وهل أنا من جملتهم ؟ قال : أنت أقل من أن تذكر ، أو نلوث سكاكيننا بدمك . »

(١) الذهبى : تاريخ الإسلام (مخطوط) ، ج ٣ ورقة ص ٤٧٧ .

(٢) ابن الجوزي : مرآة الزمان . حوادث سنة ٤٩٣



وكانت مدينة «أصبهان» من أهم المدن التي كان النزارية يقومون فيها بأروع فتكاتهم ، لعظيم تأثير الحسن الصباح وابن عطاش بها ؛ فقد كان فرار الصباح من نظام الملك إليها ، وكذلك حين عاد من مصر استقر بها ، وأخذ ينشر الدعوة للمستنصر بها كذلك . هذا إلى أن أحمد بن عبد الملك ابن عطاش ، رئيس النزارية الثاني قد اتخذها مجاًلاً حيويًا للنزارية (١) ، وقد زاد نفوذهم بها حين أضحت في قبضة «الخاتون» ، زوجة السلطان ملكشاه ، ثم في قبضة «بركياروق» ، الذي أصبح على هواهم ، أو على الأقل ، الذي كان يداريهم ويتملقهم أثناء حربه مع أخيه السلطان محمد . وقد انضم إلى صفوف النزارية كثير من خيرة رجال السلاجقة ، من هؤلاء ، صاحب «كرمان» ، الذي ثار به شعبه السني ، بسبب اعتناق مذهب النزارية ، حتى لقد فر قائله إلى السلطان محمد بن السلطان ملكشاه ، واستقر بأصبهان ، وانتهى الأمر بموت صاحب «كرمان» هذا مقتولاً (٢) ، ومعنى ذلك انتشار المذهب النزاري في «كرمان» - جنوبي فارس - أيضاً . ولا ننس كذلك أن النزارية أضحوأ في وقت ما بطانة للسلطان بركياروق ، فقتلوا كثيرين من رجال أخيه السلطان محمد ، حتى رمى بركياروق نفسه باعتناق مذهب النزارية ، والحق أن بركياروق لجأ إلى النزارية ، ليستعين بهم على أخيه السلطان محمد ، فلما انتصر عليه استثار عداهم ، وقتلهم (٣) .

(١) Defremery; Essai sur l'Hist. des Ismaéliens, p. 81

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٠ ص ١٢٠ .



على أن جماعة من السنين ، وبخاصة العلماء منهم ، قاموا المذهب الإسماعيلي النزاری . وكان الغزالي - حجة الإسلام - من أكبر العلماء تصديا لهم ، وأخذ أولئك العلماء ينشرون فتاويهم ضد النزارية ، سواء أكانوا مدفوعين بوازع من أنفسهم ، أو بتحريض الأمراء السنين ، واخذوا في هذه الفتاوى يؤكدون أن النزارية أعداء الإسلام وملوكه وأمراته وعامة . ويرمونهم بالكفر ، ويحرضون الدول والشعوب الإسلامية على حربهم .

يقول فون همر (١) : نال النزارية من العلماء وعلى رأسهم الغزالي . ما نال القرامطة الغلاة قبلهم من العلماء ، وخصوصا من الإمامين أبي يوسف (٢) ، ومحمد (٣) ، حيث أعلن الجميع لإباحة دماهم وممتلكاتهم ، وبذلك زاد الجحش عليهم من كل جانب ، ووجدت الحكومات نفسها في حرب دائمة مع هذه الجماعة .

وعلى الرغم من أن كثيرا مما أورده فون همر صحيح ، إلا أننا لا نستطيع تصديق كل ماذهب إليه ، فإن القرامطة لم يكونوا قد ظهروا في عهد هذين العالمين ، وإن كنا نعلم أن أبا يوسف ومحمدا ، كانا وبالا على جميع الثوار الغلاة . ومهما يكن من شيء ، فإن الحسن الصباح ، وجماعة النزارية ، انتهزوا فرصة الحروب الأهلية ، التي قامت بين أبناء السلطان ملكشاه ، وتقربوا من

(١) Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins, p. 101.

(٢) وهو أحد كبار أصحاب أبي حنيفة وتلامذته ، كان عربي الأصل (١١٣ — ١٨٢) ، ولى القضاء للمهدى والهادي والرشيد .

(٣) هو محمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ — ١٨٩) كان ثريا ، على عكس صاحبه أبي يوسف .



السلطان محمود أولا ، ثم من السلطان بركياروق ثانيا ، وأكثروا من  
الاجتياالات المنظمة ، كما أكثروا من فتح القلاع والحصون .

والواقع أن السلطان بركياروق ، مثل مع النزارية أدوارا ثلاثة ، كان ،  
في الدور الأول منها ، عدوا لدودا للنزارية ، حتى جرحوه وهو يحارب  
أخاه الصغير ، السلطان محمود بن الخاتون<sup>(١)</sup> . وتودد إليهم في الدور  
الثاني ، حتى امتثل جيشه بهم ، وعلى الرغم من هذا ، لم يكن أنصاره  
يأمنون على أنفسهم من غدر النزارية ، الأمر الذي يدل على  
أن أصدقاء النزارية وأعداءهم كانوا جميعا في خوف دائم منهم<sup>(٢)</sup> .  
وقد صدق دوستور<sup>(٣)</sup> حين يقول : كانت للحسن الصباح أنصار  
كثيرون في كل مكان ، وكان هؤلاء الأنصار خطرا على أعدائه ، كما  
كانوا خطرا على أصدقائه ، فالأعداء يخافون القتل على أيديهم من يوم  
لآخر ، والأصدقاء يخافون على أنفسهم كذلك من أعداء النزارية ، بل  
من النزارية أنفسهم .

ولا نستطيع أن ننكر أن النزارية أمنوا جانب بركياروق ، على مذهب  
إليه ابن خلدون ، وانتشروا في معسكره ، وأغروا الناس ببدعتهم ،  
وتجاوزوا إلى التهديد عليها ، حتى خافهم أعيان العسكر . وصار بركياروق

(١) تاريخ السلاجقة . نشر براون . في المجلة الآسيوية الملكية ، سنة ١٩٠٢ م ،

ص ٦٠٥ .

(٢) D'Ohsson ; Hist. des Mongoles, vol. iii, p. 158

Ibid. vol. iii, p. 159 (٣)



يصرفهم على أعدائه ، والناس يتهمونه بالميل إليهم (١) ، وقد كان لهذا أثره في زيادة نفوذ النزارية في بلاد المشرق ، فامتلكوا القلاع الكثيرة ، إلا أن هذا التودد لم يدم طويلا ، بل انتهى الصراع بين الأخوين بانتصار السلطان بركياروق ، فتنفرغ بعد انتصاره هذا للنزارية ، وصب جام غضبه عليهم ، وانتصح بنصح مرشديه في الفتك بهم ، قبل أن تدور عليه الدائرة منهم (٢) .

والحق أن السنيين انضموا إلى أعداء بركياروق ، وسيقوه بالسنة حداد ، ورموه باعتناق المذهب النزاري ؛ فلم يجد هذا السلطان بدا من الانتقام منهم ، ولا شك في أنه أراد أن ينقذ سمعته الدينية ، لدى عامة المسلمين كذلك ، فبدأ الدور الثالث بعمله هذا . وقد أجاد الأصفهاني حين يقول : وتعين على السلطان [بركياروق] أن يكشفهم مدافعا ، لئلا ينسبه العوام وأهل الدين إلى الإلحاد وفساد الاعتقاد ، كما جرى على ملك كرمان ، فإن الرعية اتهموه بالميل إلى القوم فبطشوا به ، وأقاموا ملكا آخر مقامه (٣) .

وإذن كانت حرب بركياروق مع الباطنية النزارية حربا يقصد بها انتصار المذاهب السنية على مذهب النزارية ، وعلى أية حالة ، كان غرض بركياروق من الفتك بالنزارية العمل على جذب قلوب السنيين إليه ، وبخاصة من كان منهم يرميه بالإلحاد . أيد هذا ابن الجوزي حين قال : إن بركياروق

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ٥٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٢٠ .

(٣) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٣ .



بعمله هذا «أزال الشكوك التي حامت حوله ، حتى حسم هذا الأمر»<sup>(١)</sup> .  
ويصح أن نستنتج من انتفاض بركياروق على النزارية - أنصاره بالأمس -  
في سنة ٤٩٤ هـ أمورا منها ، كثرة الضمام كبار السنيين إلى هذه الطائفة ، من  
هؤلاء صاحب «يزد»<sup>(٢)</sup> ، وابن مستحفظ «تكريت» ، - في العراق -  
وكثير من قواد بركياروق ، الأمر الذي يدل على تغلغل النزاريين في  
حكومته ، حتى أن أحد وزرائه مات مقتولا على أيدي جنوده السنيين ،  
لأنهم شكوا في إخلاصه ، واتهموه بالميل إلى النزارية . وهذا يدل على أن  
تأثير النزاريين في الناس كان عظيما ، ولا غرو فقد وضع الحسن الصباح  
مبادئ وطرقا مغرية ، يتسلط بها الدعاة على عقول الناس . وإذن فإن  
الحركة النزارية الصباحية كانت حركة فكرية سياسية ، تشبكت فيها حرب  
الاعصاب وحرب المبادئ والعواطف من جهة ، وحرب السيوف  
والخناجر من جهة أخرى .

ونلاحظ كذلك أنه على الرغم من إشادة المؤرخين السنيين بأعمال السلطان  
بركياروق ضد النزارية ، فإن عدد المقتولين من هذه الطائفة على يديه كان  
صغيرا إذا قورن بعددهم الحقيقي ، ويدلنا هذا على أن السلطان بركياروق  
لم يتمكن من استئصالهم . يقول أبو المحاسن<sup>(٣)</sup> في حوادث سنة ٤٩٤ هـ :  
«وقتل هذا السلطان خلقا من الباطنية ، وكانوا ثلثائة ونيفا ، وكتب إلى

(١) ابن الجوزي : مرآة الزمان ، حوادث سنة ٤٩٤ هـ .

(٢) مدينة تنوسط نيسابور وشيراز وأصبهان انظر ياقوت .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة (دار الكتب سنة ١٩٣٥ م) ، ج ٥ ص ١٦٦ .



الخليفة العباسي بالقبض على من اتهم أنه منهم . مما يؤكد أن العمل الذي قام به هذا السلطان ضد النزارية لم يكن حاسما .

ونعتقد أن بركياروق لو كان مخلصا حقا في ثورته على حلفائه النزارية ، لأعلن عليهم الحرب ، وأرسل إليهم الجيوش تلو الجيوش ، واقتلعهم من قلاعهم . والذي فعله فقط هو محاولة إزالة خطرهم عن بلاده ومن بين رعاياه ، لأنه اعتبر بقاء النزارية بين السنيين خطرا على ملكه ، ونظر إليهم كما تنظر اليوم إلى الجواسيس الخاطرين ، أو إلى من نسميهم « طابورا خامسا » ، فكأن الذي أملى عليه سياسته ضد النزارية ، إنما هو عاطفة الحكم وحب الرياسة ، لا عاطفة الدين والمذهب .

ومن الأمور التي نلاحظها أيضا في هذا السبيل ، أن الاتهام باعتناق هذا المذهب كان سبة ومهانة ، وكثيرا ما اتخذ وسيلة للتشفي والانتقام . يقول الإصفهاني<sup>(١)</sup> : « ولما عرفوا جد السلطان في إبادة القوم سعى بعض الناس ببعض ، وأحب وصمه بالإلحاد لسابق عداوة وبغض ، ووصمه باسم لم يمجحه عنه غير السيف ، ولم يجد مبررا عن التزام الحيف ، وبقي في هذه الاصطكاكات<sup>(٢)</sup> والاصطدامات خلق كثير ، وجم غفير ، ولم يبق الأكابر في دفع ما عرأ رأى ولا تدبير » .

وهكذا كانت حكومة السلاجقة في عهد السلطان بركياروق تنظر إلى

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ( مصر ١٩٠٠ ) ، ص ٦٣ .

(٢) اصطك : اصطك القوم بالسيف : تضاربوا بها .



بعمله هذا «أزال الشكوك التي حامت حوله ، حتى حسم هذا الأمر»<sup>(١)</sup> .  
ويصح أن نستنتج من انتفاض بركياروق على النزارية - أنصاره بالأمس -  
في سنة ٤٩٤ هـ أمورا منها ، كثرة الضمام كبار السنين إلى هذه الطائفة ، من  
هؤلاء صاحب «يزد»<sup>(٢)</sup> ، وابن مستحفظ «تكريت» ، - في العراق -  
وكثير من قواد بركياروق ، الأمر الذي يدل على تغفل النزاريين في  
حكومته ، حتى أن أحد وزرائه مات مقتولا على أيدي جنوده السنين ،  
لأنهم شكوا في إخلاصه ، واتهموه بالميل إلى النزارية . وهذا يدل على أن  
تأثير النزاريين في الناس كان عظيما ، ولا غرو فقد وضع الحسن الصباح  
مبادئ وطرقا مغرية ، يتسلط بها الدعاة على عقول الناس . وإذن فإن  
الحركة النزارية الصباحية كانت حركة فكرية سياسية ، تشتبك فيها حرب  
الأعصاب وحرب المبادئ والعواطف من جهة ، وحرب السيوف  
والخنجر من جهة أخرى .

ونلاحظ كذلك أنه على الرغم من إشادة المؤرخين السنين بأعمال السلطان  
بركياروق ضد النزارية ، فإن عدد المقتولين من هذه الطائفة على يديه كان  
صغيرا إذا قورن بعددهم الحقيقي ، ويدلنا هذا على أن السلطان بركياروق  
لم يتمكن من استئصالهم . يقول أبو المحاسن<sup>(٣)</sup> في حوادث سنة ٤٩٤ هـ :  
«قتل هذا السلطان خلقا من الباطنية ، وكانوا ثلثمائة ونيفا ، وكتب إلى

(١) ابن الجوزي : مرآة الزمان ، حوادث سنة ٤٩٤ هـ .

(٢) مدينة تنوسط نيسابور وشيراز وأصبهان انظر ياقوت .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة (دار الكتب سنة ١٩٣٥ م) ، ج ٥ ص ١٦٦ .



الخليفة العباسي بالقبض على من اتهم أنه منهم . مما يؤكد أن العمل الذي قام به هذا السلطان ضد النزارية لم يكن حاسما .

ونعتقد أن بركياروق لو كان مخلصا حقا في ثورته على حلفائه النزارية ، لأعلن عليهم الحرب ، وأرسل إليهم الجيوش تلو الجيوش ، واقتلعهم من قلاعهم . والذي فعله فقط هو محاولة إزالة خطرهم عن بلاده ومن بين رعاياه ، لأنه اعتبر بقاء النزارية بين السنين خطرا على ملكه ، ونظر إليهم كما تنظر اليوم إلى الجواسيس الخطرين ، أو إلى من نسميهم « طابورا خامسا » ، فكأن الذي أملى عليه سياسته ضد النزارية ، إنما هو عاطفة الحكم وحب الرئاسة ، لا عاطفة الدين والمذهب .

ومن الأمور التي نلاحظها أيضا في هذا السيل ، أن الاتهام باعتناق هذا المذهب كان سبة ومهانة ، وكثيرا ما اتخذ وسيلة للتشفي والانتقام . يقول الأصفهاني (١) : « ولما عرفوا جد السلطان في إبادة القوم سعى بعض الناس ببعض ، وأحب وصمه بالإلحاد لسابق عداوة وبغض ، ووصمه باسم لم يمح عنه غير السيف ، ولم يجد مبررا عن التزام الحيف ، وبقي في هذه الاصطكاكات (٢) والاصطدامات خلق كثير ، وجم غفير ، ولم يبق الأكابر في دفع ما عرا رأى ولا تدبير . »

وهكذا كانت حكومة السلاجقة في عهد السلطان بركياروق تنظر إلى

(١) تاريخ دولة آل سلاجوق ( مصر ١٩٠٠ ) ، ص ٦٣ .

(٢) اصطك : اصطك القوم بالسيف : تضاربوا بها .



النزارية ، كما تنظر الحكومات الديمقراطية اليوم ، إلى معتنقي المبادئ الفاشية والبلاشفية مثلاً ، وتلقى بأصحابها ومعتنقيها في غياهب السجون ، والفرق بين ما تعمله الحكومات اليوم ، وما كانت تعمله الحكومات السلجوقية ، هو أن الفاشيين والبلاشفة في البلاد الديمقراطية يلقى بهم في غياهب السجون ، بحجة أنهم خطر على كيان الأمة التي ينتمون إليها ، أما النزارية فكان السلاطين السلاجقة يعتبرونهم خطراً على كيان الأمة ودينها معاً ، ويعتبر القتل جزءاً لهم ، لأن المبادئ الأولى مبادئ سياسية ، على حين تعتبر مبادئ النزارية مبادئ دينية وسياسية معاً .

ونلاحظ أيضاً أنه كان لهذه المذبحة على صغرها أثر كبير في توجيه الدعوة النزارية ببلاد الشام ، فإن الداعي أبا إبراهيم الاسترابادي - أحد زعماء النزارية وأحد كبار موظفي السلاجقة - حين قتل سنة ١١٩٤ هـ فر أحد أقربائه إلى بلاد الشام ، وأخذ في ترويج الدعوة النزارية هناك فكان لجهوده كبير الأثر في نجاح النزارية بالشام . يقول ابن الأثير فيه : « وكتب بركياروق إلى بغداد بالقبض على أبي إبراهيم الأسداباذي الذي كان قد وصل إليها رسولاً من بركياروق ، ليأخذ مال وزيره مؤيد الملك . وكان من أعيانهم ورؤسائهم ( أي من أعيان النزارية ) ، فأخذ وحبس ، فلما أرادوا قتله ، قال : هبوا أنكم قتلتموني ! أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن ؟ فقتل ، ولم يصل أحد عليه ، وألقي خارج السور . وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم » <sup>(١)</sup> وفر ابن اخته إلى بلاد الشام ، فنظم الدعوة النزارية بها .



وقد أخذ بعض كبار الأمراء السنيين بقتل السلطان بركياروق في الفتك بالزارية ، حتى أن الأمير « جاولى سقاو » ، وكان واليا على البلاد الواقعة بين رامهرمز (١) وأرجان (٢) ، لما أدرك خطر الزارية ، بعد استيلائهم على الكثير من القلاع في خوزستان وفارس ، وبعد قطعهم الطرق في تلك البلاد ، عمل على التخلص منهم والفتك بهم ، واحتال عليهم وأفى منهم عددا غير قليل (٣) .

ولم يقف أتباع الحسن مكتوفي الأيدي إزاء ذلك العدوان السني ، بل أخذوا يردون على تلك الأعمال العدوانية بما هو أشد منها ، فاستولى الكيابزرجيد ، كبير دعائهم في رودبار ، على إحدى القلاع القوية في سنة ٩٩٥ هـ ، ووضع السيف في رقاب أهلها ، بعد أن رفضوا الدخول في مذهب الزارية . ومن ثم أصبح مركز الكيابزرجيد في رودبار وزميله المظفر في خراسان ، من أخطر الأمور على دولة السلاجقة في عهد السلطان بركياروق ، ومن وليه من السلاطين .

وكذلك انتقم الزارية لأنفسهم بقتل وزير السلطان بركياروق على أبواب أصفهان ، بين يدي السلطان ، وتحت سمعه وبصره (٤) . وليس هذا فقط ، بل فعلوا ما كان القرامطة يفعلونه من الفتك بالحاج ، ونهب أمتعتهم

(١) رامهرمز : انظر المصور .

(٢) أرجان »

(٣) ابن الأثير: الكامل ، ج ١٠ ص ١٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٠ ص ١٢١ .



فقد اجتمع في سنة ٤٩٨هـ (١١٠٥م) قفل الحاج وما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد ، فوصلوا إلى جوار الرى ، فأتاهم الباطنية [النزارية] وقت السحر ، ووضعوا فيهم السيوف ، وقتلوه كيف شاءوا ، وغنموا أموالهم ودوابهم ، ولم يتركوا شيئا ، (١) .

نستطيع أن نتبين من هذا كله أن النزارية في عهد الصباح أضحو قوة يخشى بأسها ، فأصبحوا كدولة وسط الدولة العباسية السنية ، وأضحوا في زمن السلطان بركياروق (٤٨٧ - ٤٩٨هـ) قوة مرهوبة الجانب ، عملها انتهاز الفرص ، والإفادة من الظروف السيئة التي غمرت الدول السنية التي تحيط بها ، كما نتبين أن قاعدتهم «آلموت» لم تتعرض في عهد بركياروق للأخطار التي تعرضت لها في حكم ملكشاه أو ابنه السلطان محمد مثلا .

(ب) صراع نزارية الحسن الصباح مع السلطان محمد ٤٩٨هـ ١١٠٥م  
١١١٨

كان السلطان محمد بن ملكشاه أشد على النزارية من أخيه السلطان بركياروق ، فلما ولي الملك في سنة ٤٩٨هـ ، جعل دأبه قصد الباطنية ، مدفوعا في ذلك بعاطفة الانتقام منهم ، لانضمامهم إلى أخيه بركياروق عليه ، وتهديدهم ملكه ؛ فقد باتت قلعة «آلموت» تهدد خراسان ، وأضحت دار الدعوة ، في أصفهان تهدد فارس . بل أصبحت مملكة السلاجقة محالاً حيويًا للنزارية أنفسهم ، ينشرون فيها نفوذهم . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان للعاطفة الدينية ، أو التظاهر بتلك العاطفة أثر كبير في تحريك الهمم ضد النزارية في عهد السلطان محمد ، الذي رغب في جذب السنيين عامة



إليه ، حتى لا يرى بالتقرب إليهم ، كما رمى أخوه بركياروق به من قبل ، وليس هذا فقط ، بل لقد اتضحت له خطورة هذه الطائفة ، حين رأى رضوان ابن عمه تنش بن ألب أرسلان ، صاحب حلب ، يعتمد على النزارية ، ويقيم لهم بيلاده دورا للدعوة ، فأدرك السلطان محمد ، خطورتهم على ملكه في الشرق والغرب ، واعتقد أنه بالقضاء عليهم في فارس وخراسان ، سوف يقضى عليهم في بلاد الشام كذلك .

وكان يهيم هذا السلطان القضاء على نزارية قلعة « شاه دز » المجاورة لحاضرة ملكه ، أصفهان ، وبخاصة بعد أن احتلها « كبير الدعاة » الثاني ، أحمد ابن عبد الملك بن عطاش ، وبعد أن احتل السكيا بزرجميد قلعة قوية أخرى في إقليم « رودبار » . وبعد أن استقرت حكومة النزارية في « آلموت » ، وقويت . وقد كان مشروع السلطان محمديرى إلى التخلص من قلعة « آلموت » ، ومن قلعة « شاه دز » معا ؛ لأنه بالقضاء على الحسن الصباح في « آلموت » ، وابن عطاش في « شاه دز » ، يقضى على الزعامة النزارية الممثلة في شخصيهما .

## ١ — السلطان محمد وابنه عطاش

ونستطيع أن نقبين من استيلاء ابن عطاش على قلعة « شاه دز » ، براعة النزارية في التحالف والدهاء ، فإنه على الرغم من تظاهر كبير الدعاة ابن عطاش ، بالتبرؤ من المذهب الإسماعيلى ، عمل على جذب سكان القلعة إلى مذهبه بطريق سرية ملتوية ، مما يدل على أنه إنما تظاهر بالتبرؤ من النزارية تقية . وكان السلطان ملكشاه قد وضع خزان ملكه بهذه القلعة ، كما وضع



بها خزان سلاحه ، وغلبان قصره ووصيفاته ، وجعل عليها حراسا من الديالمة ، فتمكن أحمد بن عبد الملك بن عطاش من الدخول إلى القلعة ، كهدرس يعلم الفتيان بها ، وكتاجر يبيع للفتيات بها ما يحتجنه . وقد اعتاد هذا الزعيم التزاري الثاني ، الاتصال بالحراس الديلم ، وإلقاء الدروس الدينية عليهم ، فعمدت بينه وبينهم أواصر المحبة . وأخذ عليهم اليهود ، وأصبح بهذه الطريقة - على مضى الزمن - الحاكم المطاع في القلعة ، فاستولى عليها ، ونهب ما بها .

ولم يكتف أحمد بن عبد الملك بن عطاش بذلك ، بل أنشأ عند باب مدينة أصفهان « دار دعوة » ، "Dawat Khana" ، حتى اعتنق كثير من أهل أصفهان المذهب الإسماعيلي ، وبلغ عددهم بها أكثر من ثلاثين ألف نسمة ، فقوى أحمد بن عبد الملك بهم ، وأخذ يغير على المسلمين السنيين ، كما أخذ الباطنية يخطفون الناس من الطرقات . وقد افتضح أمرهم ، ورأى السلطان محمد ضرورة الإنهاء عليهم . يقول ابن القلانسي<sup>(١)</sup> : إن أحمد بن عبد الملك « كان شديد البأس ، لا يسمع بأمر له صولة ، ولا عالم له منزلة ، إلا بعث إليه من يفتك به » .

ويظهر أن امتلاك أحمد بن عبد الملك قلعة « شاه دز » إنما حدث في سنة ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) ، لأنه بقي بها اثني عشر عاما ، حتى استردها منه السلطان محمد في سنة ٥٠٠ هـ ( ١١٦٠ م )<sup>(٢)</sup> يؤكد هذا ما ذكره

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥١ .

(٢) مما يدل على استغلال النزاع بين أبناء السلطان ملكشاه ، فقد انضموا إلى بركياروق ، فتقاضى هذا عنهم ، ثم استولوا على قلعة « شاه دز » على مرأى منه .



ابن الجوزى<sup>(١)</sup> فى قوله : « وكان ابن عطاش لما مات ملكشاه قد تحيّل عليها وملكها ، وأقام بها اثنتى عشرة سنة » .

بهذا كله ترى أن السلطان محمد بن ملكشاه كان مجبرا ، أمام قوة النزارية ، على أن يفتك برئيسهم فى «شاهدز» ، فقد نال المسلمين السنيين من هذه القلعة أذى كثير ، فقتل النزارية من رعاياه كثيرين ، واضطرت قرى السلطان محمد - المجاورة لها - أن تدفع الجزية لابن عطاش ، وتماذى النزارية ، وفرضوا على الناس ضرائب عدة ، فكان حتما على السلطان ، بعد أن صفاه الجوزى ، أن يدافع عن السنة ، وعن الرعية معا ، بإعلانه الحرب على «شاهدز» وعلى «الموت» .

ولم يكن ذلك إلا لأنه قد « صار لابن عطاش عدد كثير وبأس شديد ، واستفحلت أموره بالقلعة ، فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال ، وقتل من قدروا على قتله ، فقتلوا خلقا كثيرين لا يمكن لإحصائهم ، وجعلوا على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ، ليسكنفوا عنها الأذى ، فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه ، والناس بأملأهم ، وتمشى لهم الأمر بالخلف الواقع بين السلطانين بركياروق ومحمد ؛ فلما صفت السلطنة لمحمد ، ولم يبق له منازع ، لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحريهم ، والانتصاف للمسلمين [السننيين] من جورهم وعسفهم » ، (٢) .

(١) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ورقة ١٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٦٢ .



وفوق ذلك اجترأ نزارية هذه القلعة على قتل وزير السلطان سنجر ،  
 شقيق السلطان محمد بن ملكشاه ، فرأى هذا أن ينتقم لكرامة أخيه منهم ،  
 وأن يدفع غائلة النزارية عن السنين ، وبعبارة أخرى اتفق السلطانان :  
 سنجر ومحمد على البدء بنزارية قلعة « شاه دز » . يقول ابن الجوزي :  
 « ويقال : إن الباطنية النزارية لما قتلوا نخر الملك وزير سنجر ، كتب  
 سنجر إلى محمد يقول : إن هؤلاء لا يبقون على ولا عليك ، والواجب قلعهم  
 عن الأرض وإبادتهم ؛ فسار إلى قلعة ابن عطاش وفعل ما فعل ، (١) .

وعلى أية حالة ، رأى السلطان محمد البدء بقلعة « شاه دز » . لأنها قريبة  
 من أصفهان ، قاعدة ملكه ، ولأن ضررها على رعاياه السنين كان بليغا  
 حقا ، أو بالأحرى ، لأن الأذى بها أكثر من غيرها ، وهي متسلطة على  
 سرير عسكره ، (٢) .

ولما أدرك نزارية هذه القلعة ما اعتزمه السلطان محمد ، ملأ أنصارهم من  
 الموظفين الحكوميين الجو شائعات ، نتج عنها تأخير سير الحملات إليها ،  
 فأظهروا أن ثورة اندلعت ببغداد ، وأخرى بخراسان ، ولكن السلطان  
 محمدا ، خرج بنفسه إلى قلعة « شاه دز » فحاصره - على ما يقول ابن الأثير - في  
 سادس شعبان سنة خمسائة (١١٠٧ م) ، وكان قد عزم على الخروج أول  
 رجب ، فسام ذلك من يتعصب لهم [للنزارية] من العسكر ، فأرجفوا أن قليج  
 أرسلان بن سليمان ، ورد ببغداد وامتلكها ، واقتتلوا في ذلك مكاتبات ،

(٢) ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ورقة ١٤ .

(٣) العيني : عقد الجمان ، ج ٢٠ ورقة ٦١٢ .



ثم أظهروا أن خلافاً قد تجدد بخراسان ، فتوقف السلطان لتحقيق الأمر ، فلما ظهر بطلانه ، عزم عزيمة مثله ، فقصده حريمهم (١) .

ويتضح اهتمام السلطان محمد بحرب ابن عطاش ، من أنه كان على رأس الجيوش المحاربة ، وأنه صعد بنفسه جبلاً مقابلاً لقلعة شاه دن ، التي اعتصم بها النزارية ، وأمر بإحكام حصارها ، حتى لا يستطيع ابن عطاش ومن معه الإفلات منها ، كما نظم القتال بطريقة فعالة تضمن له النجاح ، وجعله بالتناوب بين أمرائه ، وقد انضم إلى جيوشه ألوف من سكان تلك النواحي - نواحي أصهبان - ممن يرغبون في الانتقام من النزارية ، حتى أنه واجتمع له من أصهبان وسوادها ، لحربهم ، الأمم العظيمة ، للدحول (٢) التي يطالبونهم بها . ويظهر أن هذه الجيوش كانت من الكثرة بحيث قال فيها ابن القلانسي (٣) : « وتوجه [السلطان محمد] إليها في عساكره الدثرة (٤) ، المتناهية في القوة والكثرة » .

وقد بذل نزارية ابن عطاش أرواحهم رخيصة في الدفاع عن قلعة م ، ولما قلت مؤونتهم وأوشكت على النفاد ، سلكوا مسالك شتى ، للحصول على الذخيرة ، وإطالة أمد الحرب ، فكانوا يرسلون جماعات منهم لنهب جيوش السلطان على غرة ، كي يملثوا بطونهم ، ويطيّلوا أمد الحصار

(١) ابن الأثير : المكمل ، ج ١٠ ص ١٦١ .

(٢) الدحول : الأخذ بالنار .

(٣) ذيل تاريخ دمشق ( بيروت سنة ١٩٠٨ م ) ، ص ١٥١ .

(٤) الدثرة : الكشيفة .



دون التسليم ، كما لجئوا إلى التظاهر بالإسلام ، واعتناق مبادئ السنة ، وطلبوا من السلطان محمد أن يعرض أمرهم على فقهاء السنيين ، وإليك نص ما عرضه عليه : « ما يقول السادة الفقهاء ، أئمة الدين ، في قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وكتبه ورسله ، وأن ما جاء به محمد ، عليه الصلاة والسلام ، حق وصدق ، وإنما يخالفون في الإمام ، أيجوز للسلطان مساعدتهم ومهادنتهم ومواعتهم <sup>(١)</sup> ، وأن يقبل طاعتهم <sup>(٢)</sup> ؟ » .

وكاد النزارية أن ينجحوا في هذه السبيل ، لأن كثيرا من الفقهاء السنيين أفتوا بجواز ذلك ، إلا واحدا امتنع وقال : « يجب قتلهم . ولا ينفعهم اللفظ بالشهادتين ، وحجته في ذلك أن النزارية يطيعون إمامهم إذا أباح لهم ما حرّمته الشريعة الغراء » ، فأخفقت محاولتهم أمام هذا الإصرار السني . ونحن لا نستبعد أن يكون للنزارية أنصار في صفوف رجال السلطان السلجوقي ، حتى من بين الفقهاء أنفسهم ، لأنه على الرغم من إقناع هذا الفقيه السني زملاءه الفقهاء ، طال أمد المناظرة .

على أن النزارية لجئوا إلى ماطلة أخرى ، لأنهم كانوا يعتمدون على عنصر الزمن ، الذي كان في صالحهم وحدهم . فطلبوا من السلطان محمد أن يرسل إليهم الفقهاء ليماظروهم في أصول دينهم وعقائدهم . فلما صعد الفقهاء إلى قلعته ، لم يتفقوا على شيء . وقد أدرك السلطان محمد ما يرمى إليه النزارية من إطالة أمد الحرب ، كي يلعب أنصارهم بأصابعهم في الجيش السلطاني ، فشدد الحصار عليهم .

(١) هكذا ورد في الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٣ ورقة ٥١٧ .

(٢) المصدر نفسه .



وقد لجأ النزارية إلى حيلة جديدة أخرى ، فحاولوا ترحيل أكبر عدد ممكن منهم من قلعة « شاه دز » ، وطلبوا من السلطان محمد أن يسلم إليهم قلعة أخرى ، يحتمون بها من العامة السنيين ، ولما أجيبوا إلى ذلك ، طلبوا من السلطان أن يمدهم ببعض إمدادات يعتمدون عليها في أثناء ارتحالهم عن هذه القلعة الأولى ، فكان « قصدهم المطاولة ، انتظارا لفتح ينفق ، أو حادث يتجدد » <sup>(١)</sup> على أن النزارية لم ينفذوا شروط الاتفاق ، « وأقاموا تلك المدة يجمعون ما يقدرون عليه من الأطعمة ، ووثبوا على بعض الأمراء وقتلوه » <sup>(٢)</sup> .

اضطر السلطان محمد إلى تخريب القلعة التي قصدوا الذهاب إليها ، وحينئذ عرضوا على السلطان الذهاب لبعض قلاعهم الأخرى ، على أن يبقى بعض منهم بقلعة « شاه دز » ، إلى أن يتم وصول الأولين إلى تلك القلاع النزارية ، وكان من تبقى منهم في قلعة « شاه دز » ، وعلى رأسهم كبير الدعاة أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، قد اتخذوا لهم في هذه القاعة مكانا تحصنوا فيه ، وصفه السلطان محمد بقوله : « واعتصم ابن عطاش بقلعة <sup>(٣)</sup> أخرى ، تسمى « دالان » مع نخب أصحابه من المقاتلة . وهذه القلعة من أمتع المواقع من القلعة وأحصنها ، وأوعرها مسلكا وأحزنها <sup>(٤)</sup> ، فقد نقل إليها ما كان بقى لهم من الميرة وسائر ما يستظهر به من السلاح والذخيرة » <sup>(٥)</sup> .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٦٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ص ١١٦ .

(٣) : القلعة = القمة .

(٤) أكثرها ارتفاعا وانخفاضاً .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ( بيروت سنة ١٩٠٩ ) ، ص ١٥٤



والحق أن ابن عطاش لجأ إلى تلك القصة ، بعد أن نصحه بذلك  
جواسيسه في قصر السلطان محمد ، وعلى رأسهم الوزير - سعد الملك -  
يتضح هذا كله من رسالة السلطان محمد إلى الخليفة العباسي المستظهر ، وفيها  
يقول : « وأما منا من المستخدمين وأصحاب الدواوين نفر تصغى إليهم  
أفتدئهم ، فيما كانوا عليه من مخالفة ، يتوصلون بمكرهم من نقض ما يبرم وتأخير  
ما تقدم ، ويوهمون أنها من النصائح التي تقبل وتلزم ، حتى يتطاول دون  
ذلك الآن (١) ، وبأن من القوم المعتقد ، واتضح لنا من صائب التدبير  
ما يعتمد ، ، وقد أوضحت الرسالة في مكان آخر ، انتقام السلطان من  
صنائع الحسن الصباح ، وابن عطاش ، فقالت : « ثم انتقمنا من  
المستخدمين الغادرين بالملك والدين ، حتى ساقهم الحين المتاح إلى حين (٢)  
فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب ، إن الشقاء على الأشقين  
مصبوب » (٣) .

أما انتقام وزير السلطان محمد ، المدعو سعد الملك ، إلى جماعة  
النزارية ، فيتضح من اتهام كبار أصفهان له بذلك ، وإعراض السلطان  
عن تصديقهم أول الأمر ، غير أنه تأكد من صحة هذا الاتهام بعد حين ،  
فعلم أن هذا الوزير كان يرسل ابن عطاش في محنته الأخيرة ، فقد أرسل  
الرئيس النزاري إليه يقول : لم يعد لدينا ما يكفيننا من المؤن ، وقد كلت

(١) الآن : الزمان .

(٢) الحين : النهاية .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق (بيروت سنة ١٩٠٩ م) ، ص



سواعد رجالنا ، ونحن راغبون في تسليم القلعة . فطلب منه الوزير الصبر أسبوعا واحدا ، حتى يقضى فيه على ذلك «الكلب» - أى السلطان محمد - ولهذا تأمر سعد الملك مع فاصد ، اعتاد أن يفصد السلطان كل شهر ، ومنحه ألف دينار ، في مقابل سم السلطان . ولم يكن الوزير وحده هو المتأمر على قتل السلطان محمد ، بل كان حاجبه على علم بتلك المؤامرة ، فأفشى سرها إلى زوجته ، وهذه أفشتها إلى من أخبر بها السلطان . فلما تحقق هذا من صحة المؤامرة ، فتك بالوزير سعد الملك . وكان من أثر الفتك بالوزير الخائن ، أن سلم ابن عطاش القلعة بعد قتله بيومين اثنين (١).

ومهما يكن من أمر فإن الهجوم على النزارية كان شديداً . وقد برهن ابن عطاش على مقدرة حربية نادرة المثال ، وقوة أعصاب حديدية ؛ إذ لم يكن يحارب جمافل السلطان محمد إلا بثمانين رجلا ، وموه على أعدائه ، فأقام أسلحة على هيئة الرجال في بعض المواقع ، ودافع عن البعض الآخر ، وكان من أثر استيلاء السلاجقة على تلك القلعة ، والقبض على أحمد بن عبد الملك بن عطاش ، وعلى ولديه ، والتمثيل بهما في شوارع مدينة أصفهان ، ثم قتلهما ، وإرسال رأسيهما إلى بغداد ، زعيمة السنيين حينئذ . وبقته أيضا قضى السلطان محمد على عدو خطير ، طالما أنكى في السنيين . وكانت قلعته ، « شاه دز » ، شوكة في ظهر السلاجقة وسيادتهم ، وبهذا تمكن السلطان محمد من أن يوجه كل قواه ، بعد ذلك ، إلى الزعيم

(١) تاريخ السلاجقة . (مخطوط بباريس - ترجمة براون في المجلة الآسيوية الملكية



الثاني - الحسن الصباح - بقلعته « آلموت » ، في جبال « إل بورز » ، جنوبي بحر قزوين .

على أن القضاء على ابن عطاش أفاد الحسن الصباح نفسه كثيراً ، لأن زعامته كانت محدودة في حياة ابن عطاش ؛ وبهذا نرى أن الحسن الصباح لم يجمع السلطة كاملة في يده إلا بعد وفاة ابن عطاش (١) ، ولا غرو ، فقد كان ابن استاذة ، كما كان موضع احترام النزارية جميعاً .

### (٢) السلطان محمد والحسن الصباح

بعد قضاء السلطان محمد على ابن عطاش النزارى ، في سنة ٥٥٠ هـ ، وجه جيوشه جميعها إلى قلعة « آلموت » ، وقوّد عليها وزيره أبا نصر أحمد بن نظام الملك ، أكبر عدو للنزارية ، في ذلك الحين ؛ فكان اهتمامه بآلموت كاهتمامه « بشاه دز » ، كما كانت كراهيته للحسن الصباح أكثر من كراهيته لابن عطاش . ويهمل بعض المؤرخين ذكر المجهودات التي بذلها السلطان محمد ضد النزارية في « آلموت » ، فور قضائه على ابن عطاش ، ولا يذكرونها شيئاً إلا في سنة ٥٥٥ هـ .

ولا مرأى في أن السلطان محمد ، لما علم أن مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم ، وإخرا بديارهم ، وملك حصونهم وقلاعهم ، جعل قصدهم دأبه (٢) . وإن في إرساله وزيره أبا نصر بن نظام الملك ، استشارة لما في نفس ذلك الوزير ، من حقد دفين على النزارية ، الذين قتلوا أباه ، نظام الملك ،

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٩٩ .



بالأمس ، فكان اختيار السلطان محمد بن ملكشاه هذا الوزير دون غيره ،  
دليلا على ما عزم عليه من استئصال شأفة النزارية .

ويختلف المؤرخون في تحقيق الوقت الذي أرسلت فيه تلك الحملة  
الأولى ضد «آلموت» ، فيرى ابن القلانسي أنها كانت في ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) ،  
ويرى ابن الفرات وابن الأثير ، أنها في سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م) . فيقول  
ابن القلانسي <sup>(١)</sup> في حوادث سنة ٥٠١ هـ : إن الوزير «أظفره الله بهم»  
ونصره عليهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وخرّب منازلهم وقلاعهم .  
ويقول ابن الفرات <sup>(٢)</sup> في حوادث سنة ٥٠٣ هـ : إن حصار الوزير  
قلعة «آلموت» كان شديدا ، حتى كادت أن تقع في قبضة يده ، لولا  
«هجوم الشتاء عليهم ، وسقوط الثلوج ، فاقتضى الرأي العود عنه ،  
وعن حصار آلموت ولم يبلغوا منه غرضا» .

وقد عمل الحسن الصباح على الانتقام من وزير السلطان محمد ، فشيّع  
وراءه جماعة من فدائيه ، لحقوه في بغداد ، حين دخل مع السلطان محمد ،  
فأصابوه بجروح ، شفى منها بعد علاج طويل ، ومجهود طبي متصل . ويدلنا  
على خطر تأمر الحسن ضد الوزير السني أنهم «أخذوا الباطني ، وسقى الخمر بغين  
اختياره ، فلما سكر ، سئل عن أصحابه ، فأقر على جماعة بمسجد المأمونية <sup>(٣)</sup>» .

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٢ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك (مخطوط مصور) ، ج ١ ورقة ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٨١ ، والمأمونية : محلة كبيرة في بغداد .  
ويدلّك هذا كله على مدى تأثير النزارية في الدولة الإسلامية حتى في بغداد ذاتها .



وإذا كانت حملة السلطان محمد الأولى على «آلموت» قد أخفقت ، فقد أعد في سنة ٥٥٠ هـ (١١١١ م) ، جيشاً آخر برئاسة قائد السكبير «أنوشتكين شيركير» ، الذي كان مريماً لابنه الأمير طغرلبك . وكان قبل من أنصار السلطان بركياروق ، فلما أدرك ميله إلى النزارية تبرأ منه ، وقصد إلى السلطان محمد ، فعظمت منزلته لديه . وصفه الأصفهاني بقوله (١) : «كان شهماً شديداً ، وسهماً سيديداً ، وسماً زعافاً على العدو ، وموتاً زوأمًا على أهل الإلحاد والعنوة» .

ويرى ميرخسند أن الحملات التي وجهها السلطان محمد ضد النزارية في «آلموت» ، منذ سنة ٥٥٠ هـ حتى سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) ، كانت بقيادة الوزير أبي نصر بن نظام الملك ، وهذا عكس ما يراه ابن الفرات وغيره . ويظهر أن السلطان محمد ، حين أدرك ضعف هجوم هذا الوزير على النزارية ، قرر استئصال شأقتهم ، بالاستعانة بقائد ذي خبرة في جميع الفنون الحربية ، متشرب بكره النزارية .

ومهما يكن من أمر ، فإنه عهد إلى أنشتكين بفتح جميع بلاد «رودبار» ، جنوبي بحر قزوين ، وضمها إلى ابنه طغرلبك . وكان دأبه تخريب قلاعهم ، وإتلاف مزارعهم ، وإفناء رجالهم ، كما كانت غايته النهائية تتركز في الاستيلاء على قلعة «آلموت» (٢) ، وجعلها أثراً بعد عين ، ولذلك عمل على استلاب كل ما يحيط بها من قلاع الدعوة ، غير أنه كان يرسل سكان تلك القلاع إلى قلعة «آلموت» .

وقد يعتقد المرء أن ما فعله القائد الكبير شيركير من أكبر الأخطاء الحربية ،

(١) تاريخ دولة آل سلجوقي ، ص ١٠٧ .

(٢) Defremery ; Nouvelles Recherches (J. A. 1848) p. 34



لأنه كان يعمل على تقوية جيوش «آلموت». غير أن ذلك القول ليس صحيحاً في جملته، لأن شيركير إذا ما أحكم الحصار حول «آلموت» فإن ذلك العدد الكبير سوف يصبح عالة على الحسن الصباح، وسوف يعجز عن تموينهم. وسترنا الحوادث صحة هذا الرأي، فقد كان حصار «آلموت» وإماتة من بها غاية، ولذلك بنى حولها المساكن، وجعل الحرب ضدها مناوئة بين قواده، وأخذت الإمدادات تتدفق عليه، الأمر الذي يدل على اهتمام القائد والسلطان معا، رب النزارية وإبادتهم.

يصف ابن الفرات (١) مهارة القائد شيركير بقوله: «وكان هو صاحب العزيمة والبصيرة في قتالهم: من جودة رأى وشجاعة، فبنى عليها [أى على آلموت] مساكن يسكنها هو ومن معه، وعين لكل طائفة من الأمراء شهوراً يقيمونها، وكانوا يغيثون ويحضرون، وهو ملازم الحصار». وقد نجحت خطته، حتى ضاق الأمر بالحسن الصباح ومن معه، وقلت الأقوات لديهم. وعلى الرغم من دقة الحسن الصباح ومهارته الفائقة في تموين نزارية «آلموت» ومن لجأ من أشياعه إليها، إلا أنه رأى ألا طاقة له بذلك الحصار، الذي أحكمت حلقاته حوله.

وقد لجأ الحسن في تخفيف ضغط القائد شيركير عليه إلى طريقة بارعة، فأخرج النساء والأطفال مستأمنين، وطلبوا السماح لهم ولرجالهم بالخروج من قلعة «آلموت». ولما كان هم شيركير ينحصر في إماتة النزارية



صاغها بيديه ، إذ بفضل هذا كله ، أمر السلطان الجديد ، بفض الحصار عن قلعة «آلموت» ، ثم القبض على القائد «شير كير» . ويرينا هذا بطلان ما ذهب إليه جمهرة المؤرخين من أن الجيوش التي كانت تحاصر «آلموت» ، حين سمعت بموت السلطان محمد ، عادت أدراجها من غير نظام .

والحق أن الأوامر التي صدرت إلى هذه الجيوش إنما أصدرها الوزير ، الدرگزینی ، والسلطان الجديد - محمود بن محمد بن ملكشاه - ، دون أخذ رأى القائد شير كير ، فإول هذا أن يبين لمن معه من القواد خطورة التمهقر الفجائي ، وحتم عليهم وجوب الانتظار مدة من الزمان ، يستطيعون خلالها ترحيل مؤنهم وذخائرهم ، كيلا تقع فريسة في يد العدو . وقد ذهب ابن الأثير<sup>(١)</sup> إلى القول بأن شير كير فوجيء مفاجأة تامة برحيل جيوشه دون أخذ رأيه فيقول : إن هذا القائد قال لمن معه : « إن رحلنا عنهم وشاع الأمر ، نزلوا إلينا ، وأخذوا ما أعددنا من الأقوات والذخائر ، والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها ، وإن لم يكن المقام ، فلا بد من مقام ثلاثة أيام ، حتى ينفذ منا ثقلنا وما أعددناه ، ونحرق ما نعيجز عن حمله ، لئلا يأخذه العدو » .

ولكن «الدبلوماسيّة» التي أمرت الجيوش بالارتداد ، تمكنت من التفرقة بين آراء القواد ، إذ على الرغم من الجهود التي بذلوا ، والعمود التي أخذوها على أنفسهم بالبقاء ، حسبما أشار القائد شير كير عليهم ، « رحلوا بغير ترتيب ، ولم يبق غير هذا الأمير ، ونزل إليه الباطنية من قلعة «آلموت» ، فدافعهم وقتلهم ، فقتلوا من العسكر خلقا كثيرا . وحمى الأمير



شيركير من تخلف من سوقة العسكر وأتباعه ، ولحق بالعسكر » (١) .

وقد نتساءل عن السر الحقيقي في ذلك التمهق : فهل كان معنى هذا إقرار السلاجقة بعجز جيوشهم الجرارة أمام خناجر الفداوية والنزارية ؟ إن صح ذلك الافتراض ، دل على مدى قوة النزارية ، وعجز السلاجقة . أم أن ذلك يرجع إلى خيانة الوزير الدرگزني وحده ؟ قد يكون ذلك صحيحا ، خصوصا بعد أن عرفنا كيف رغب هذا الوزير في التودد إلى النزارية ، ليستغل خناجرهم ضد أعدائه ، ولكن هذه الخيانة لا يصح أن تكون السبب الأوحده في ذلك التراجع الخزي . والذي يظهر لنا - فوق ما تقدم - أن هذا الوزير أدخل في روع السلطان الجديد أن الجيش الذي يحاصر «آلموت» قد يستخدم ضده ، ومن الواجب تمهقه ، حتى لا يستغله القائد شيركير لصالح ربيبه وولى نعمته ، طغر بك بن السلطان محمد .

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد ، بل قبض القواد على هذا القائد المخلص ، بأمر من السلطان محمود نفسه ، أو بعبارة أخرى ، ولما لحق الأمير شيركير بالعسكر ، أظهر الأمراء الذين كانوا معه أن كتب السلطان محمود وردت عليهم بالقبض عليه » (٢) .

وأما نهاية القائد شيركير ، فقد صاغها بأيديهم أنصار الدعوة النزارية من موظفي القصر السلطاني ، حيث تمكن الدرگزني من إغفار قلب السلطان محمود عليه ، فأمر بقتله ، وبعمله هذا ترك الدولة السلاجقية عرضة لخناجر الفداوية ، يسلطونها على من يشاءون من الوزراء والأمراء .

(١) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك (مخطوط مصور) ، ج ٢ ورقة ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ورقة ١٧ .



يصف الأصمها في (١) خيانة الوزير الدر كزيني ، وموقفه من القائد شير كير ، وعلاقته الطيبة بالنزارية في قوله : وكان سبب ميل الباطنية إلى الدر كزيني أن الأمير شير كير - رحمه الله - كان مشغولا بحصار قلعة « آلموت » . . . فلما توفي السلطان محمد ، وتولى ابنه محمود ، وتمكن الدر كزيني من الدولة ، أعمل الحيلة في استدعاء شير كير من القلعة ، ثم لم يزل يدقق الاحتيا ، حتى جعل لشير كير عند السلطان ذنوبا اختلقها ، ومساوى لفقها ، حتى اعتقل ذلك الأمير مع ولده شرف الدولة . ولم يزل يطلب غرة (٢) السلطان في أمرهما حالتى سكره وصحوه ، حتى أخذ رخصته في سفك دمهما الحرام ، وأذهب بقتلهما قوة الإسلام ، واتخذ بذلك عند ذوى الإلحاد يدا ، واستكثر له من أعوانهم مددا .

وأما نتائج تلك الحركة المحتدمة بين التشيع والسنية Shiism&Sunnism فتتلخص في أن سيادة الحسن الصباح ودسائسه بين السفين كان لها من الأثر الطيب ما يعادل موت السلطان محمد . وأن الدعوة النزارية خرجت من تلك الجولة ظافرة ، على عكس ما نالها على يد ابن عطاش ، فكان هذا النجاح عاملا هاما في زيادة قوة الحسن وجماعته في المشرق والمغرب (٣) ، هذا إلى الأثر المادى الكبير ، الذى ربحه النزارية ، فقد استولوا على جميع مؤن الجيش وذخيرته ، حيث نقلوا إلى القلعة من العدد الكثيرة ، والأزواد

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٣٣٣ .

(٢) الغرة : الطلعة .

(٣) المقصود بالشرق : فارس وخراسان ، أما المغرب هنا فيقصد به بلاد الشام .



والهيرة (١) . ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار ، (٢) وما أعظمها في  
في ذلك الزمن السحيق !

ولانس أنه قد أصبح للزارية في ديوان السلاجقة رئيس ، بل رؤساء  
على مذهبهم ؛ فهذا الدرگزني يجذب إليه السلطان الجديد - محمود - ويؤثر  
كثيرا في نفوذ عمه السلطان سنجر بن ملكشاه ، حتى ليكاد هذا السلطان  
يمنع عن حرب الزارية ، وإذا أصبح الوزير والسلطان على هوى الزارية  
أفرخت دعوتهم ، وأنت أكلها مرتين .

كما لا ننس أن الدولة السلجوقية السفينة ، فقدت قائدا من خيرة  
قوادها ، الذين كانوا يتحمسون ضد الزارية . لسبب هذه الأسباب قوى  
مركز الزارية ، وامتد نفوذهم شرقا وغربا ، كما أنه بموت السلطان محمد  
سنة ٥١١ هـ . وتخلص الزارية من رجل كان القضاء عليهم دأبه ، واستتصال  
شأقتهم مقصده ، (٣) ، حتى كان أهم ما رثاه الشعراء به منصبا على جهوده  
ضد الحسن الصباح ووزاريته . ويتشكك فوق همه في موت السلطان محمد ،  
ويحاول أن يرمي الزارية بسمه ، معتمدا في ذلك ، على أن هؤلاء  
القوم ، كانوا قد برعوا في استعمال السم ، براعتهم في استعمال الخنجر ، (٤) .  
ومما لاشك فيه أن زعامة وآلوت ، على جميع قلاع الدعوة الإسماعيلية ،  
إنما تقررت منذ ذلك اليوم الذي ارتدت فيه جيوش السلاجقة عنها ، في سنة

(١) الهيرة : الطعام .

(٢) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١١٣ .

(٣) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك (مخطوط بدار الكتب) ، ج ١ ورقة ٢٩

(٤) Von Hammer : Hist. de l'Ordre des Assassins , p. 112



٥١١ (١١١٨ م)، فأصبحت القاعدة الرئيسية التي تتركز فيها قوتهم، ويقوم بها رئيسهم الأكبر، إذ لو قدر «آلموت» ما قدر «لشاهد»، لثالث إحدى قلاع الدعوة الأخرى، شرف الزعامة واستقرار الرئيس الأكبر بها (١).

وقد قام النزارية بسلسلة عنيفة من الاضطهادات ضد السنين، فقتلوا نجر الملك، أبا المظفر، بن نظام الملك، وكان وزيراً للسلطان سنجر، انتقم النزارية منه في سنة ٥١١ هـ، لأنه كان حرباً عليهم، في عهد السلطان بركياروق (٤٨٧ — ٤٩٨ هـ)، ولأنه نشر الإشاعات الكاذبة عن انضمام السنين إليهم، مما ألم الصباح، وكذلك حاول النزارية قتل وزير السلطان محمد، ويسمى ضياء الملك، أحمد بن نظام الملك، وجرحوه جرحاً بليغاً (٢). وأشاعوا الذعر بين العلماء الشافعية خاصة، فكان لهذا كله أثر في نشر الرعب بين القواد والأمراء والعلماء والرعية.

(ح) صراع الحسن الصباح مع السلطان سنجر وابن أخيه محمود :

ولى السلطان سنجر زعامة العالم السني، بعد وفاة أخيه السلطان محمد في سنة ٥١١ هـ، وكان شديد الحزن على أخيه، كما كان معجباً بأعماله ضد النزارية، ولذلك «أمر الخطباء أن يذكروا السلطان محمد بمحاسن أعماله في قتال الباطنية» (٣). ولما كان النزارية قد قتلوا وزيره نجر الملك - فقد كان من المنتظر أن يكون موقفه من النزارية أكثر حزمًا من موقف

(١) ابن الجوزي : مرآة الزمان ( مخطوط بدار الكتب ) ، ج ٨ ورقة ١٤ .

(٢) العيني : عقد الجمان ( مخطوط بدار الكتب ) ، ج ٢٠ ورقة ٦١٨ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٣ ورقة ١٨ .



أخيه ، محمد ، غير أنه ، نظرا للحروب الأهلية التي اندلعت بينه وبين ابن أخيه السلطان محمود بن محمد ، ونظرا لخوفه الشخصي من خناجر الفداوية ، وحبه الانتقام من أعدائه بهذه الخناجر نفسها ، نظرا لهذا كله لم يقم بما كانت توجهه عليه الزعامة الإسلامية السنية ، التي جلس على عرشها ؛ فكان مترددا في سياسته مع النزارية ، يخاربهم تارة ، ويتفق معهم ويشملقهم تارات أخرى .

ومن حسن حظ النزارية ، أن أصبح السلطان محمود بن السلطان محمد العلوية في يد الوزير الدرگزینی ، الذي كون له جماعة من أنصاره الباطنية النزارية ، كان عملهم أن يطردوا من لا يدين بمذهبهم في الإخلاص للصباح ، من الديوان السلجوقي . وكان أول عمل قامت به هذه الجماعة ، زحزحة جيش شيركير عن قلعة «آموت» . كما رأينا ، ثم اتحاد خناجر النزارية وسيلة للتشفي ، والتخلص من أعدائهم .

يصف ابن الفرات (١) تلك الجماعة الموالية للنزارية بقوله : « فأبطلت الحقوق ، وعطلت الحدود ، وجاوزت هذه الجماعة الحال ، ثم إنهم قالوا : إن ممالك السلطان لا يطيبون نفسا بطاعتنا ، ولا يجيبون إلى موافقتنا . فأخذوا في أعمال الحيلة في تشييت شملهم ، وتفريق جماعتهم ، حتى صار كل واحد إلى جهة ، وختموا ذلك بأن رحلوا العساكر التي كانت محاصرة «آموت» ، وقد شارفت أخذها ، وقاربت فتحها . »

ويقول في موضع آخر عن الدرگزینی : « وشرع في ارتكاب الأمور



المحظورة، وكشف الحرم المستورة، وقد صار بينه وبين الباطنية أمور،  
واتمى إلى مذهبهم ليلبلغ مراده من أضداده (١). وقد شعر النزارية  
بقوتهم بعد ذلك، فأحرقوا مسجد أصفهان «وهو من أعظم الجوامع  
وأحسنها، أحرقه قوم من الباطنية [النزارية] ليلا» (٢).

غير أن سياسة السلطان سنجر مع الحسن الصباح قد بدأت باتخاذ  
وسائل القمع هذه، أو بالحرى. عمل هذا السلطان على الاستمرار في  
سياسة أخيه محمد مع النزارية. فحاول حصار قلعة الموت، وشدد التكمير  
عليها، ولقد حاول الحسن الصباح أن يثني السلطان سنجر عن عزمه مرات  
عدة، فلما يحزن عن إدراك بغيته، لجأ إلى طريقة الخداع والإرهاب،  
فتمكن من جذب بعض وصيفات السلطان، أو أحد عبيده، وأغراه  
بغمس خنجر بالقرب من سرير السلطان سنجر، حتى إذا ما استيقظ هذا،  
ارتاع، وهذه طريقة خطيرة من حرب الأعصاب، تؤثر في النفس، حتى  
تجعل صاحبها عرضة للفرع والأوهام.

وقد أتبعها الحسن بما هو أشد منها، فأرسل إلى السلطان سنجر  
رسالة هدمه فيها قائلا: إن من يستطيع أن يغمس ذلك الخنجر في  
الأرض الصلدة، يسهل عليه أن يغمسه في صدر السلطان (٣) ١ وادعى  
في الوقت نفسه، أن الذي منعه من قتله هو حب النزارية له، مما أجبر  
السلطان سنجر على فك الحصار عن «الموت». وكان قصد الحسن من

(١) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك، ج ٢ ورقة ١٠٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠ ص ٢٢٦.

(٣) Von Hammer; Hist. de l'Ordre des Assassins, p. 112



تلك الحيلة ألا يضم إلى أعدائه عدوا قويا مثل السلطان سنجر ، ولكنه بهذه الطريقة الفذة يمكنه أن يجذبه إليه .

ويرى حمد الله المستوفى (١) أن الحسن الصباح كتب إلى السلطان سنجر في إنذاره يقول : « إنه على الرغم من أني أعيش فوق تلك الصخرة - آلموت - فإن أولئك الذين في خدمتك ، هم طوع أمري ورهن إشارتي . ولقد ضرب الحسن بهذا السلوك مثالا أخذ يحتذيه الزارية ، في الشام خاصة ، حتى لقد لقي نور الدين زنكي ، وصلاح الدين الأيوبي ، على يد الزارية ، ما لاقاه سنجر سواء بسواء ؛ واهتزت قلوبهم هلعاً ، كما اهتز قلب السلطان سنجر أمام التهديد الزاري (٢) .

وأما أثر تلك الرسالة ، فيظهر من تخلي السلطان سنجر عن الاستمرار في حصار قلعة آلموت ، ومن اتفاقه مع الحسن الصباح ، في معاهدة خطيرة سنة ٥١٣ هـ ، كان من أثرها أن أخذ نفوذ الزارية في الازدياد والنمو ، وأخذوا من جانبهم بعد ذلك يفتكون بن يرونة خطرا عليهم . ومن أهم شروط هذه المعاهدة ما يلي :

أولاً : أن تبقى قلاع الدعوة الزارية كما هي ، فلا يزيد الزارية في تحصينها . وهذا الشرط لا فائدة فيه لغير الزارية ، لأن السلطان سنجر لم يكن يرسل إلى القلاع من يحضره بما أحدثه هؤلاء فيها من زيادة أو نقص . وعندنا أن السلطان سنجر لم يوافق على هذا الشرط المهيمن ، الذي

(١) تايخ جوزيده ، ج ١ ص ٤٩٦ .

(٢) انظر كتابنا « اسماعيلية الشام من أقدم العصور حتى اليوم » .



لا فائدة فيه ، إلا ذرا للرماد في العيون ، كي يحفظ هيئته أمام عامة السنين بوجه خاص .

ثانيا : ألا يشتري الزارية آلات للحرب ، أو أية أسلحة جديدة . وهذا الشرط كسابقه ، لا يفيد سوى الزارية ؛ لأنه من غير المعقول أن يستطيع السلطان سنجر الإشراف على تنفيذ هذا الشرط إشرافا دقيقا ، وبهذا يستطيع الزارية شراء الأسلحة والعدد دون علم هذا السلطان ، ويخبرنا التاريخ أنهم فعلوا بعد المعاهدة أكثر مما كانوا يفعلونه قبلها ، مما يدل على أنهم لم يعبأوا بتلك المعاهدة ولا بتنفيذ ما جاء بها .

ثالثا : أخذ الزارية على أنفسهم ، ألا يضموا إلى جماعتهم مدعويين آخرين ، ويظهر أن السلطان سنجر أراد أن يظهر للمسلمين السنين أنه حد من نفوذ الزارية ، وأن عددهم سوف يقف عند الحد الذي وصلوا إليه ، ولكنه نسي أو تناسى أنه من المستحيل عليه ، وعلى جميع السنين ، أن يمنعوا الناس من اعتناق المذهب الزاري ، لأنه مذهب سرى ، والدعوة إليه سرية كذلك ، فمن غير المعقول إذن أن يتمكن أحد من تنفيذ ما جاء في ذلك البند . وبهذا نرى أن جماعة الزارية كانوا يعطون في الظاهر للسلطان سنجر أمورا ، والحق أنهم لم يخسروا شيئا .

وأما ما تعهد به السلطان سنجر للزارية فأمر ، أهمها :

أولا : أن يعفي هذا السلطان السلجوقي جميع إسماعيلية منطقة وكردكو بحراسان ، من جميع الضرائب ، مما سهل على السنين الانضمام إلى الزارية ، تخلصا من تلك الضرائب التي كانوا يدفعونها للسلاجقة ، وبذلك نرى أن الإسماعيلية أضحووا عنصرا ممتازا عن باقي عناصر رعية دولة سنجر ،



بعد أن كانوا من العناصر التي لا يؤبه بها .

ثانيا : تعهد السلطان سنجر بأن يؤدي للنزارية سنويا جزءا من دخل إقليم « قومس » (١) . وترى في هذا الشرط كل أنواع المهانة ، التي يكتبها أى سلطان على نفسه ، إذ كيف تكون الدولة مرهوبة الجانب ما دامت تؤدي ضريبة جماعة ثائرة ، كان يجب عليها تأديبها ، اللهم إلا إذا كانت الدولة تعترف لتلك الجماعة بالسلطان والقوة . كما تعترف على نفسها بالمهانة والذلة .

والذي نستطيع أن نخلص إليه من تلك المعاهدة ، أن السلطان سنجر أعطى للنزارية كثيرا ، ولم يأخذ منهم شيئا ، وأنه كان على هواهم ، أو على الأقل كان يعمل على مداراتهم . وقد استاء الفقهاء والعلماء السنيون من مسلكه . ورفضوا رفضا باتا أن يتكلموا عن هذه المعاهدة ، أو يسمعوها شيئا عنها ، كما تسرب الشك إلى أذهان كثير من الناس في عقيدة السلطان سنجر ، واتهموه ، بأنه على دين النزارية .

يقول الذهبي (٢) : فسخط كثير من الناس على هذا الأمان ، ونقموه على السلطان سنجر ، وعلى الرغم من هذا ، عقد السلطان السلجوقي الصلح ، ونفذ الكثير من شروطه ، غير أننا لم نسمع بأن الحسن الصباح أو في شيء

(١) قومس : كورة كبيرة بين الري ونيسابور ، قاعدتها دامغان ، ساقفة الذكر . ومن مدنها بسطام .

(٢) تاريخ الإسلام ( مخطوط بدار الكتب ) ، ج ٣ ورقة ٥٠٤ .



مما تعاهد عليه ، (١) .

ويرجع تاريخ هذه المعاهدة إلى سنة ٥١٢ هـ أو إلى سنة ٥١٣ هـ ، ومن أهم آثارها زيادة نفوذ الحسن الصباح (٢) ، ومهما يكن من شيء فقد كان لسنجر إزاء النزارية سياستان : أولاها سياسة التقرب ، والأخرى سياسة العداء . وقد رأينا مدى ما وصل إليه في سياسته العدائية المتراخية للنزارية . أما سياسة التقرب فترى أن سنجر ، وهو في طريقه إلى العراق ، يزور إقليم الدامغان ، الذي كان أهله يدينون بعمائد المذهب النزاري ، كما كان على رأسه رجل من ولاية السلاجقة ، هو الأمير المظفر ، الذي ثار عليهم ، واعتنق المذهب النزاري ، وأصبح من كبار رجال الحسن الصباح . وقد تمكن بدعائه من أن يحصل من السلطان سنجر على خزانة د والى إقليم الدامغان السابق . ولما عزم بعض قواد السلاجقة على استرداد ما استلبه الرئيس الإسماعيلي المظفر ، رفض السلطان سنجر ذلك ، وأثنى الثناء الجميل على هذا الداعي ، وسرى كيف استغل السلطان سنجر ميل النزارية إليه ، وأخذ يوجه خناجرهم ضد منافسيه ومن يريد التخلص منهم .

كما لا ننس أن كبار رجال سنجر كانوا يميلون إلى النزارية ، وكذلك كانت الحال بالنسبة إلى رجال السلطان محمود ابن أخيه . ولم يهتم السلطان سنجر بما أحدثته نزارية الحسن من الاعتداء على المساجد بالحرق والفقهاء والوزراء بالقتل ، ونقضهم معاهدة سنة ٥١٣ هـ تبعا لذلك ، بما زاد في شك الرعية في إخلاص سنجر الديني . والخلاصة أن السلطان سنجر لم يوجه

(١) D'Ohsson : Hist. des Mongoles, vol. III, p, 161

(٢) المستوفى : تاريخ جوزيذة ، ج ١ ص ٤٩٧ .



جهوده الحربية ضد الحسن الصباح ، بعد معاهدة سنة ٥١٣ هـ .

وقد أدرك الحسن الصباح مدى ما وصل إليه من نجاح ، فعبر عن ذلك لأحد أنصاره وقال : إنه سوف يعمل على أن يرتقى بدعوته دينيا مثل رقيها سياسيا (١) . وهكذا لم يمت الحسن الصباح ، حتى كان قد « استغوى طوائف من الناس ، وفشى مذهب الباطنية ونما ، واعتقده خلق من الأكابر في باطن الأمر ، وما يزال يستفحل أمرهم » (٢) .

(٥) تقدير أعمال الحسن الصباح في بلاد المشرق :

نجح الحسن الصباح نجاحا كاملا في تكوين مجتمع إسماعيلي بحت ، وفي الانتصار على السلاجقة في بلاد المشرق ، وهذا أقصى ما وصل إليه داع إسماعيل في تلك البلاد ، فقد استطاع هذا الزعيم الإسماعيلي المتطرف ، أن يكون جبهة قوية من قلاع الدعوة المنيعه التي لا يمكن لأحد أن يخترقها ، كما استطاع أن يضرب خلفائه من رؤساء الدولة النزارية ، المثل العليا ، التي يجب عليهم أن ينهجوها ، حتى يعيشوا في مأمن من خطر السلاجقة وغيرهم من السنيين ، فاعتاد الاتباع أن يعيشوا في قلاع الدعوة ، التي كانت تربض فوق قمم الجبال ، بمنأى عن متناول الأيدي .

(١) المستوفى : تاريخ جوزيدة ، ج ١ ص ٤٩٦ .

(٢) ابن طاباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ٢٢٠ .



واستطاع الحسن في الوقت نفسه أن يبعث بنفعاء أتباعه إلى بعض المدن السنية ، مثل أصفهان ، ليعيشوا بجانب السنيين ، ويعملوا على زعزعة عقائدهم ، وببيلة أفكارهم ، ويتجنسوا على السلاجقة ، ويضموا إلى صفوفهم كثيرا من موظفيهم ، الأمر الذي جعل لهذه الطائفة مركزا ممتازا في أمهات المدن الإسلامية .

على أن أهم ما يميز الصراع بين السلاجقة والحسن الصباح في فارس وخراسان ، هو استماتة الزارية في الدفاع عن أنفسهم وعن رئيسهم ومذهبهم ، فقد استطاعوا أن يصمدوا أمام جيوش السلطان ملكشاه وولاته ، وأن يلقنوا السنيين دروسا لا تنسى ، في الاستماتة وشدة البأس ، وبرهنوا لهم بشتى الوسائل على أن الزارية أصبحوا قوة يُحْسَبُ بأسها ، فلم يكونوا كعامة الإسماعيلية الأوائل الذين كانوا يعيشون على التجسس وابتداع التقية ، وغير ذلك من الصفات التي حتمت على السلاجقة أن يلقوا منهم موقفا سلبيا ، أما الحسن الصباح وأنصاره ، فكان موقفهم الإيجابي من السنيين عاملا حاسما في تاريخ إسماعيلية فارس وخراسان ، الذين دأبوا منذ أيام الحسن الصباح ، على مناوأة السنيين والكيدهم .

على أن نجاح الحسن في صراعه مع خلفاء ملكشاه كان أبعد أثرا ، فقد اعترف به بعض سلاطينهم كرئيس ديني ، وعقدوا معه المعاهدات ، وجعلوا يتوددون إليه ، ويعاملونه كما يعامل الملوك . فكان هذا السلوك اعترافا صريحا بالحسن الصباح ودولة الزارية .

ولم يمض الحسن الصباح في سنة ٥١٨ هـ إلا بعد أن استقامت له



الأمور ، وبعد أن أقام دولة فريدة في نوعها ، تتكون من قلاع متناثرة  
في أقاليم مختلفة ، ولكنها جميعا كانت تدين له بالطاعة والولاء . وكذلك  
نسب إلى الحسن الصباح إرسال نبغاه دعائه إلى بلاد الهند ، لنشر المذهب  
النزارى أولا ، والاضطرار مع الإسماعيلية المستعلية ، أتباع المستعلى بن  
المستنصر . فوضع بذلك نواة النزارية المحدثين ، أتباع سمو أغاخان ،  
الذين يعرفون اليوم باسم «الخوجات» ، Khodjas أى الرؤساء الدينيين ،  
أو «الأغاخانية» ، نسبة إلى أغاخان .



## الباب الخامس

### جهود الحسن الصباح في بلاد الشام ومصر ( في الشرق الأدنى )

١ - حالة بلاد الشام في عهد الحسن الصباح .

في الوقت الذي أتيح فيه ظهور الحسن الصباح على مسرح السياسة الإسلامية ، كانت بلاد الشام تموج بالاضطراب ، فقد ظهر السلاجقة ، وقبضوا على صولجان الحكم في الدولة العباسية ، فأتاح لهم هذا فرصة الاصطدام بالفاطميين ، فانهزوا فرصة قيام ثورة البساسيري<sup>(١)</sup> ، ومعاونة الفاطميين للقائمين بها معاونة جدية ، واستغلوا هذا ضد الفاطميين ، فحاولوا في أخريات عهد المستنصر الاستيلاء على بلاد الشام كلها ، وهددوا مصر بالهجوم عليها ، غير أنهم وإن استقروا في بلاد الشام ، وانزعوا منها من الفاطميين ، فقد عجزوا عن أن يحققوا أملهم في مصر نفسها . والحق أن بلاد الشام كانت مسرحا للصراع العنيف بين الفاطميين والسلاجقة ، أو بالأحرى ، بين أنصار السنة وأنصار التشيع . حدث ذلك كله في الوقت الذي ظهر فيه الحسن الصباح .

ومهما يكن من شيء ، فقد كانت زعامة بلاد الشام ملقاة في يد تتشن بن ألب أرسلان ، الذي حاول الاستقلال بتلك البلاد ، وظهر خطره على وحدة العالم الإسلامي السني ، بعد موت أخيه السلطان ملكشاه ،

(١) ثار أبو الحارث البساسيري على العباسيين والسلاجقة في سنة ٤٥٠ هـ . وخطب المستنصر الفاطمي على منابر العراق عاما كاملا ( ٤٥٠ - ٤٥١ هـ ) .



فاندفع يعمل مستقلا ، وانضم إلى السلطنة «خاتون» زوجة أخيه ملكشاه ، ضد ابن زوجها بركياروق ، كي تصفو له بلاد الشام جميعها . غير أن وحدة هذه البلاد قد تعرضت بعد موته للتفكك ، فاستبد ابنه الملك رضوان بإقليم حلب ، وابنه دقاق بإقليم دمشق ، وفكك رضوان بأخويه بعد ذلك . ولم يلبث أن استبد الأمراء - الأتابكة - بالامر ، دون البيت السلجوقي .

ومعنى هذا أن بلاد الشام كانت نهبا مشاعا بين الفاطميين والسلاجقة من جهة ، ثم بين السلاجقة أنفسهم من جهة أخرى ؛ فإن هؤلاء لم يستطيعوا الاحتفاظ بوحدة تلك البلاد ، وكذلك زاد الأتابكة الخالة انقسامها . ومعنى ذلك أيضا أن السلاجقة أضعفوا الوحدة التي كانت قائمة بين الشام ومصر ، الأمر الذي أدى إلى ضعف بلاد الشرق الأدنى ؛ فوقعت طعنة في أفواه الصليبيين .

نعم ! كان لتلك الجروب العنيفة التي استعرت بين الفاطميين والسلاجقة أولا ، ثم بين أفراد البيت السلجوقي نفسه ثانيا ، ثم بين السلاجقة والأتابكة ، وبين الأتابكة بعضهم وبعض ثالثا ، كان لهذا كله أثره الكبير في نجاح الصليبيين في تلك البلاد ، فقد استطاع هؤلاء أن يعبثوا ببلاد الشام ، ويمتلكوا خير بقاعها ، وقيموا فيها إمارات لاتينية لا تمت في نظمها ولا في حياتها الاجتماعية إلى الشرق بصلة ، فجاء وصول الصليبيين إلى الشرق ضغنا على إبالة ، الأمر الذي زاد في تفكك وحدة البلاد الشامية . لكل هذه العوامل كانت بلاد الشام مرعى خصيبا ترعرعت فيه الدعوة النزارية .



ولا ننس صلاحية بلاد الشام لنشر مبادئ المتشيعين بها ، ولا غرو ، فقد كان للفاطميين الإسماعيلية بها عظيم الأثر ، منذ كانت سلمية - بالقرب من حمص - مركز القوة الطاردة للمذهب الإسماعيلي ، في القرن الثالث خاصة ، واستمر الفاطميون يغذون بلاد الشام بدعاتهم طيلة العصر المغربي ( ٢٩٦ هـ — ٣٥٨ هـ ) ، والعصر المصري ، منذ عهد المعز حتى عهد المستعلي ( ٣٥٨ هـ — ٤٩٤ هـ ) ، أضف إلى ذلك صلاحية بلاد الشام لترويج المذاهب الغالية ، كالمذهب الدرزي ، ومذاهب التصيرية . كل هذه الأمور ساعدت على نجاح حركة النزارية في بلاد الشام ، نجاحا لا يقل خطرا عن نجاحهم في خراسان وفارس .

أدرك الحسن الصباح إذن تلك الفرصة . وأرسل دعاته إلى بلاد الشام ، فنجحوا نجاحا هائلا ، وكونوا هناك جماعة من النزارية ، لعبت دورا خطيرا في تاريخ الحروب الصليبية . وقد اشتهر ذلك الفرع النزاري في التاريخ باسم « الحشيشية » ، والواقع أنهم نوع من النزارية ، أنبأ الحسن الصباح .

وبهذا نرى أن القلقشندي لم يكن مصيبا في اعتبار هؤلاء النزارية من المستعلية - أنصار الدعوة القديمة - وقد أخطأ كذلك بعض العلماء المحدثين ، حين نقلوا ما ذكره القلقشندي وغيره ، نقلا دون تمحيص ؛ فنرى القلقشندي يقول عن الإسماعيلية : « ولما افترقوا إلى مستعلوية ونزارية ... أخذ من منهم ببلاد المشرق بمذهب النزارية ، عملا بدعوة ابن الصباح ... » وأخذ من منهم بالشام بقلاع الإسماعيلية ، بمذهب



المستعلوية ، وصاروا شيعة لمن بعد المستعلي من خلفاء الفاطميين بمصر ، (١) .

ونقل الأستاذ محمد كرد على ذلك النص بعينه في خططه (٢) ، والحق أن العلماء لم يصيبوا في اعتقادهم أن أصحاب الدعوة الهادية هم شيعة الخلفاء الذين كانوا بمصر ، وتسموا بالفاطميين . . . وأن كل من ملك مصر كان مظهرا لدينهم ، (٣) ، لأن هؤلاء ثاروا على الفاطميين ، ولم يعترفوا بزعامتهم ، منذ عهد المستعلي بن المستنصر ، وينتمى هؤلاء للدعوة النزارية الجديدة ، على حين ينتمى أنصار الفاطميين للدعوة القديمة المستعلوية - ولم نعرف أن لصاحب مصر يتشيع هؤلاء القداوية ، (٤)

## ٢ — محاولة النزارية الاستقرار بحلب

لجأ الحسن الصباح في بلاد الشام إلى سياسة التقرب من الأمراء السنيين ، على عكس سياسته التي كان ينهجها في بلاد المشرق ، مع سلاطين السلاجقة ، فكان دائم العراك معهم . أما في بلاد الشام فقد حتم على دعاته الاتصال بأمراء تلك البلاد ، وتقديم خدماتهم لهم ، حتى يستطيعوا التأثير في نفوسهم ، والحصول على كل ما تصبو نفوسهم إليه من الاستقرار الدائم هناك .

(١) الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٥٤٥ .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام (دمشق سنة ١٩٢٨) ، ج ٦ ص ٢٦٢ .

(٣) ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، ص ٢٦٥ .

(٤) المصدر نفسه .



ونحن نعلم أن الحسن قد قسم مناطق نفوذه إلى أقاليم رئيسية ، أطلق على كل منها اسم « جزيرة » ، وخصص لكل من هذه الجزر داعيا من كبار دعائه الذين كان يثق فيهم ، والذين عرفوا بذكائهم ولماقتهم . وقد وقع اختيار الحسن الصباح لرياسة « جزيرة » الشام على داع جريء ، عرف باسم « الطبيب المنجم » ، فأرسله إلى هذه البلاد في أواخر القرن الخامس الهجري .

وكانت وجهة هؤلاء النزارية الأوائل مدينة حلب ، وقد استطاع هذا الداعي أن يجذب إليه الملك رضوان بن تنش بن ألب أرسلان ، الذي آلت إليه ولاية حلب ، بعد موت أبيه تاج الدولة تنش . فأصبح هذا الملك طوع بئانه ، وكان هذا وحده من أهم عوامل نجاح النزارية في ذلك الدور ، حتى لقد رمى بعض هذا الأمير باعتناق المذهب النزاري .

ولا يخفى علينا أن رضوان بن تنش إنما استغل خناجر الفداوية ، مقابل منحهم بعض امتيازات ، لم يوافق عليها السنيون بالطبع ، فكان يداريهم ويفهم عينيته عن مثالبهم ، ويقيم لهم الملاهي التي يلجأون إليها ، وليس أدل على ذلك مما ذكره المؤرخ كمال الدين (١) من علاقة داعي الحسن الصباح - الطبيب المنجم - بالملك رضوان في تلك العبارة : « واستمال الحكيم رضوانا إلى الباطنية جدا ، وظهر مذهبهم في حلب ، وشايعهم رضوان ، وحفظ جانبهم ، وصار لهم بحلب الجاه العظيم . والقدر الزائدة ، وصارت لهم « دار دعوة » بحلب في أيامه ، وكان به الملوك في أمرهم ، فلم

---

(١) كمال الدين : تاريخ حلب (مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين) ، ج ٢ ص ٥٨٠ . ومن هذا نرى أن دعاة النزارية كانوا يتخذون الطب وعلم النجوم وسيلة للتأثير في النفوس ، حتى كان رئيسهم بالشام طبيا منجما ، كما رأيت .



يلتفت ولم يرجع عنهم. من هذا نرى أن الدعوة النزارية وجدت لها من  
 حكام حلب أكبر عون، فكان هذا دليلا على نجاحها هناك في المستقبل.  
 ولقد قام هذا الداعي النزاری بدور هام في تاريخ شمالى سورية،  
 في أواخر القرن الخامس، وساعد في الوقت نفسه في تفكك العالم  
 الإسلامى وإضعافه أمام الصليبيين، فقد تأمر الطيب المنجم مع الملك  
 رضوان في سنة ٤٩٥ هـ، على قتل جناح الدولة، صاحب حمص، وزوج  
 أم رضوان، بعد أن اتضح للنزارية أنه يتآمر عليهم، وثبت لهم أنه يسعى  
 بحليفهم رضوان، وينمى عليه اتصاله بالنزارية، وفي سبيل ذلك هاجمه  
 وتبرأ منه، واتصل بأخيه ذقاق بن تنش، صاحب دمشق، غير مرة،  
 وما زال يسعى برضوان. ومن ثم عول النزارية على التخلص منه،  
 دفاعا عن أنفسهم أولا، وعن حليفهم رضوان ثانيا.

يوضح كمال الدين ذلك بقوله<sup>(١)</sup>: وسار جناح الدولة إلى سرمين<sup>(٢)</sup>،  
 فكبس عسكر الملك رضوان، وانهزم رضوان وأكثر عسكره...  
 وطلب الحكيم المنجم، فلم يظفر به. وكان هذا الداعي قد أفسد بين  
 رضوان وبينه، وفكك النزارية به، في سنة ٤٩٥ هـ، بعد أن هاجموه في  
 رى متصوفين، وقتلوه بمسجد مدينة حمص<sup>(٣)</sup>.

والذى أفاد من هذا هم الصليبيون وحدهم، فقد كان جناح الدولة  
 عنيفا في صراعه معهم، وكان يعد العدة لطردهم عن بعض الحصون في  
 إقليم طرابلس. يقول ابن الوردي: وسار صنجيل (سان چيل)

(١) تاريخ حلب (بمجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين): ج ٣ ص ٥٩٠.

(٢) سرمين: من أعمال حلب، يعتقد معظم أهلها المذهب الإسماعيلي.

(٣) ابن الجوزى: مرآة الزمان، ج ٨، ورقة ٤٣٣.



الفرنجي ، وحصر حصن ابن حماد بطرابلس ، ثم صوّل على مال حملوه إليه . ثم فتح صنجيل وانطرسوس ، وقتل المسلمين بها ، ثم حصر حصن الأكراد ، فأعد جناح الدولة ، صاحب حصن ، العسكر ليسير إليه ، فوثب باطنى على جناح الدولة بالجامع ، فقتله ، وبلغ ذلك صنجيل ، فنأزل حصن ، وملك أعمالها .

ويقول كمال الدين<sup>(١)</sup> : « ووصل صنجيل الفرنجي ونزل على حصن بعد قتل جناح الدولة بثلاثة أيام ، فسيرت زوجته خاتون أم الملك رضوان تستدعيه ، أى تستدعى رضوانا لتسلم إليه حصن ، ويدفع الفرنج ، فكره المقدمون ذلك ، وخافوا منه لسوء رأيه . والحق أن قتل جناح الدولة كان ضربة قاضية وجهت إلى وحدة المسلمين في الشام ، ولولا مهارة دقاق بن تنش صاحب دمشق والآتابك طغتكين ، لسقطت حصن في يد الصليبيين<sup>(٢)</sup> . ولم يعمر الباطنى بعد مقتل جناح الدولة ، وقتل بعد بضعة عشر يوما من مقتله .

وبقتل داعى الطبيب المنجم ، تلقف زعامة الإسماعيلية في الشام داع آخر ، أكثر جرأة وإقداما منه ، يعرف بأبى طاهر الصائغ أو العجمى الصائغ ، ولكن زعامة تلك الطائفة كانت موزعة بين أبى طاهر هذا وبين داع آخر يدعى أبى الفتح السرميني ، وكان مركزه في الشام شديدا مركز كبير دعاة النزارية في «جزيرة الدعوة الرئيسية» . وقد لعب كل من هذين الزعيمين دورا خطيرا في تنشئة تلك الجماعة في إقليم حلب ، ولعب

(١) تاريخ حلب ، من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية الشرقيين ج ٣ ص ٥٩٠ .

(٢) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ورقة ٤٢٣ .



النزارية في عهدهما دورا كبيرا في احتلال قلعة «أفامية» (١) تحت ستار اسم الملك رضوان ، صاحب حلب ، الأمر الذى يدل على امتزاج تاريخ نزارية الشام ، بتاريخ السلاجقة هناك ، وبتاريخ الصليبيين أيضا .

وذلك أن مدينة «سرمين» ، جنوب حلب بمرحلة واحدة . وقعت في أيدي الصليبيين وكان أكثر أهلها على دين النزارية (٢) ، ففر قاضيها أبو الفتح السرميني ، وكان من زعماء النزارية ، وقصد إلى قلعة «أفاميسة» في سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) ، طالبا النجدة من صاحبها ، خلف بن ملاعب السكلابي (٣) ، الذى كان قد استبد بها دون الفاطميين ، فوقع من قلبه موقعا جعله يثق به ، ويعتمد عليه . ولما كان دأب النزارية الاستيلاء على القلاع ، فقد اتصل السرميني النزارى بأبى طاهر الصايغ ، زعيم النزارية في حلب ، وتأمر معه على الفتك بخلف بن ملاعب . وقد تسربت أخبار هذه المؤامرة إلى أبناء خلف ، فلما نصحا والدهما لم ينتصح ، وتمكن أبو الفتح بدهائه ومواهبه من التظاهر بالإخلاص لمضيفه ، وحينئذ ضاعف أبو الفتح السرميني هذا جهوده ، واشترك رضوان مع أبى طاهر الصايغ

(١) مدينة كبيرة ، وكورة من كور حمص ، ويقال لها أفامية .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٣ ورقة ٥٦١ .

(٣) كان خلف يحكم حمص في عهد تنش ، الذى حلق عليه ، بسبب سوء تصرفه ، ففر إلى مصر ، وبقي بها ، إلى أن طلب صاحب «أفامية» الساجوقى ، من الفاطميين ، وكان على عقبتهم ، نائباً من قبلهم يسلم له القاعة ، فألح ابن ملاعب على الفاطميين ، حتى صرحوا له بحكم هذه القلعة ، فلما استقرت له الأمور بهما خلع طاعة الفاطميين .



في مؤامراته (١).

وهناك أمور جديرة بالنظر في أمر أفامية ؛ منها أن الملك رضوان ، صاحب حلب ، قد اندمج مع النزارية في مؤامراتهم ، فخدعوه وادعوا أنهم يفتحون « أفامية » له لا لسواه . وبهذا نرى أن رضوان كان يعتمد في توسيع ملكه على خناجر الفداوية ، ولكنه لم يستطع الإبقاء على ذلك الملك الجديد ، بل عبثت به مطامع النزارية ومطامع الصليبيين ، على ما سنرى .

وما كاد الداعي أبو طاهر الصايغ زعيم النزارية بحلب ، يعلم بوقوع « أفامية » في قبضة زميله ، أبي الفتح السرميني ، حتى أسرع بالذهاب إليه ، وهو يؤمن إيماناً جازماً أن « أفامية » ستصبح في قبضته ، ولكنه لم يستطع الاتفاق مع أبي الفتح السرميني ، لأن كلا منهما كان يريد أن تكون له الزعامة فيها ، ومما يكن من أمر ، فإنه لما « سمع الصايغ خبر « أفامية » ، سار إليها وهو لا يشك أنها له ، فقال له القاضي : إن وافقتني وأقت

(١) مضمون تلك المؤامرة أن يرسل الملك رضوان بن تنش ثلثمائة رجل من أهل سرمين ، ومعهم خيول مما أسرها من الفرنجة ، ويذهب هؤلاء الرجال إلى خلف ، بدعوى أنهم فروا من رضوان ، وأنهم حاربوا الفرنجة وهم في طريقهم إلى أفامية ، وأخذوا منهم ما معهم من الخيول . فإذا ما أذن لهم خلف بن ملاعب بالاقامة معه ، أعملوا الحيلة مع أبي الفتح السرميني ، وقتلوا خلفا ، وقد كان لهم ما أرادوا ، إذ اتفق أبو الفتح السرميني مع النزارية في داخل القلعة ، ودلى هؤلاء له الحبال ، فصعد القلعة ومعه نفر من أنصاره من أهل سرمين ، فقتلوا خلف بن ملاعب ، وأصبحت القلعة في يد النزارية .

ويرى ابن الجوزي (ج ٨ ورقة ١١) أن أبا الفتح السرميني كان داعياً للنزارية في أفامية ، واتفق مع أهلها على الغدر بخلف بن ملاعب ، فقبضوا السور ، وهجموا عليه ، فقتلوه .



صمى ، فعلى الرخب ، ونحن نحملك (١) ، وإلا فارجع من حيث جئت ، فأيس منه (٢) .

نتبين من هذا ميل أبى الفتح السرميني إلى الزعامة ، ولا غرو فقد كان يمت إلى مؤسس المذهب النزاري - الصباح - بالقرابة ، كما لا يبعد أن يكون الحسن الصباح قد عينه رئيسا للدعوة في تلك النواحي . ونعتقد أن ما فعله الداعي أبو الفتح مع زميله أبى طاهر خدعة ، يرى من ورائها إلى شل يد الملك رضوان عن التدخل في شؤون « أفاميّة » ، إذ لا يعقل أن يقف النزاري المخلص من أخيه النزاري هذا الموقف الجاف ، لأنهم جميعا ما أتوا إلى بلاد الشام إلا ليعاون بعضهم بعضا .

ونفهم من هذه الحادثة أيضا كيف انتقض حاكم « أفاميّة » السلجوقي على رئيسه رضوان . لأنه كان على المذهب الإسماعيلي المستعلوى ، وبعث بطاعته إلى صاحب مصر (٣) . وإذن لا يبعد أن يكون انتقاض والى « أفاميّة » السلجوقي على السلاجقة ، إنما هو ثورة الإسماعيلية المستعلية على السنين . يؤيد ذلك ما ذهب ابن ميسر إليه حيث يقول : « إن أهل « أفاميّة » قدموا إلى مصر ، وكانت مذاهبهم إسماعيلية ، وسألوا واليا يكون عليهم ، فوقع الاختيار على ابن ملاعب » (٤) .

كما أن انتقاض خلف بن ملاعب على الفاطميين المستعلية ، واتفاقه

(١) نحملك : نرحب بك .

(٢) العيني : عقد الجمان ، ج ٢ ورقة ٥٩٢ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ص ١٨٩ .

(٤) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ج ٢ ص ٣٧ .



في بادى أمره مع أبى الفتح السرميني النزارى ، مع إغراق هذا في مبادئ  
النزارية ، دليل على أن ابن ملاعب لا بد أن يكون قد تعشق المذهب  
النزارى . وبذلك يكون انتقاضه على الفاطميين ، لو صح ما ذهبنا إليه ،  
انتقاض النزارية على المستعلية ، خصوصا وأنه كان على صلة طيبة بمقدم  
الدعوة في الشام ، أبى الفتح السرمينى . ولا بد كذلك أن يكون قد  
حدث نزاع بين المستعلية والنزارية في قلعة « أفاميّة » ، وتغلب الأخيرون ،  
والنصوى الباؤون تحت لوأهم .

وأما علاقة الصليبيين بذلك الحادث ، فنها واضحة فيما قام به تنكريد ،  
Toncrede صاحب أنطاكية ، وأحد كبار الصليبيين ، ويسميه العرب  
« طنكرى » ، فإنه أتى إلى « أفاميّة » عقب احتلال النزارية لها ، وحاول  
الاستيلاء عليها ، فردّه الداعى أبو الفتح السرمينى عنها ، وتعهّد له بدفع مقدار  
كبير من المال (١) . غير أن أحد أبناء خلف بن ملاعب ، فر إلى الصليبيين ،  
وأغراهم بالنزارية ، وشرح لهم ضعف مركزهم ، فأعاد تنكريد الكرة ،  
وحاصر قلعة « أفاميّة » ، حتى سلمت له في سنة ٥٠٠ هـ (٢) (١١٠٦ م) ، وقتل  
أبا الفتح السرمينى ، وأسر أبا طاهر الصايغ . وجماعة من أشياعه ، ولم يتركه  
الصليبيون إلا بعد أن اقتدى نفسه بمال كثير (٣) .

وهكذا مهد النزارية للصليبيين في احتلال بعض بلاد المسلمين ، مما يدل  
على التفكك ، الذى عرا العالم الإسلامى في بلاد الشام وقتئذ ... فالسلاجقة  
منقسمون على أنفسهم ، والنزارية يحاربون السنيين ، كما يستعين السفينون

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥٠ .

(٢) ابن الجوزى : مرآة الزمان (مخطوط) ، ج ٨ ورقة ١١ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام (مخطوط) ، ج ٣ ورقة ٥١٧ .



في الكثير من الأحيان بالصليبيين على النزارية، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار. وعلى أية حال: «إن مصبح بن (خلف بن) ملاعب، الذي أفلت من نوبة «أفاميّة»، التجأ إلى طنكري، صاحب أنطاكية، وحرصه على العودة إلى «أفاميّة»، وأطمعه في أخذها، لقلّة القوت بها، فنهض إليها، ونزل عليها وضابقتها، إلى أن تسلمها بالآمان، في الثالث عشر من المحرم سنة خمسائة، فلما حصل أبو الفتح السرميني الباطني في يده، قتله بالعقوبة، وحمل أبا طاهر الصائغ معه وأصحابه أسرى... ولم تزل الأسرى في يده، إلى أن فدوا نفوسهم بمال بذلوه لهم، فأطلقهم، ووصلوا إلى حلب» (١).

وتعتبر الطريقة التي اتبعها النزارية في الاستيلاء على حصن أفاميّة إحدى طرق نزارية المشرق في استلاب القلاع من أهلها. ولا يبعد أن يكون الحسن الصباح وجماعته بالمشرق، هم الذين أوحوا بذلك إلى أبي الفتح السرميني ورفاقه النزارية. يدل على هذا ما سنراه من اتصال الحسن الصباح بنزارية الشام ومراسلته معهم، حين حاولوا اغتصاب حصن شيزر (٢) بعد ذلك بقليل.

وكان الملك رضوان صاحب حلب، لا يزال على حبه النزارية، فاستقبل «أبا الطاهر الصائغ» النزاري، حين عودته من الأسر، خير استقبال (٣)، وتظاهر للسلطان محمد السلجوقي بملك شاه بأنه يبغض النزارية، وذلك حين بعث هذا السلطان إليه يحرصه بالنزارية. والحق أنه كان لا يزال على حبه

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٥٠.

(٢) Von Hammer; Hist. de l'Ordre des Assassins, p. 166

(٣) Defremery: Nonvelles Recherches (J. A. 1854) p.386



لهم ، وأنهم كانوا لا يزالون يخلصون له أيضا . وبسياسة المزدوجة هذه ، استطاع أن يضع السيف في غمدين .

يقول ابن القرات : « ورد كتاب السلطان محمد إلى الملك رضوان صاحب حلب بفتح حصون الباطنية ، فأمر بضرب البشائر ، وتزيين البلد ، واتصل بالملك رضوان بعد ذلك أنه ذكر في مجلس السلطان محمد ، فلعنه الأمراء ، وقالوا : إنه يشايع الباطنية ويحرس جانبهم ، ويواصلهم بالإلغام والإحسان ، وحين وصل هذا الكلام إلى الملك رضوان ، أمر أبا الغنائم ، أخا أبي الفتح السرميني ، بالخروج من حلب فيمن معه ، فانسل من حلب بعد أن تخطف الناس جانبهم ، وقتل منهم جماعة ، (١) .

والدليل على أن رضوان كان لا يزال على حب النزارية والاستعانة بهم ، وأنه لم يفعل ما فعل إلا ليمعد الشبهة عن نفسه ، أو ليرضى السلطان محمد ، أنه في سنة ٥٠٥ هـ ( ١١١١ م ) ، حين خرجت جيوش السلطان محمد لحرب الصليبيين في بلاد ما بين النهرين ، وحاصروا مدينة الرها ، وعلى الرغم من أن رضوان أفاد كثيرا مما نهبه المسلمون من بلاد الصليبيين ، بفضل جيوش السلطان محمد هذه ، فإنه أغلق أبواب حلب في وجوه قواد السلطان ، ولم يمكنهم من أخذ الميرة منها ، فحاصرها هؤلاء طويلا واحتسب هو بقلعتها ، وعمل على حفظ النظام في حاضرة ملكه . مستعينا في ذلك بالنزارية ، الأمر الذي يدل على اعتماد رضوان على سواعد هذه الطائفة وخناجرهم ، ويدل في الوقت نفسه على أن حلب لم تخل منهم ، ولكن ضررهم كان بليغا ، فقد كانت النكاية بهم أشد من نكاية الذين

(١) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ( مخطوط ) ، ج ١ ورقة ٢٩ .



في ظاهر البلد ، (١) وما أحسن ما قاله طغتكين أتابك دمشق ، في رضوان  
« وما أظنه إلا رقيق الدين . وإنى خائف أن يملك الباطنية هذا الثغر  
بسيده وعلى يديه ، (٢) .

ويثبت اعتماد رضوان في ذلك الدور على خناجر الفداوية ، أنه تأمر  
معه على الفتك بطغتكين ، أتابك دمشق وفشاور في أمره أخا لأبي الفتح  
السرميني الباطني ، وكان يسكن بحلب ، وكان عند جماعة من الباطنية ،  
فخرج الباطني من حلب يروم غرة [طلعة] الأمير طغتكين ، فلم يمكنه ذلك  
لشدة احتراسه من رضوان ومكايده (٣) . وهكذا لم يطرد رضوان  
الباطنية من حلب عن إخلاص وصدق عزيمة .

وقد شعر الملك رضوان في أخريات حياته ، أنه أخطأ خطأ فاحشا ،  
باعتماده على خناجر الفداوية ، فقد أثار حنق السنيين جميعا عليه ، وكاد أن  
يقع هو نفسه تحت طائلة خناجر وهذه الطائفة ، إذ بدءوا يتآمرون عليه ،  
ويعملون على احتلال قلعة حلب ذاتها . ومن تفصيل تلك المؤامرة التي  
دبرها النزارية ضده (٤) . نرى أن خمسمائة رجل من النزارية أتوا من بلاد  
المشرق لإتمام احتلالها . ولا يبعد أن يكون الحسن الصباح هو الذي  
وضع مشروع احتلال قلعة حلب ، على الرغم من أن رضوانا كان يتحيز  
إلى جانب الباطنية دائما . ونرى أيضا أن أصحاب أبي طاهر الصايغ

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ورقة ٥٤ .

(٢) المصدر والصفحة .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ورقة ٥٥ .

(٤) أنظر الملحق رقم (٢) .



ونائبه - أبا الغنائم - كانوا على علم بها ، فاشترك هؤلاء النزارية فيها جميعا دليل على خطورة ما أقدموا عليه . ولا يبعد مطلقا أن يكون غرض النزارية قلب الفرع المملوكي السلجوقي في بلاد الشام ، لأن رضوانا كان أهم من يمثل الفرع المملوكي السلجوقي هناك ، ثم تكوين دولة نزارية ، في الشام عاصمتها حلب . كما أن تلك المؤامرة كانت من العوامل التي نفرت الملك رضوان من الباطنية . ومن المحتمل جدا أن يكون لهذه الحادثة أثر في جعل الملك تاج الملوك ألب أرسلان بن رضوان ينتقم من الباطنية - على ما سنرى .

ونستنتج من هذا كله أن النزارية في الشام كانوا في نصف القرن السادس الهجري قوة لا يستهان بها . ولو قدر لهم الاستيلاء على قلعة حلب لكان لهم في هذه المنطقة الشمالية شأن آخر . ومن الغريب أنهم في أخريات حياة الملك رضوان بدعوا يتصلون بأتابكة دمشق ، فدل هذا على شعورهم بأنهم أخفقوا في الشمال وحاولوا الاتجاه نحو الجنوب . ويظهر أن طغمتكين ، أتابك دمشق ، أراد أن يقبلد الملك رضوانا صاحب حلب في الاعتماد على خناجر الفداوية ، فاعتضد بهم ، واتخذهم أسلحة يوجهها ضد أعدائه ، على الرغم من تشجيعه عليهم وتبرئه منهم .

ولندرس حادثة مقتل الأمير مودود ، أتابك الموصل في سنة ٥٠٧ هـ لنرى منها كيف بدأ نفوذ النزارية يتوغل في الجنوب ، وكيف أصبحوا خطرا على جميع الأمراء السنيين المعارضين ، وكيف كانوا يعملهم هذا يتيحون الفرص النادرة للصليبيين كي يهجموا على المسلمين . ويتشفوا منهم ؛ ففي سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) قتل الأمير مودود في دمشق ، وهو يصلي الجمعة مع



طغتكين، أنابك دمشق، قتله الباطنية، فكثرت الإشاعات حول مقتله، ورمى «طغتكين» بالتآمر على منقذه «مودود»، ودافع البعض عن طغتكين؛ وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في معرفة المحرض الحقيقي على قتل مودود، فإنهم يكادون يتفقون على أن القتلة من النزارية.

ومن أشهر العلماء الذين دافعوا عن «طغتكين» المؤرخ الكبير، سبط ابن الجوزي، حيث يقول: «فقلق أنابك لوفاته على هذا الوجه، وحزن حزنا شديدا». ويقول في موضع آخر: «وذكر بعضهم أن أنابك خاف منه، فوضع عليه من قتله، وليس بصحيح؛ فإن طغتكين كان أحب الناس إليه، وحزن عليه حزنا لم يحزنه أحد على أحد، وشق ثوبه عليه، وجلس في عزائه سبعة أيام، وتصدق عنه بمال جزيل، (١)

إلا أن حجة ابن الجوزي ضعيفة، لأن المعروف أن اتفاق رضوان وطغتكين خفف من حدة الأخير على النزارية، ولا يبعد على طغتكين أن يستخدم خناجر هؤلاء ضد أعدائه. ولما كان مودود (٢) من أكثر

(١) ابن الجوزي: مرآة الزمان (مخطوط)، ج ٨ ورقة ٣١.

(٢) مودود: «ابن التوتاش»، أحد قواد ملكشاه، الذين حاربوا النزارية المشاركة في صرامة وعنف، أسندت إليه إمارة الموصل سنة ٥٠٣ هـ. وقد استعجد طغتكين به، ليوقف في وجه مطامع بلدوين، ملك بيت المقدس، لأن هذا الصليبي تابع هجماته على دمشق، فاجتمعت جيوش إسلامية كثيرة، ووالى أمراء المسلمين الضغط على بلدوين وحلفائه، حتى تم لهم النصر في نهاية خريف ٥٠٧ هـ، فعاد مودود إلى دمشق، وسرح جيشه، على أمل معاودة الهجوم في ربيع العام القابل (٥٠٨ هـ). وبقي هو وخاصته في دمشق، فوثب عليه نزارى في مسجد هذه المدينة، وقتله، وقطعت رأس النزارى، ليعرف شخصه فما عرف [ابن الجوزي، ج ٨ ورقة ٣١].



الأمراء السنين طموحا ، وأن نجمه أخذ يتألق في سماء الحروب الصليبية ، وأن السلطان محمد بن ملكشاه ، أخذ يعتمد عليه في كل ما هو خاص بتلك الحروب ، لذلك كله ، حقد عليه طغتكين ، وخافه في الوقت نفسه ، لأنه كان يعد نفسه الزعيم الأول في بلاد الشام ، وود التخلص من منافسه الجديد - مودود - وقد وجد من نزارية الشام أذنا مصغية . يقول ابن الأثير (١) : « خافه طغتكين ، فوضع عليه من يقتله » . ويقول ابن الفرات (٢) : « إن طغتكين عرف من مخايل أحواله ... أنه عازم على أخذ دمشق ، فعاجله على ما عزم عليه ، فرتب هذا الرجل ( النزارى ) لقتله » . هكذا انتقم النزارية لأنفسهم من مودود ، لبغضه لهم أولا ، ولما فعله أبوه « ألتوتناش » معهم في المشرق ثانيا . والحق أن تلك المؤامرة ترينابده توغل النزارية في دمشق ، وترينا أيضا أن فتكات النزارية إنما كانت لغرض الإبقاء على المذهب ، سواء أكان ذلك بالفتك بأعدائه ، أو الاتفاق مع أنصاره ، ولم يكن المسلمون وحدهم هم الذين اتهموا طغتكين بقتل مودود ، بل إن الفرنجة أنفسهم - على ما يقول ابن الفرات - أرسلوا إلى طغتكين يقولون : « إن أمة قتلت عميدها في بيت معبودها ، في يوم عيدها ، لحقيق على الله أن يبيدها » (٣) .

هذا وقد أفاد الصليبيون من مقتل مودود ، خفف ضغط السنين عليهم بعد مقتله ، مما يدل على أن النزارية كانوا عوناً للصليبيين ، بقتلهم بكبار أعدائهم من السنين .

(١) . الكامل ، ج ٦٠ ص ١٨٧ .

(٢) . الدول والملوك ، ج ١ ورقة ٧٨ .

(٣) . المصدر نفسه ، ج ١ ورقة ٨٩ .



من هذا كله نرى أن النزارية في حلب ظلوا قوة لا يستهان بها في عهد الملك رضوان بن عتّش ، الذي لم يستطع القضاء عليهم ، رغم تأمرهم عليه ، كما نرى أنهم بدموا ينشرون نفوذهم ومبادئهم في إقليم دمشق جنوبا .

(ب) خذلان النزارية في الاستقرار بحلب وآثاره :

لم يستطع النزارية الاستقرار الدائم في مدينة حلب ، فلم يتمكنوا من اتخاذ قلاع يعيشون فيها ، أو الاستيطان في مدن خاصة بهم ، ولكنهم على الرغم من إخفافهم في جميع محاولاتهم ظلوا قوة مرهوبة الجانب ، يخشاهم الأمراء والملوك ، ويهابهم العامة ، فكانوا يقتلون من أرادوا قتله ، ويتخذون من دور دعوتهم في هذه المدينة الكبرى ، قواعد يوجهون منها ضرباتهم المميتة ، فأخذوا يقتلون الناس في الطرقات ، دون أن يحدوا معارضة تذكر . وما زادهم قوة ، أنهم ثاروا على القوانين المعمول بها في تلك الأيام ، وانضم إليهم كل ثائر على النظام ، وكل خارج على القانون . ولترك العلامة كال الدين <sup>(١)</sup> يصف لنا في كتابه « تاريخ حلب » قوة النزارية وقتذاك ، فيقول : « وكان أمر الباطنية قد قوى بحلب ، في أيام رضوان ، وبايعهم خلق كثير على مذهبهم ، طلبا لجاههم . وصار كل من أراد أن يحمي نفسه من قتل أوضيم التجأ إليهم ، وصار لهم بمدينة حلب « دار دعوة » ، وعظم شأنهم . وصار كل من جنى جناية وانتسب إليهم منعوه وحرسوه ، وكاتبوا الملوك في أمره ، حتى يخلصوه . فكثير بذلك

Recueil des Historiens des Croisades Orientaux, (١)  
vol. iii, p. 603.



أتباعهم ، واشتهر أمرهم ، واشتدت شوكتهم . وصار الرجل منهم يلقى الرجل من غيرهم ، فينزِع عنه ثيابه ، ولا يقدر على الامتناع منه ، ولا يجد ناصرا . ويلقى أحدهم المرأة والصبي في الطريق فيقبضه ، ويذهب به أتي شاء ، ولا يقدر أحد على استخلاصه . وليس هذا فقط ، بل إنهم رغبوا - كما رأينا - في أخذ قلعة حلب ، (١) .

هذه هي حال النزارية ، وتلك هي قوتهم ، في أواخر عهد الملك رضوان ابن تنش ، وقد تطلعت النفوس إلى إبنه الملك دألب أرسلان ، الملقب بتاج الملوك ، وكان شابا لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، فراسله عمه السلطان محمد ابن ملشكشاه ، وحتم عليه الفتك بالنزارية ، والتبرؤ بمافعله أبوه رضوان . وبما لامرأ فيه أن يرسل السلطان محمد ، إلى ألب أرسلان ، دليل قاطع على اهتمام السلاجقة الأوائل بقطع دابر النزارية واستئصال شأفتهم ، ودليل أيضا على خطورة مركزهم في بلاد الشام ، وكان مما قاله السلطان محمد لتاج الملوك : « والدك كان يخالفني في الباطنية ، وأنت ولدي ، فأحب أن تقتلهم » ، (٢) .

ولسنا في حاجة إلى القول بأن جماعة هذا شأنها ، مآلها تسكتل السنيين عليها والثورة بها . وكان حتما على هذه الجماعة أن تعمل على استمالة أتابكة حلب وأمرائها ، بعد موت الملك رضوان ، والتظاهر أمام السنيين بأنهم لا يبغيضون دينهم . ويخيل إلينا أن العلماء السنيين إنما كانوا يكيلون

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ورقة ٧١ .

(٢) Recueil des Historiens des Croisades Orientaux



لهم التهم جزافا ، لأن جماعة النزارية كانوا يحاربون السنين بالمبادئ ، ويعتقدون أن حركتهم حركة إصلاحية شاملة ، فلا يعقل إذن أن يستخدموا الخنزير وحده لنشر دعوتهم والانتصار لمذهبهم ، ولا بد أن صراعهم مع السنين كان صراعا كلاميا وصراعا دمويا كذلك . شأن كل المذاهب الدينية والسياسية في جميع العصور والأماكن .

ومهما يكن من شيء فقد ضاق السنون في حلب وغيرها ذرعا بالنزارية ، وودوا لو تخلصوا منهم . وقد سنحت الفرصة للسنين في حلب بموت الملك رضوان ، حليف النزارية ، واستطاع زعماء هذه المدينة ، الوصول إلى قلب « ألب أرسلان » ، وأوهموه بأن قتال النزارية جهاد في سبيل الله ، يثاب المرء عليه ، وبره من وباء فتاك ، وأعلنوه أن في قتالهم وقتلهم أعظم القرب إلى الله تعالى ، مضافا إلى ما فيه من تخليص الناس من معرتهم ومضرتهم ،<sup>(١)</sup>

وكان من أثر ذلك أن صدرت أوامر الملك ألب أرسلان بالقبض على زعماء النزارية ، وأصدر أمرا آخر حتم فيه على رعيته قتل جميع من يعتبرون عليه من الباطنية ، وقد تمكن ابن بديع من القبض على كثير من زعمائهم ، وتمكن البعض الآخر منهم من الفرار ، فمن قبض عليهم أبو طاهر الصائغ ، ثانی رؤسائهم بالشام ، وابنه ، الذي قتل صبرا على باب العراق ، ورجلته العامة ، وأحرقت شلوه<sup>(٢)</sup> ، وطيف برأسه في بلاد الشام ، وكذلك قتل الداعي إسماعيل ، أخو الطيب المنجم ، داعي النزارية الأوائل في تلك البلاد .

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ورقة ٧٢ .

(٢) الشلو : الجثة .



ومن أفلت من زعماء النزارية في حلب داعيان كبيران، يسمى أحدهما «حسام الدين ابن دملاج»، حيث فر إلى مدينة الرقة، وبقى بها حتى مات، ويدعى الآخر، إبراهيم العجمي الداعي، وكان لهذا الرجل شأن يذكر في عهد الملك رضوان، فقد كان من نوابه في حفظ القلعة بحلب، وترجع أهمية إبراهيم هذا في تاريخ النزارية بالشام، إلى أنه تمكن من الفرار إلى حصن شيزر (١) وعمل على الاستيلاء عليه بمؤامرة، سنرى تفصيلها بعد.

وأما ما نال عامة النزارية في حلب، فكان أشد هولاً مما نال زعماءهم، إذ صودرت أملاكهم، وقتل منهم بظاهر حلب. ثلثمائة، كما قبض على مائتين من كبارهم، وقتل بعضهم صبراً، وألقي ببعضهم من أعلى القلاع، وبالبعض الآخر في السجون، وكثير الاتهام باعتناق المذهب النزارى. وهذا الاتهام كان يعتبر سباً في نظر السنى المخلص، حتى قتل الكثيرون من الأبرياء، وأخذ النزارية يقتلون بعضهم بعضاً، ليتخلصوا من تبعه هذا الاسم، على أن جماعة منهم تمكنوا من الإفلات، ففر بعضهم إلى الفرنجة، وتفرق البعض الآخر هنا وهناك، والخلاصة أنه لم يبق بحلب منهم [بعد هذه المذبحة] من يعرف، (٢).

وتعتبر مذبحة نزارية حلب من أهم الأحداث في تاريخ هذه الطائفة في الشام، فقد كانت معياراً صحيحاً للحياة الكامنة في جسم هذه الجماعة، وخير محك لما تتمتع به من قوة معنوية. وقد خيل للبعض أن هذه المذبحة فيها نهاية النزارية بالشام، ولكن الحيوية الكامنة في جسم هذه الجماعة هي التي بعثتها بعثاً جديداً، فلم تلب قناتهم أمام عاصفة السنيين

(١) يقع على مسافة نصف يوم من حماة، كما يقع على نهر العاصى.

(٢) ابن القرات: تاريخ الدول والملوك، ج ١ ورقة ٧١.



المدمرة هذه ، وإنما قابلوها بابتسامة الساخر الصابر ، الذي يستخر من عبث الحياة ، ويصبر على الضيم ، ومن ثم كان لزوما على القائمين بشئون تلك الجماعة في بلاد الشام ، أن يوجهوها وجهة جديدة ، فيغيروا الأسلوب الذي سلكوه من قبل ، ويصححوا الأوضاع الخاطئة التي وقعوا فيها ، ويضعوا الخطوط الرئيسية للسياسة الجديدة ، التي يجب على هذه الجماعة أن تسلكها بعد تلك المذبحة .

ومهما يكن من شيء فقد كان لهذه المذبحة آثار بعيدة المدى ، منها أن النزارية فقدوا كثيراً من زعمائهم ، غير أنه كان من حسن حظهم ، حدوث تلك المذبحة المروعة ، بعد رواج دعوتهم في أنحاء الشام ، وبذلك لم يتأثروا بها كثيراً ، ولكن الذي فقدوه حقاً ، هو عدم تحقيق أميتهم الكبرى في اتخاذ مدينة حلب قاعدة أساسية لدعوتهم في بلاد الشام ، إذ أنهم على الرغم من اقتضاح أمرهم واكتشاف مؤامرتهم ، التي كانوا يرمون من ورائها إلى احتلال قلعة هذه المدينة قبل هذه المذبحة ، على الرغم من ذلك ، فإن نفوذهم في حلب ظل قوياً ، ولم يفقدوا أملهم في الاستيلاء على قلعتها ، ولكن تلك المذبحة ولم تبق منهم بحلب من يعرف .

وقد دل هذا على أنهم وقعوا في خطأ كبير من جراء تركيز قوتهم في مدينة كبيرة كهذه ، فإن معظم أهلها من السنين ، وقد خالفوا بعملهم هذا سنة نزارية المشرق ، الذين كان دأبهم الاستيلاء على القلاع ، وتكوين المجتمعات الإسماعيلية الخالصة . وسرى أنهم أصيبوا في دمشق بأكثر مما أصيبوا به في حلب ، بسبب مخالفتهم هذا المنهج السليم ، وهو امتلاك القلاع الجبلية ، وتكوين المجتمعات الإسماعيلية البحت . وسرى أن نجاحهم



الحقيقى سوف لا يكون إلا فى القلاع وحدها (١) .

ومن أهم نتائج هذه المذبحة أيضاً، محاولة النزارية الاستيلاء على بعض الأماكن ذات الموقع الاستراتيجى الهام ، وتكوين مجتمعات إسماعيلية خالصة بها ، تستطيع مقاومة الأنواء السنية : السياسية والدينية ، وكانت محاولتهم فتح « شيزر » بعد ذلك خير دليل على هذا الاتجاه الجديد ، فإن الداعى إبراهيم العجمى ، أحد زعماء الإسماعيلية ، تمكن من الإفلات من هذه المذبحة ، ولجأ إلى جماعة من النزارية كانوا يقطنون فى « شيزر » ، وأخذت فلول النزارية يتكاتفون حوله بها ، ويفدون عليها ، فلما كثر عددهم ، تأمروا على امتلاكها فى سنة ٥٥٠٧ (١١١٣ م) . يوضح ابن القلانسى ذلك بقوله : « ورد الخبر من « شيزر » ، بأن جماعة من الباطنية من أهل « أفاميه » و « سرمين » و « معرة النعمان » (٢) ، و « معرة مصرين » (٣) ، فى فصح النصارى ، و ثبوا فى حصن « شيزر » ، على غفلة من أهله ، فى مائة راجل ، فملكوه وأخرجوا جماعته ، وأغلقوا باب الحصن ، وصعدوا إلى القلعة ، فملكوها وأبراجها » (٤) .

كان احتلال النزارية حصن « شيزر » نتيجة طبيعية لمذبحة حلب ، لأنهم أرادوا باحتلاله أن يتخذوا مكاناً يلجأون إليه ، بعد أن أصابهم ما أصابهم . لذلك يقول ابن الفرات (٥) : إنه « بعد الإيقاع بالإسماعيلية

(١) أنظر كتابنا « إسماعيلية الشام من أقدم العصور حتى اليوم » .

(٢) معرة النعمان : بين حلب وحماة ، وهى مدينة مشهورة من أعمال حمص وينسب إليها أبو العلاء المعرى الشاعر المطبوع .

(٣) كورة بنواحي حلب ومن أعمالها .

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٠ .

(٥) الدول والملوك ، ج ١ ورقة ٧١ .



الباطنية في حلب ، تجمعوا إلى «شيزر» ، وصار بها جماعة كثيرة ، ورتبوا أحوالهم ، وفكروا في تحصين حصن «شيزر» . والذي جذبهم إلى هذا الحصن حسن موقعه ، فقد كان يستقر فوق جبل منيع يتعذر الوصول إليه ، ويقع بالقرب من نهر الأورنت - العاصي - فكأن الدافع إلى امتلاكه هو حسن موقعه أولا ، والرغبة في الاستقرار ببلاد الشام ثانيا .

أما طريقة احتلالهم هذا الحصن ، فإنه ما كاد أمرؤه من بني منقذ ، يخرجون منه يوم الشعانين<sup>(١)</sup> لمشاهدة حفلات ذلك اليوم ، حتى انقضت النزارية عليه واحتلوه ، وهكذا اغتتم الإسماعيلية الباطنية ، الذين تجمعوا بشيزر ، خلوا البلاد من العامة ، وخلوا القلعة من الأمراء والجند ، واجتمعوا ، ووثبوا في الحصن ، وملكوه<sup>(٢)</sup> .

إلا أنه على الرغم من هذا النجاح الوقى ، لم يتمكن النزارية من الإبقاء على هذا الحصن طويلا ، لأن أصحابه ، الذين لم يكونوا يشكون يوما في إخلاص هؤلاء النزارية اللاجئين إليهم ، لما تيقنوا من خيانتهم ، تسلفوا إلى الحصن بمساعدة نسائهم ، وأحاطوا بالباطنية ، وأفنؤهم عن آخرهم ، وعلى رأسهم الداعي إبراهيم بن إسماعيل العجمي السابق الذكر ، وتبعوا جميع من كان على مذهبهم في «شيزر» وفتكوا بهم .

وكانت خسارة النزارية جسيمة ، وخاصة بعد أن نالهم ما نالهم في حلب ، وقد أدرك زعيمهم الأكبر في «آلموت» - الحسن الصباح - ذلك ، فأرسل إليهم يُعزِّزهم ويشجعهم في الوقت نفسه . ليكونوا مُسَلِّحا عليه

(١) أحد أعياد المسيحيين المشهورة .

(٢) ابن الفرات : الدول والملوك ، ج ١ روقة ٧١ .



يحتذيها إخوانهم النزارية الآخرون ، في بلاد الشام . وفي ذلك يقول ابن الفرات<sup>(١)</sup> دو وجد بنو متقدمع الإسماعيلية رقة من حسن بن الصباح ، فيها :  
 رحمكم الله يا إخواننا ! لن يصاد من الطير إلا من يحسن التسبيح لا غير ،  
 والذي نستطيع استنتاجه من تلك الرسالة المقتضية ، أن الحسن الصباح  
 كان على علم تام بكل ما يحوط نزاريته في بلاد الشام بطريق الحمام الزاجل ،  
 وأنه هو نفسه الذي كان يضع خطط الهجوم على القلاع بتلك البلاد ،  
 وكان ذلك في سنة ٥٠٧ هـ

ومعنى هذا أن النزارية خذلوا في شيزر ، كما خذلوا في حلب ،  
 ولكنهم رغم هذا كله ، كانوا لا يزالون قوة يخشى الأمراء بأسهم ، فقد  
 تنفسوا الصعداء بموت ألب أرسلان - تاج الملوك - ابن رضوان ، صاحب  
 حلب ، وسروا لتولية إيلغازي ، أتابك ماردين<sup>(٢)</sup> وحلب مكانه ،  
 وجذبوه إلى عجلتهم ، فكان يتودد إليهم ، مقلدا الملك رضوان في ذلك  
 السبيل ، ولهذا عاد نفوذهم قويا في مدينة حلب ، وبذلوا جهودا متصلة  
 في سبيل الاستيلاء على قلعة الشريف ، المجاورة لهذه المدينة .

وقد نفذ هذا الأسلوب الجديد ، في الاستيلاء على القلاع ، داع له شهرته  
 في تاريخ النزارية ، هو سلف مقدم الدعوة سنان ، ويدعى الشيخ أبا محمد ،  
 ولا نعرف عنه شيئا كثيرا ، اللهم إلا أنه كان قد أرسل في سنة ٥٠٠ هـ ،  
 إلى الشام داعيا بسيطا<sup>(٣)</sup> ، وأنه استطاع الإفلات من مذابح حلب وشيزر ،

(١) تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ورقة ٧١ . وفي الأصل إلا من يحسن التسبيح ،  
 والصواب إلا ما يحسن التسبيح

(٢) ماردين . قلعة منيعة ، تشرف على مدينة نصيبين . ذات موقع حسن  
 يتحكم في السهول المجاورة .



وتصادق آخر الأمر مع «نجم الدين إيلغازى»، وتمكن بهذه الصداقة من أن يعيد للنزارية نفوذهم فى هذه المدينة. ولا نستبعد أن يكون المقدم، أبو محمد، هو الذى تمكن من جعل إيلغازى، نجم الدين، يشرك طفتسكين، صاحب دمشق، فى الاستعانة بالنزارية والتحالف معهم، ولا يبعد كذلك أن يكون مقدم الدعوة، أبو محمد هذا، على اتصال بالداعى بهرام، زعيم النزارية بدمشق، كما لا يبعد أن يكون هو الذى أرسل الداعى بهرام إلى دمشق، لتكوين هيئة نزارية منظمة هناك، بعد أن فشلت تجارب الشمال وحلب، أفامية، شيزر.

والذى لا نستطيع إنكاره هو صداقة المقدم أبى محمد النزارى لنجم الدين إيلغازى، ولذلك حين أرسل هذا الداعى الكبير رسولا إليه، يطلب منه قلعة الشريف، كان مع الرسول النزارى هدايا كثيرة، تدل على تلك الصداقة. وإن رد إيلغازى، على النزارية يؤيد ذلك. أوضح ابن الفرات (١) هذا كله فى قوله: «وخرج رسول أبى محمد، رئيس الإسماعيلية فى حلب، إلى «ماردين»، إلى عند نجم الدين إيلغازى، ومعه هدية سننية، وقود (٢) كثير، وكان يشتهر وبين إيلغازى مصادقة، ومعه كتاب فيه: «إننا ضيوفك وقد كثرت نقلتنا، ونريد أن تمن علينا بإطلاق قلعة الشريف، لتتخذها مسكننا وملاذا نأوى إليه».

(١) الدول والملوك، ج ٢، ورقة ٣٩ — ٤٠.

(٢) القود: القصاص. وقتل القاتل مقابل القاتل. والمعنى أخذوا معهم دواب وهدايا كثيرة.



وقد أجاب «نجم الدين» (١) إيلغازى النزارية بما يدل على اللباقة ،  
ولكنه يدل فى الوقت نفسه على الخوف من النزارية ، فقد تظاهر لهم بأنه  
أمر بتخريب هذه القلعة قبل أن يصل الرسول النزارى إليه بقليل ، وأشار  
إشارة ذات معنى لكاتبه ، فأرسل هذا رسالة لحماة القلعة ، عن طريق الحمام  
الزاجل ، يأمرهم فيها بتهديم السور الذى يفصل بين مدينة حلب وبين  
القلعة ، كما سلم إلى الرسول رسالة أخرى ، وفيها يأمر بتسليم القلعة إليه ،  
فلما وصل الرسول إليها ، كان الأمر على غير ما يرغب النزارية . ونستطيع  
أن نستبين من أسلوب إيلغازى ، مدى حسن العلاقة بينه وبينهم ، ومدى  
خوفه منهم أيضا .

وكان ما حدث صدمة كبيرة أصابت الإسماعيلية ، الذين كانوا يفتنون  
الآمال السكبار على أخذ هذه القلعة ، للاستقرار فيها ، وتقوية مركزهم فى

---

(١) جاء فى عبارة ابن الفرات ( ج ٢ ورقة ٤٠ ) المستفيضة ما يلى : « فقال  
الأمير إيلغازى للرسول من غير توقف ولا تؤدة : والله قد أمرت البارحة بهدمها ،  
ولو تقدم قدومك سلمتها إليكم ، والتفت إلى كاتبه ، وقال : اكتب له كتابا بتسليم  
القلعة إليهم إن كانت على حالها . ففهم السكاك مراده ، فتباطأ بالرسول . وأمر  
الأمير إيلغازى كاتبه أن يكتب على جناح طائر بهدم السور الذى بينها وبين حلب ،  
وتقصير سورها الخارجى ، وبصلب جماعة من أهل الحبوس [السجون] الذين وجبت عليهم  
الديات ، ويشاع عنهم أنهم كمنوا فيها ، وأرادوا تسليمها إلى الفرنج ، وأن يصعد  
إليها جماعة من وجوه الحليين ببيوتهم وأهاليهم ، وألا يؤخر ذلك . وكتب  
للرسول كتابا فى آخر النهار وأرسله ، فجاء ، فوجدها قد أنهدمت ، وقد سكنها  
جماعة من وجوه الشيعة والسنة » .



بلاد الشام ، ولهذا طلبوا من جديد أخذ القلعة ، وتعهدوا بإصلاحها وإقامة سورها . فكان رد إيلغازي لثاني مرة دليلاً آخر على أنه يريد ألا يفسد ما بينه وبين النزارية من مودة ، إذ أجابهم أنه عاجز أمام أهل المدينة السنيين ، وخطأهم في عدم الاتصال سرا به . ومهما يكن من أمر . فقد أعاد الداعي أبو محمد الرسالة ، وفيها ونحن نأخذها ونعمرها ، فقال لهم إيلغازي : هذا ثمر قريب من الفرنج ، وقد صعد إليه وجوه المدينة وأهل الدين ، ولا يمكنني مناصبتهم [معاداتهم] ، فإني أخاف أن يفسد حال البلد . ولو أنكم أتيتموني في السر ولا تظهرون ذلك ! . وقد فعل مثل هذا عماد الدين زنكي ، وابنه نور الدين محمود .

وهكذا كان أمراء المسلمين يخافون صولة النزارية في الشام ، كيلا تقع في أيديهم . ومما لا مرأ فيه ، أن امتلاك النزارية القلاع المجاورة للبدن الكبيرة ، كحلب وغيرها ، يعتبر من أكبر دواعي نجاحهم في نشر الدعوة ، ومد نفوذهم ، ونشر الرعب والذعر بين مخالفيهم في تلك المدن . وقد أدرك ابن الفرات (١) ذلك فقال : « ولولا ما وفق الله تعالى إيلغازي ، والامير عماد الدين زنكي ، وولده العادل نور الدين محمود ، فيما لقيهم إياه من هذا الطريق ، الذي صدوا به هذه الطائفة المملوكة الخبيثة ، لكانوا قد استولوا على هذه البلاد ، وسرت دعوتهم الخبيثة في الوهاد والنجاد . »

وبهذا نرى أن النزارية في بلاد الشام أخفقوا في مسعاهم في سبيل أخذ قلعة الشريف ، كما أخفقوا في الاستيلاء على حصن شيزر . وقلعة حلب من قبل ،



وبعبارة أخرى، لم يستطع النزارية بالشام أن يصلوا إلى أغراضهم بالعنف أو باللين، ومن ثم لجأوا إلى طريقة أخرى واتجه آخر، يتلخص في نشر دعوتهم في بلاد الجزيرة، وفي إقليم حلب، ما دام ونجم الدين إيلغازي، صاحب دماردين، على هواهم، وبفضل هذه السياسة الجديدة، أخذ نفوذهم يزداد كثيرا في بلاد ما بين النهرين، وبلاد الجزيرة، وعلى الأخص في مدينتي آمد<sup>(١)</sup> وديار بكر، ولم تأت سنة ٥١٨ هـ حتى أصبحوا خطرا على السنين في مدينة آمد، ودر لهم هؤلاء السنيون مؤامرة، كتلك التي دبرت في حلب، وقتلوا بعدد كبير منهم، مما يدل على كثرة عددهم. وهكذا ثار أهل آمد بمن فيها من الإسماعيلية، وكانوا قد كثروا، فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل، فضعف أمرهم بها، بعد هذه الواقعة،<sup>(٢)</sup>.

والحق أن أهل آمد، ثاروا بالنزارية حين أدركوا أنهم يسعون إلى احتلال مدينتهم، مما يدل على أن محاولة احتلال هذه المدينة، إنما هو مرحلة أخرى من مراحل استقرارهم في هذه البلاد. يقول ابن الجوزي<sup>(٣)</sup> «ووصل الخبر بأن الباطنية وثبوا في آمد ليملكوها، فظهر عليهم أهل البلد، فقتلوا من الباطنية سبعمائة»، ولو قدر للنزارية النجاح في هذه الجهات، لسهل عليهم الاتصال بالفرع النزاری الرئيسي في فارس، ولأصبحت بلاد الجزيرة معبرا يعبره النزارية إلى إقليم قوهستان وبلاد

(١) مدينة آمد: من أعظم مدن ديار بكر في شمال العراق.

(٢) ابن الفرات: الدول والملوك، ج ٢ ورقة ٨٩.

(٣) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ورقة ٦٩.



الدليم وغيرهما ، ولسهل عليهم بعد ذلك تحقيق أمنيتهم الكبرى في جعل العالم الإسلامي منطقة نفوذ لهم .

كانت سلسلة الشكبات التي حاقت بالنزارية مذ وطئت أقدامهم بلاد الشام ، خير درس لهم ، فقد تعلموا من هذه الحوادث جميعا ، أن شمال الشام لم يعد أرضا صالحة لدعوتهم ، ومن ثم ولوا وجوههم شطر دمشق ، بعد أن رأوا صاحبها - طغتكين - يعطف عليهم عطفاً شديداً ، وبعد أن لمسوا بغض « بسلاق بن بهرام » ، خليفة إيلغازي ، فقد احتل مدينة حلب في سنة ٥١٧ هـ (١١٢٧ م) ، ولم يمض غير قليل ، حتى قبض على زعيم النزارية في هذه المدينة ، وأمرهم جميعا بمغادرتها « فخرجوا منها بمتاعهم وأموالهم وعائلاتهم » (١) ، وولوا وجوههم نحو دمشق .

وبهذا نرى أن نزارية الشام ساعدوا على ضعف إخوانهم الفاطميين الإسماعيلية ، فأزالوا ما بقي لهم من نفوذ في تلك البلاد ، ولا غرو فإن العداء بين هؤلاء وأولئك كان محتدما ، منذ وفاة المستنصر ، وإن ما عمله النزارية - أتباع الحسن الصباح - مع الفاطميين في بلاد الشام ، هو نوع من ذلك الصراع . كما ساعدوا الصليبيين أيضا في ذلك الدور بما قاموا به من اغتيالات منظمة ضد الزعماء السنيين ، فقد كان لقتلهم جناح الدولة أثر في زيادة نفوذ الصليبيين في شمال الشام . أضف إلى ذلك أن ما أحدثوه في أفامية سنة ٥٩٩ هـ ، ساعد الصليبيين على احتلالهم هذا الحصن الخطير ، ذا الموقع الحربي البديع ، كل هذا يدل دلالة قاطعة على أن النزارية بالشام كانوا عوناً للصليبيين في هذا الدور على الأقل .



أضف إلى ذلك أن النزارية استطاعوا أن يجذبوا إليهم كثيرا من أمراء الشام وأتابكتها . فقد خضع لنفوذهم - على ما رأينا - رضوان السلجوقي - صاحب حلب - واستمالوا إليهم خليفته ونجم الدين إيلغازي ، وبدأ نفوذهم في أخريات حياة الحسن الصباح في الاتجاه إلى دمشق جنوبا ، وفي هذا خير دليل على نجاح النزارية في الشام من الناحية الدبلوماسية .

أما محاولاتهم الكثيرة التي بذلوها للاستقرار في تلك البلاد ، فقد منيت جميعها بالفشل ، لأنهم ركزوا جهودهم في الاستيلاء على المدن أو قلاعها ، ولو اتجهوا - كما خروا في المشاركة - إلى القلاع الجبلية ، فبنوا بعضا واغتصبوا مثلهم بعضا ، لأراحوا أنفسهم ، وحققوا دماءهم التي فقدوها في حلب وشيزر وآمد . هذا وقد عجز النزارية عن مذهبة البلاد ، التي زاد نفوذهم فيها ، بالمذهب الإسماعيلي ، ولو استطاعوا فعل ذلك ، لما نكبوا بجلب أو غيرها . وبعبارة أخرى ، كان نفوذ السنيين قويا ضدهم في شمال بلاد الشام ، طيلة عهد الصباح ، فلم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم كاملة هناك ، وليس معنى ذلك أنهم لم يكونوا قوة يؤبه لها ، فقد كان إيلغازي يتملقهم لقوتهم ، كما قلده طقسين أتابك دمشق في ذلك ، واستمروا في الوقت نفسه يعملون في استئثار ، ومهدوا الطريق لراشد الدين سنجان ، مقدم النزارية في عهد صلاح الدين ، ودوخوا الصليبيين ، وأربكوا نور الدين محمود - صاحب الشام - ثم صلاح الدين الأيوبي من بعده (١) .

(١) انظر كتاب « إسماعيلية الشام من أقدم العصور حتى اليوم » للمؤلف . وكذلك كتاب « أئمة النزارية أجداد أغا خان » .



وهكذا نجح الحسن الصباح نجاحا منقطع النظير في بلاد فارس وخراسان ، ولكنه لم يستطع أن يحقق أمنيته كاملة في بلاد الشام ، فترك مهمة الاستقرار في هذه البلاد إلى خلفائه من بعده ، حيث استطاعوا أن يقلدوه ، فيستقروا في قلاع الدعوة المشهورة في جبال لبنان ، تلك القلاع التي ظلت قذى في أعين الصليبيين والسنيين قرنين من الزمان ، حتى استطاع الظاهر بيبرس ، في أواخر القرن السابع الهجري ، أن يضمها إلى مملكته ، وينزل ما بقي للنزارية من نفوذ في بلاد الشام .

#### ٤. (٤) صراع الحسن الصباح مع المستعينة

رأينا أن الحسن الصباح لم يهر على الفاطميين في عهد الخليفة المستنصر ، فظل على إخلاصه لهذا الخليفة ، لكنه ثار عليهم بعد تولية ابنه المستعلي ، الذي قتل أخاه الأكبر نزارا ، وهكذا ، كما يقول النويري : « انفصل أهل « الموت » عن العبيديين ( أى الفاطميين ) من ذلك الوقت ، وشرع الإسماعيلية في اقتتاح الحصون ، وأخذوا قلعة وبنوا أخرى ، وأظهروا شغل السكّين ، (١) .

وقد ادعى الحسن أنه نائب عن الإمام نزار ، أو بالأحرى نائب الإمام المستور - كما رأينا - ولم يعترف بقتله ، وادعى أنه لم يمت ، وأنهم « ما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبهه لهم » . ولكن يبرهن لهم على صحة دعواه ، اخترع من الآراء ما يلائم أذهان الباطنية في فارس ، ويتفق مع

(١) النويري : نهاية الأرب ( مخطوط بدار الكتب ) ، ج ٢٨ ورقة ٧٥ .



فلسفتهم الدينية ، فادعى أن نزارا تجسم في بطن امرأة ، وأنه حضر إلى  
«آلوت» على تلك الصفة ، فكان هذا لونا جديدا من ألوان الصراع  
مع المستعيلة الفاطميين ، لأن الصباح ثار على الإمامة الفاطمية الظاهرة ،  
بمناذاته بالإمامة النزارية المستورة .

يقول النويرى (١) : « وكان الصباح . . . لما قتل نزار طالבו به ،  
فقال : إنه بين أعداء كثيرة ، في بلاد بعيدة ، ولا يمكنه الحضور . وقد  
عزم على أن يختفي في بطن امرأة ، ويحى سلسا ، ويستأنف الولادة ،  
فقتعوا بذلك ، فأحضر لهم جارية ، وقال : إنه قد اختفى في هذه ،  
فعظموها ، فولدت ابنا سماه « حسنا » ، وقال : تغيير الاسم لتغيير  
الصورة » .

نرى أن تلك القصة مفتعلة على الحسن - على ما يظهر - لأنه لم يترك  
في كتابه « ساراجوزاشت » ، مثل تلك القصة الخيالية ، على أن  
القلقشندي (٢) يبالغ ؛ فيرى أن النزارية كانوا يعتقدون أن نزارا خرج  
من الإسكندرية حملا في بطن امرأة « تقية على نفسه ، وخاض بلاد  
الأعداء ، حتى صار إلى « آلوت » ، مع أننا نعلم أن نزارا مات في سنة  
٤٨٨ هـ مدفونا بين جدارين ، في قصر الخلافة بالقاهرة .

وأهم من ذلك ، ما ذهب الفارقي إليه ، من دعواه أن الحسن الصباح  
زوج ابنته من نزار بن المستنصر حين كان بمصر ، فانجبت هذه أبناء من نزار

(١) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٨ ورقة ٧٦ .

(٢) صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٣٣٧ .



ابن المستنصر، ويدعى أيضا أن نزارا قصد قلعة «آلموت»، وعاش هناك مع الحسن؛ فيقول: «خرج نزار من مصر، ومضى إلى خراسان، إلى بيت الصباح، في قلعة «آلموت»، واتصل إليهم، وأولد هذا الابن (أى محمد بن نزار) من بنت الصباح، ومات هناك (١). ولا يمكننا تصديق ذلك، مادام التاريخ الصحيح يؤكد أن الحسن للصباح لم يظاهر نزارا. إلا أن هذه الدعاوى تبين لنا العداء المستحكم بين النزارية والمستعلية.

على أن هناك رأيا يكاد يكون أقرب إلى الصحة من تلك الآراء جميعا، وهو ما ذهب البندارى إليه، من أن الخليفة المستنصر الفاطمى، أرسل في أخريات حياته مع بعض خواصه من المقرئين إليه طفلا، ليعيش في «آلموت»، بعيدا عن مؤامرات قصر الخلافة بالقاهرة، وكان ذلك الطفل أحد أبناء نزار بن المستنصر (٢). ولو صحت هذه الرواية، كانت دليلا على صحة ما ذهب إليه النزارية، من أن المستنصر وضع الإمامة في بيت ابنه نزار دون المستعلى، وأن المؤامرة التي حيكمت ضد بيت نزار هذا، قد بدأت في عهد المستنصر نفسه، الذى كان يعطف على ابنه نزار، ويود استقرار الإمامة فيه، وفي أبنائه من بعده.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف فى الآراء، فإنها جميعا تدل على سمو مركز الحسن الصباح فى عالم دعوة نزار، سواء أكان ذلك فى مصر أو فى بلاد فارس. وقد صدق فان برشم (٣) فى قوله: «ما كاد الحسن

(١) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٩.

(٢) الأصفهاني: تاريخ السلاجقة، ص ٣٨.

(٣) Berchem: Epigraphie, (J. A., 1897) p. 272



الصباح يستقر في «آلوت» ، حتى هجر الأسرة الحاكمة ( الفاطميين ) ،  
كى يطير بنفس أجنحتها . ولا غرو فقد كان يعتقد أنه يمثل الفاطميين  
الحقيقيين ، على حين كان يعتبر المستعلي وبيت بدر الجمالى فى مصر ،  
من الثوار على الفاطميين أنفسهم .

ولا يبعد أن يكون إرسال الحسن دعائه إلى الشام ، إنما هو لمقاومة  
المستعلية الذين كان نفوذهم سائدا في تلك البلاد . وآية ذلك ، ما رأيناه من  
سلوك أبى الفتح السرميني ، كبير دعاة الحسن الصباح فى بلاد الشام ، الذى  
حاول أخذ «أفامية» ، ونشر المذهب النزارى ، ومحاربة المذهب المستعلي  
بها ، لأن واليها السابق وكثيرين من أهلها كانوا يدينون بمبادئ  
الدعوة القديمة ( الدعوة المستعلية ) .

وقد أدرك الفاطميون المستعلية نوايا النزارية بالشام ، فأخذوا  
يتجسسون عليهم ويتعرفون أحوالهم ، وإليك حادثة تبين لك صحة هذا  
القول ، ذلك أنه فى سنة ٥١٤ هـ ( ١١٢٠ م ) ، وثب باطنى نزارى بدمشق ،  
على رجل من أهل مدينة حلب ، فقتله ، واجتهد الناس فى تخليصه ، فلم يقدرُوا .  
ولما قتله الباطنى لم يعرضوا له ، خوفا من هذه الطائفة ، وادعى الباطنى أن هذا  
الحلبى يتجسس عليهم ، ويوصل أخبارهم إلى الأفضل بن أمير الجيوش ،  
وزير الديار المصرية (١) ، مما يدل على كراهة النزارية والمستعلية بعضهم  
لبعض ، ويدل فى الوقت نفسه على خوف الفاطميين من نزارية الشام خاصة .

ويقال : إن النزارية هم الذين قتلوا الأفضل شاهنشاه فى سنة ٥١٥ هـ ،  
واجتمعوا بعد ذلك ، فعملوا على مد نفوذهم فى مصر نفسها . غير أن الوزير  
الحديد ، المأمون البطائنى ، كان شديد الاحتراس والخوف منهم .

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٢ ورقة ٤٠



ويهمنا هنا أن نوضح سياسة الحسن الصباح إزاء الفاطميين في مصر نفسها، فقد اتخذ له جواسيس بمدينة القاهرة، حاضرة الفاطميين، وأخذ يرسل الأموال إليهم وكله أمل في الفتك بالخليفة الأمر، ووزيره الجديد، المأمون البطائحي (٥١٥—٥١٩هـ). زاد ابن ميسر<sup>(١)</sup> هذا الأمر وضوحاً فقال: «فلما ولي المأمون، بلغه أن ابن صباح والباطنية فرحوا لموت الأفضل وقتله، وأنه قد امتدت آمالهم لقتل الأمر والمأمون (البطائحي) معا، وأنهم أرسلوا رسلاً لأصحابهم المقيمين في مصر، ومعهم أموال للتفرقة عليهم». وبين لنا هذا مدى توغل جاسوسية النزارية في مصر وخطرها. فقد كان لهم بها جماعات كبيرة، حتى كان أساتذة أبناء الخليفة الأمر من النزارية. ولا سرا في أنه كان لمهارة الوزير البطائحي في البحث عن النزارية أثره الطيب في اكتشاف أمرهم، وإخفاقهم في مصر، ولو نجحوا في تلك البلاد، لأزالوا نفوذ الدعوة القديمة، كما أزالوه من فارس والشام. ولشدة خوف الفاطميين من النزارية أوقفت حكومتهم نشاطها على البحث عنهم، وتقصى أخبارهم، لا بل اتخذوا لهم جواسيس تقتفي آثار النزارية، في فارس، الذين يخرجون من بلادهم، فكان الكثير من نشاطهم يعرفه الفاطميين، فيدرءون الخطر قبل وقوعه. ولذلك كان من السهل على الخليفة الأمر ووزيره البطائحي، أن يجنبا دولتهم خطر النزارية. وتبعاً لهذا النشاط الفاطمي الفذ تلاشى خطر النزارية عن مصر أو كاد، فمن اكتشاف أمره منهم قتل، ومن خرج من بلاده متجهاً إلى مصر قتل، قبل أن يصل إليها.

(١) ابن ميسر: أخبار مصر، ج ٢ ص ٦٥.



- يقول ابن ميسر (١) في مهارة البطائحي ونشاطه ضد النزارية : « ثم إنه أركب في يوم من الأيام جماعة من العسكر وفرقهم ، وأمر بمسك من عيسنه ، فسك منهم جماعة كثيرة ، منهم رجل كان يقرئ أولاد الخليفة الأمر ، ومسك معهم المال الذي سيره ابن صباح ، برسم نفقة مصر ، فأخذه ، وكانت هذه الفعلة من المأمون من عجائب الحذق ، وبث مع ذلك الجواسيس في أقطار الأرض . وكان الباطني إذا خرج من « آلموت » لا تزال أخباره تصل إلى المأمون متعاقبة ، حتى يصل إلى المأمون ، وحتى يصل إلى بليس ، فيمسك بها ، ويحمل إليه ، فيقتله » .

ويتمثل الصراع بين الفريقين في شحذ كل فريق منهما ذهنه وهمته في دحض آراء خصمه وتفنيدها ، بتأليف الكتب وإذاعتها بين الأتباع ، فقد وقف الحسن يقارع المستعلوية حججهم ، ويألم مكاتب « آلموت » ، وقلاع الدعوة بالمؤلفات الكثيرة التي يثبت فيها صحة إمامة نزار بن المستنصر ، وبطلان إمامة المستعلي . كما أوقفت الدولة الفاطمية أقلام مؤلفيها ودعاتها وفقهاها ، للرد على النزارية ، وتفنيد دعاويهم ، التي تنادي بصحة إمامة نزار بن المستنصر . وبهذا وضع الحسن الصباح خلفائه المنهاج الذي يجب عليهم أن يسلكوه حيال الفاطميين .

## ٥ — خاتمة القول في الحسن الصباح

### (١) أخلاق الحسن الصباح

يعتبر الحسن الصباح من الزعماء القلائل الذين يضن الدهر بهم ، والذين يظهرون من حين إلى حين في هذا الكون ، فيملئون إعجاباً بهم

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٦٦ .



وتقدير ا لهم . وقد امتاز الحسن الصباح بالتحلى بصفات جعلته في مصاف كبار زعماء الإسماعيلية ، بل زعماء المسلمين السنيين ، واستطاع بفضل ما كان يتمتع به من خلال طيبة ، أن يكون دولته النزارية وسط أعاصير السنيين ومذاهبهم .

ومن أهم ما كان يتمتع به هذا الزعيم بعد نظره . فقد كان لهذه الخلة - بعد النظر - أثرها الكبير في حياته . انظره وقد تنبأ للخيام الشاعر بالنبوغ العلبي ، ولأنوشروان بن خالد ، وزير السلطان محمود فيما بعد ، بالنبوغ السياسى كذلك ، فعقد أواصر الصداقة معهما ، حتى يستغل نفوذهما في المستقبل . ثم أليس في تركه المذهب الاثنا عشرى الذى مل أنصاره انتظار إمامه ، وانتقاله بعد ذلك إلى المذهب الإسماعيلى ، الذى يتيح للرجل العامل النابه أن يظهر على مسرح السياسة ، ويحقق آماله وطموحه ؟ أليس هذا الانتقال دليلا قويا على بعد نظر الحسن الصباح ؟ فقد أصبح بسبب بعد نظره هذا في مركز لا يقل عن مركز الملوك والباطرة .

حقا ! جر بعد نظر الحسن عليه كثيرا من المتاعب ، غير أن الزعماء لا يهتمون بما ينالهم في سبيل تحقيق مآربهم الكبيرة . يدل على هذا ، ذلك الصدام العنيف الذى احتدم بينه وبين بدر الجمالى ، وزير المستنصر ، فقد أدرك بثاقب نظره أن الدعوة الإسماعيلية في مصر سوف تنهار على أيدي هؤلاء الوزراء النفعيين ، وقرر الاصطدام معهم بعد ذلك . ولو لم يكن الحسن الصباح بعيد النظر لثار على الفاطميين منذ احتلاله دالموت ، واستشعاره القوة والنفوذ ، ولكنه آثر الانتظار ، فلما مات المستنصر سنة ٥٨٧ هـ ، وقتل الخليفة المستعلى أخاه نزارا في السنة التالية ، نادى بإمامة نزار هذا ، واستقل بإسماعيلية الشرق عن إسماعيلية مصر . فكان ما ناله



الحسن من نجاح كبير أثرأ من آثار بعد نظره . ثم إن اعتماد الحسن الصباح على القلاع القوية في قلل الجبال واتخاذها دور هجرة للإسماعيلية الزارية دليل آخر على بعد نظره . فقد استطاع بفضلها أن يحتفظ بقوته سليمة لم يمسسها سوء .

وفي الحق أن الحسن الصباح كان نهازا للفرص كذلك ، فلم يترك فرصة تمر إلا استغلها ، فقد انتهن فرصة توظيفه في حكومة السلاجقة ، وحاول اكتساب رضا السلاطين أنفسهم ، حتى أوشك أن يصل إلى الوزارة ، وانتهن فرصة الحروب الأهلية التي أعقبت موت السلطان ملكشاه ، وقوى فرقته ، فبقي قلاعا واشترى وأصلح أخرى ، بل لقد اندمج في هذه الحروب الأهلية ، فأعان جماعة من أبناء ملكشاه على إخوانهم ، على الرغم من أنه كان يبغض الجميع ، كما كان هو نفسه مبغضا للجميع .

وبدلنا على جبلة الحسن الانتهازية ، أنه ما كاد يرى بلاد الشام مضطربة ، يسودها الشقاق ، ويغمرها اختلاف أمراء السلاجقة وأتابكتهم ، ويمزقها صراع السنيين والفاطميين مع الصليبيين . ما كاد يرى هذا كله حتى حزم أمره ، وبعث بدعائه إلى تلك البلاد ، غله ينال منها غرضا . كل هذه الأمور خير دليل على بعد نظر الحسن وانتهازه الفرص .

ويعتبر الصبر من أبرز الصفات التي كان الحسن يتجلى بها ، حقا ! كان الحسن الصباح شهما جلدا ، لا تفرعه الحوادث ، فكان يتغلب عليها بثباته وجلده . انظره وقد عصفت العواصف الجاححة بالسفينة التي كانت تقله في البحر الأبيض . أثناء عودته إلى بلاده ، وهو ثابت متجلد ، في الوقت الذي ملأ اليأس والفرق قلوب رفاقته ، حق لقد أذهل بتجلده



وصبره هؤلاء الرفقاء ، وأعجبوا به أيما إعجاب ، ولا غرو فقد كان رجلا يصرع الحوادث فلا تستطيع هي أن تصرعه . وخير دليل على صبره وجلده أنه استطاع ، ومعه سبعون رجلا ، أن يقاوم جحافل السلاجقة ، وأن يدير دفعة هذه الحروب الميؤوس من نجاحها ، لإدارة تدل على الشبات والقوة . ولو أن رجلا غير الحسن كان على رأس ذلك النقر القليل ، لحارت قواه أمام تلك الأهوال ، لسكرته صبر . فكان صبره من أكبر عوامل نصره .

على أن ميل الحسن الصباح إلى الدقة والنظام كان من أبرز صفاته أيضا ؛ فقد كان يهيمه أن يكون جماعة منظمة ، تسير في سياستها وحروبها ، وفي نشر دعوتها ، على نظام ثابت ، وكان يعتد أن هذا النظام هو عنصر النجاح الفعال ، لذلك اعتمد في اتخاذ قلاع دعوته على النظام والدقة ، فجعل هذه القلاع منظمة بحيث لا تستقبل غير المستجيبين ، واتخذها بحيث يمكن الاتصال بها جميعا ، وبحيث تكون شبكة من وسائل الدفاع القوية التي لا يمكن اختراقها ، وجعل من كل قلعة مملكة صغيرة ، تخضع لرئيسها المباشر ، وجعل القلاع في كل إقليم تخضع لقلعة رئيسية ، ووضع عليها زعيما يعترف له بالطاعة جميع الزارية في إقليمه بالطاعة . ومن ثم لم نسمع عن اعتصاب في قلعة ما ، أو نسمع عن ثورة في هذه القلاع ، بل كانت الطاعة رائد الجميع ، كل هذا يرجع إلى حسن تنظيم الحسن الصباح لأعماله .

ومما يدل على أن النظام كان من أبرز صفات الحسن أنه استطاع بحسن دقته وهو موظف في ديوان السلاجقة ، أن يتجز في أربعين يوما ، عملا عجز نظام الملك نفسه عن إتمامه في عامين ؛ ما ذلك إلا لأنه لجأ



إلى النظام ، واستعان بالموظفين المختصين ، فنال النجاح . ولما أحدث نظام الملك الاضطراب في تقرير الحسن ، عجز هذا عن شرحه ، لأنه لم يعتد الفوضى ، ولم يعرف غير النظام .

على أن تنظيم الحسن المجتمع الزارى يعتبر خير دليل على حبه النظام والدقة ، فقد استطاع بفضل هذا التنظيم الدقيق أن يكون مجتمعا مرتبطا بعضه ببعض تمام الارتباط ، وأن يجعل جميع أعضائه يشعرون له بالتبعية ، ويقدمونه ، فقسّمهم إلى طبقات ، كل طبقة تشعر بكيانها ، وتحترم غيرها من الطبقات الأخرى ، وجعل من نفسه المشرف الأول عليها جميعا . ويكفيه فخرا أنه استطاع بمبايسته وحسن تنظيمه أن يخلق جماعة الفداوية ، وأن يعلمهم كيف يكونون آلة طيبة في يديه ، فقد كان لاغتيالهم السياسية المنظمة دويها الكبير في الشرق والغرب . وإنك لو تتبعته حركات الفداوية ودرست أساليبهم في تعقب ضحاياهم ، لأدركت الدقة والنظام ، اللذين بفضلهما نالوا ما نالوه من نجاح ، وحققوا كثيرا من أغراضهم .

وليس هذا فقط ، بل لقد وضع الحسن لنشر الدعوة الجديدة ، طرقا دقيقة تدل على اتخاذه النظام وسيلة للنجاح ، فتم على دعائه أن ينجحوا مناهج غاية في النظام والدقة : حتم عليهم أن يدرسوا نفسية المستجيب دراسة وافية ، كما يدرس الطبيب حالة المريض ، وأن يعالجوه بعد ذلك بالعلاج الذى يستطيع هضمه . متدرجين معه ، في نظام ودقة ، في درجات حددها لهم ، حتى يصلوا به في النهاية إلى أعلى الطبقات . وعندنا أنه لولا هذا التنظيم ، لما استطاع الحسن الصباح أن يخلق مجتمعه الزارى الفذ .



أما طموح الحسن الصباح، فكان من أهم صفاته ، يدل على ذلك أنه لم يستطع أن يعمل موظفا صغيرا من موظفي ديوان السلاجقة ، فأخذ يسعى للوصول إلى الوزارة نفسها ، مما كان سببا في طرده . وكذلك لم يشأ الحسن أن يعمل داعيا بسيطا من دعاة الإسماعيلية ، بل قاده طموحه إلى النهوض ، فقصده مصر ، حتى عينه المستنصر ، حجة ، له على خراسان . على أن الرجل الطموح لا تهدأ نفسه ، أو ترضى بما قرر لها ، ولذلك لم يكتف الحسن بوظيفة الحجة ، رغم أنها وظيفة سامية ، يتطلع إليها ألوف الدعاة ، ومن ثم سعى إلى خلق دولة تدين له بالطاعة ، فدعا نزار ابن المستنصر ، وأقام من نفسه نائبا عنه ، ولا ندرى من أين أتته هذه النيابة ، أمن المستنصر حين أخبره بأن نزارا ولى عهده ؟ أم أنه استبد بالامر دون الرجوع إلى أحد . والمهم أنه انفصل بدعوته الجديدة عن مصر ، فأصبح السيد المطاع بين إسماعيلية فارس وخراسان ، وما وراء النهر ، وبلاد الشام ، فكان بفضل طموحه يتمتع بكل ما يتمتع به الملوك والسلاطين والباطرة .

وهكذا كان طموح الحسن وما ناله من نجاح يدفعانه إلى الظفر بنجاح آخر ، وخلاصة القول أنه لولا طموح الحسن لظل موظفا بسيطا من موظفي الدولة السلاجقية ، أو لبقى داعيا بسيطا من دعاة الإسماعيلية في المشرق ، ولكن طموحه ، وقوة شخصيته الطاغية ذللا أمامه جميع العقبات ، حتى تربع على عرش الوزارة .

وقد كان لطموحه أثر كبير في أسلوب حياته . كان لا يريد أن يعترف لأحد بالزعامة عليه إلا إذا كان هذا الاعتراف مما يشبع طموحه ،



وكان يخضع للمستنصر خضوعاً أعمى ، ويرفض أن يخضع لبدر الجمالى ، لأن خضوعه للمستنصر يحقق آماله ، ويتفق مع ميوله المذهبية والسياسية ، وأما خضوعه لبدر الجمالى ، فكان مما لا يتفق وطبيعة طموحه ، أو تربيته الدينية . وقد دفعه طموحه إلى أن لا يخضع لبیت ابن عطاش ، رئيس الدعوة بالمشرق قبله ، وعلى الرغم من حسن علاقته بأحمد بن عبد الملك ، مهدد هو الأمور لنفسه ، كي يصبح زعيماً عليه . وهكذا كان طموح الحسن عظيم التأثير فى حياته .

أما تقوى الحسن الصباح ، فكانت مضرب المثل . كان الحسن تقياً ورعاً ، عمل على تنشئة مجتمعه على التقوى والزهد ، ولا غرو ، فقد كان مثال الرجل القانع ، كما أنه أنشأ أشياء أشياعه على التعلق بظاهر الشريعة ، ولم يأمرهم بالخروج عليها ، على ما ذهب إليه بعض ، فلم يشرب واحد من أتباعه الخمر ، وقتل واحداً من أبنائه لاتهامه بشرب الخمر والزنا <sup>(١)</sup> ، وطرد من « آلموت » رجلاً من أنصاره ، لا لسبب إلا لأنه كان يتسلى بمزماره ، كما نشأ بناته ونسائه على كسب حياتهن عن طريق الغزل <sup>(٢)</sup> ، مع أنه لم يكن فقيراً ، بل كان ذلك الرجل الذى « قطع أوداج الجبابرة » . ولا غرو فإنه لم يخرج من داره فى « آلموت » قاعدة ملكة طيلة حكمه الطويل (٤٨٣—٥١٨) سوى مرتين ، ولم يعمد إلى سطح القاعة غير مرة واحدة . وكان يقضى وقته فى الصلاة والتأليف فى أصول عقيدة الإسماعيلية

(١) Defremery : Nouvelles Recherches (J.A. 1849) pp.36-37

(٢) المستوفى : تاريخ جوزيدة ، ج ١ ص ٤٩٧ .



أو التعليق على كتب أهل السنة والرد عليها . وعلى الرغم من تمسك الحسن بظاهر الشريعة الإسلامية ، إلا أن كتابته في المذهب النزاري لم تكن تختلف كثيرا عن الأسس التي وضعها مؤسس المذهب الإسماعيلي ، عبد الله بن ميمون (١) . ولا غرو ، فقد كان كل منهما ، بالإضافة إلى تكوينه نظاما دينيا مياميا بارعا ، يعتقد أنه من كبار المصلحين الذين أنجبتهم الحياة (٢) .

وبهذه الصفات وغيرها ساد الحسن الصباح ، وأضحى من كبار الشخصيات في العصور الوسطى .

#### (ب) وفاة الحسن الصباح :

توفي الحسن الصباح في سنة ٥١٨ هـ ، بعد أن مهد الأمور لخليفته ، فعهد بالأمر بعده لرجل اشتهر بالإخلاص والتفاني في حب المذهب النزاري ، ذلك هو «الكيابزرجميد» (٣) . التي كان حاكما عاما على قلاع إقليم «رودبار» . ونقمهم من نزول الحسن الصباح إلى «الكيابزرجميد» عن العرش ، أنه لم يهتم بمبدأ الوراثة ، حتى لقد كان حبه المذهب للنزاري يطفئ على حبه أبناءه ، وغلا بعض فاعتقد أن الحسن قتل أولاده حتى لا يتقيد بمبدأ الوراثة ، ويبرهن لانصاره أن عنصر الوراثة ، هو الذي يجب أن يسود بين النزارية ، والحق أن مبدأ الوراثة لم يجد له في نفس الحسن أثرا ،

Ivanow. (J. R. A. S. 1931), p. 534 (١)

ibid. p. 535 (٢)

(١) الكيا . معناه الرئيس . وبزرجميد : معناه : من يهب الأمل والرجاء .



وكان هذا الزعيم رغب في أن يعطى لخلفائه درسا في جعل عنصر  
الصلاحية ، له مكان الصدارة بين النزارية .

وقد حاول الحسن قبل موته أن يجمع قلوب أتباعه حول خليفته  
«الكيابزرجميد» ، الذي كان موضع ثقته ، فأمرهم جميعا ، وبخاصة كبار  
أنصاره ، بالالتفاف حوله ، ومعاونته في كل صغيرة وكبيرة ، حتى  
يستطيع أن يحتفظ للنزارية بهيبتهم ومذهبهم (١) .

ومهما يكن من شيء ، فإنه بموت الحسن الصباح لم نعد نسمع شيئا عن  
أسرته ، وانتقل الأمر إلى أسرة «الكيابزرجميد» ، وظل فيها ردحا طويلا  
من الزمن ، حتى انتقل في أسرة نزار نفسه ، على ما ادعاه الحسن الثاني  
في سنة ٥٥٩ هـ .

#### (ح) مدى نجاح الحسن الصباح :

إن ما قام به الحسن الصباح من أعمال مجيدة لا يقل أثرا عن أعمال  
أبي عبد الله الشيعي ، الذي قامت الدولة الفاطمية على يديه ، فقد استطاع  
الحسن أن يكون دولته وسط بحر خضم من السفين ، الذين يحرقون على  
المذهب الإسماعيلي ، وبفضل قلاع الدعوة المنيعه ، وتلك الدور المعروفة  
بدور الدعوة ، استطاع الحسن أن ينشر المذهب النزاري وهو آمن  
مطمئن . ومهما يكن من شيء فقد استطاع الحسن الصباح أن يقيم دولته  
من القلاع القوية المتناثرة في جبال طبرستان ، وقوهستان ، وخراسان ،  
وجبال لبنان بالشام . واستطاعت هذه الدولة الفريدة في نوعها ، الشيعية  
المذهب ، أن تعيش قرنين من الزمان (٤٨٣ — ٦٥٤ هـ) كانت فيها موضع  
رهبة العالم السني .

(١) المستوفي : تاريخ جوزيدة ، ج ١ ص ٤٩٧ .



وتدين هذه الدولة النزارية في بقائها إلى الحسن الصباح ، فهو الذى سن سنة الاستيطان فى قلاع قوية منيعة ، وهو الذى نظم حدود الدعوة تنظيمًا روحيا وماديا متقنا ، ووضع الدعوة خطوات كان لها أثر بالغ فيما نالته من نجاح . ناهيك عن نظام الفداوية البديع ، وبفضل هذا كله استطاع الحسن أن يكوّن جاسوسية منظمة فى العالم السنى ، كما استطاع أن يخيف الملوك والسلاطين ، فحارب السلطان ملكشاه تارة ، واشتبك مع أبنائه تارة أخرى ، فنشأ خلفاؤه من الدعاة على غرار ، لا يعرفون سوى سياسة الخنجر والحديد والدم .

ويدين سمو أغاخان وأنصاره بوجودهم اليوم إلى الحسن الصباح هذا ، وهنا يجب أن نعرّف القارئ علاقة سمو أغاخان وأنصاره بالحسن الصباح وبالفاطميين : نحن نعلم أن نزار ابن المستنصر دعا لنفسه فى مدينة الإسكندرية ، وحارب أخاه المستعلى ووزيره الأفاضل شاهنشاه ولكنه انهزم ، وقبض عليه . وقتل فى القاهرة سنة ٤٨٨ هـ ، غير أن الحسن الصباح نادى بأنهم « ما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » ، وحول الدعوة فى بلاد المشرق إلى نزار ، وإلى أبنائه من بعده ، فخلق بعمله هذا ، فى تاريخ الإسماعيلية المشاركة ، دورا جديدا عرف بدور الست ( ٤٨٨ — ٥٥٩ هـ ) .

وليس من شك فى أن الحسن الصباح كان البطل الأول فى دور الست ، هذا ، وكان ينادى بإمامة نزار ثم إمامة أبنائه من بعده ، وينادى فى الوقت نفسه بأنه « حجة » هؤلاء الأئمة ، ونهج نهجه خليفته : السكيا بزرجميد ( ٥١٨ — ٥٣٢ هـ ) ، وابنه محمد الأول ( ٥٣٢ — ٥٥٧ هـ ) ، ولم يثر واحد



من هؤلاء الثلاثة على نزار وأبنائه، بل كانوا مثلاً علياً في حبهم والإخلاص لهم، كما كانوا مثلاً علياً في التقوى والأخلاق الطيبة، واستطاع هؤلاء أن يدعموا دولتهم، فأكثرُوا من إقامة القلاع في جبال فارس وطبرستان وخراسان والشام، وأنشأوا دور الدعوة، في كافة أرجاء العالم الإسلامي الشرقي.

ولما ولي الحسن الثاني (٥٥٧ — ٥٦١ هـ) عرش الزارية، أحدث بينهم ثورة جديدة، لم يكن لهم بها عهد، ولكنهم كانوا يترقبونها، فادعى أنه هو الإمام المستور من سلالة نزار، وأتى لاتباعه بسلسلة نسب تراها واضحة في كتابنا «أئمة الزارية أجداد أغاخان»، وفيها أثبت ارتباطه بالفاطميين.

ويجمع الزارية إجماعاً كلياً على أن الحسن الثاني من سلالة نزار، وبالأحرى من سلالة الرسول ﷺ، عن طريق فاطمة الزهراء، زوجة علي ابن أبي طالب، ولكن السفين لا يوافقونهم على ذلك، ويرمونهم بأفحش الاتهامات، وبهمنا هنا أن نقول: إن انتقال الأمر من الدعاة (٤٨٨ — ٥٥٩) إلى الأئمة، منذ سنة ٥٥٩ هـ، خلق دوراً جديداً في تاريخ الزارية، هو دور الظهور، واستمر رؤساء الزارية يتناوبون الرياسة على أنهم من الأئمة الظاهرين، منذ ذلك التاريخ حتى سنة ٦٥٥ هـ، حين قتل هولاكو خان ركن الدين خورشاه (٦٥٣ — ٦٥٥ هـ) آخر إمام من أئمة دولة الزارية.

وكان الزارية في ذلك الدور يدعون لإمام ظاهر، ولكن موجة من



الإلحاد قد غمرهم ، فأطاحت بتلك السمعة الطيبة التي خلقها شيوخ الجبل  
الأوائل ، وبخاصة الحسن الصباح ، وكاد هذا يجعل بسقوط دولتهم ،  
لولا أن ادعى واحد من هؤلاء الأئمة ، هو الحسن الثالث ، (٦٠٧ - ٦١٨ هـ)  
الدخول في المذاهب السنية ، واعتناق المذهب الشافعي ، وأرسل أمه  
لتحج إلى مكة المكرمة ، وتبرأ من المذهب النزارى ، ومن آبائه وأجداده ،  
فكان ما فعله الحسن الثالث من عوامل الإبقاء على الدولة ، لذلك سموه  
« المسلم الجديد » .

غير أن دولة النزارية تعرضت لما تعرضت له جميع الدول الإسلامية  
في القرن السابع الهجرى ، فطغى عليها جميعها هجوم المغول الخاطف  
الجارف ، فسقطت دولة دخوازم شاه ، بعد أن تأمر العباسيون والنزارية  
أنفسهم عليها ، وتبعتهما الدولة النزارية ، فسقطت في سنة ٦٥٤ هـ ، كما  
كانت نهاية العباسيين على يد هولاكو هذا في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .  
ولولا مهارة المماليك البحرية ، وانتصارهم على المغول في « عين جالوت » ،  
(٦٥٨ هـ) لتحول العالم الإسلامى جميعه إلى دويلات تخضع للعقل . وبفضل  
انتصار المماليك في « عين جالوت » استطاع الظاهر بيبرس أن يبتزع « قلاع  
الدعوة ، بالشام ، ويضمها إلى ملكه الواسع هناك (١) .

غشى النزارية موجة من التخفى والتستر ، بعد مذبحه التتار لهم في سنة  
٦٥٥ هـ . ويظهر أن أئمتهم اتخذوا من بلاد جنوبي فارس مستقرات دائمة

(١) انظر ما كتبه في كتاب « إسماعيلية الشام من أقدم العصور حتى اليوم »  
خاصا بقلاع الدعوة في الشام .



لهم ، حتى أننا نراهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (الميلاديين) في  
كرمان ، كما أنهم تصاهروا مع شاهات فارس ، ومن ثم نشأ إمامهم محمد  
حسين ، في مدينة محلات ، جنوبي فارس ، فسُمِّيَ المجسَّاتِي . وترجع  
أهمية هذا الرجل في تاريخ النزارية إلى أمور: منها ، أنه من سلالة جمعت بين  
الإمامة (عن طريق الانتساب إلى نزار) والملك (لأنه حفيد شاه فارس) .  
لذلك لم يكن بعيداً أن يسعى إلى الملك وزعامة العالم النزاری معا .

ومنها أنه اكتسب رضاء الانجليز في بلاد الهند ، إذ أنه حين فر  
من بلاد فارس ، اشترك مع الانجليز في حملتهم في بلاد السند وأفغانستان ،  
فساعده الانجليز مساعدات فعالة ، تراها في منحهم إياه لقب صاحب  
السمو ، ومنحهم إياه معاشاً سنوياً ضخماً أصبح يتمتع به هو وأبناؤه من  
بعده ، وأهم من هذا كله أن المحاكم الانجليزية بالهند ، حكمت على أتباعه  
في سنة ١٨٦٦م ، بوجوب دفع الضرائب التي يطلبها منهم ، باعتباره الرئيس  
الروحي عليهم ، فكان تبعاً لذلك السيد المطاع بين النزارية ، وأضحى  
الأغاخانات منذ وطىء سمو محمد حسين أرض الهند في سنة ١٨٤٣م ،  
يستقرون في تلك البلاد ، وأصبحوا من ذلك الحين وهم صنائع الانجليز ،  
ولهم الحق المطلق في التمتع بأموال أتباعهم .

وقد ولى سمو أغاخان محمد حسين ، ابنه سمو أغاخان علي شاه ، في  
سنة ١٨٨١م ، ولم يتمتع برياسته الروحية والزمئية أكثر من أربعة  
أعوام ، ومات في سنة ١٨٨٥م . وكان مغرمًا بركوب الخيل ،  
والفروسية ، وكثرة الرحلات في جميع أنحاء المعمورة ، وزياراته



الكثيرة لاتباعه في آسيا وإفريقية مشهورة معروفة . وقد عينه البريطانيون عضوا في مجلس الحكومة الأعلى في بمباي . ومات وعمره أربع وخمسون سنة (في سنة ١٨٨٥ م).

وقد ورث ابنه سمو أغاخان الحالي جميع هذه الصفات ، فولى الأمر ، ولم يكن قد تجاوز الثامنة من عمره ، وكان الوصى عليه رجل بريطاني . ولد سمو أغاخان الحالي في سنة ١٨٧٧ م ، وأسمى محمد شاه ، وله شهرته الكبيرة في النهضة الثقافية بالهند بل في النهضة الإسلامية في العالم .

ويلتف حوله كثير من أتباعه ، الذين يتسمون باسم الخوجات ، Khodjas أى الرؤساء الدينيون ، أو باسم الأغاخانية ، نسبة إليه ، وهم في الحق النزارية الحديثون . وليس من شك في أنهم لا يمثلون جميع الإسماعيلية اليوم . فهناك أشياع المستعلي ، أخى نزار سابق الذكر ، الذين يحملون اسم « البهرة » ، وهؤلاء لا يقللون عددا عن النزارية ، أتباع أغاخان ( الخوجات ) ، ولذلك يخطئ من يقول : إن أغاخان زعيم الإسماعيلية قاطبة ، وإنما هو زعيم لطائفة منهم فقط . بعد هذا كله نستطيع أن نقول : إن أغاخان وأتباعه اليوم يدينون بوجودهم إلى الحسن الصباح ، أو بعبارة أخرى : إن هؤلاء جميعا من غرس يده .

وبعد فلعلمنا نكون قد أعطينا صورة - نرجو أن تكون واضحة - عن تأسيس « الدولة النزارية » ، و« الدعوة الجديدة » ، على يد الحسن الصباح زعيم الإسماعيلية في فارس .



## قسم الملاحق

### ملحق (١)

« البشارة بتسليم قلعة شاه دز (١) » .

« بسم الله الرحمن الرحيم : وهو الوزير الأجل ، مجد الدين ، شرف الإسلام ،  
ظهير الدولة ، زعيم الملة ، بهاء الأمة ، نحر الوزراء ، أبو المعالي هبة الله بن محمد بن  
المطلب ، رضى أمير المؤمنين . أما بعد .

أطال الله بقاء الوزير وألقابه ، وأدام تأييده وتمهيده ، وأحسن من عوائده  
مزيده . فان الله تعالى يقول ، وقوله الحق : « يأيتها الذين آمنوا من يرتد منكم عن  
دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ،  
يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء  
والله واسع عليم (٢) » .

ولقد أمانا الله - وله الحمد - من هذا الفضل ما صرنا به أطول الملوك في  
الإسلام . باعاً ، وأعزهم في الذب عن حريمه أشياء وأتباعاً ، وأشدهم عند الحفيظة  
له بأساً ، وأظهرهم من درن الشبهة فيه لباساً ، وأقصدهم في اختفاء الحق المبين  
أنحاء ، وأثقلهم على أعداء الله وأعداء الدين المنير وطاعة وإنحاء . فلا تتجه عزائمنا

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٢ - ١٥٦ . أرسل السلطان محمد بن  
ملكشاه هذه الرسالة إلى وزير الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ - ٥١٢ هـ) ببغداد ، يبشره  
بسقوط هذه القلعة ، والقبض على ابن عطاش والتشقي من ممالتيه .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٤ .



لهم في ذلك « إلا حققنا الفيصل وطبقنا المفصل (١) » ، « وفربنا الفرى » .  
 و« اقتدحنا من الزناد الورى » ، وأعدنا الحق جذعا [ من ١٥٣ ] وأنف الباطل  
 مجدعا ، نعمة من الله اختصنا بها من دون سائر الأنام . وأحلنا من التفرد بمزاياها  
 في الذروة والسنام .

فالحمد لله أعلى ذلك حدا يوازي قدر نعمه ، ويمتري الزيد من مواد كرمه .  
 ثم الحمد لله على ما يسرنا له من إعزاز الدين ، ورفع عماده ، وقمع أضداده .  
 واستئصال شأفة الباطنية المناهضة لعباده ، الذين استكروا (٢) العقول الفاسدة ،  
 فاستغفروها بأباطيلهم . واستغفروها بأضاليلهم ، واتخذوا دين الله هزوعا ولعبا ، بما  
 لفقوه من زخارف أقاويلهم ، سيما ما سقى الله من فتح الفتوح ، وهيا أسبابه من  
 النصر الممنوح بأخذ قلعة « شاه دز » ، التي شتم بها الجبل وبذخ ، وكان الباطل  
 باض فيها وفرخ وكانت قذى في عيون الممالك ، وسيما إلى التورط بالمسلمين في  
 المساوى والمهاك ، ومرصدا عليهم بالشرارة (٣) والنكارة ، حيثما ينحونه من المسالك .  
 وفيها ابن عطاش (٤) الذي طار عقله في مدرج الضلال وطاش ، وكان يرى  
 الناس نهيج الهدى مضلة ، ويتخذ السفر المشحون بالأكاذيب مجلة ، ويستبيح دماء  
 المسلمين هدرا ، ويستحل أموالهم غدرا ، فكمن من دماء سفكت ! وحرمت انتهكت !  
 وأمول استهلكت ! وترات (٥) تجرعتها النفوس فما استدركت ! ولولم يكن منهم

(١) أمثلة تقال عند التوفيق التام في الشيء .

(٢) أى استضعفوها .

(٣) أى أنها مصدر الشر والمنكر .

(٤) الزعيم النزاري الثاني ، وهو أحمد بن عبد الملك بن عطاش . مات مقتولا

في سنة ٥٠٠ هـ على يد السلطان محمد بن ملكشاه .

(٥) جمع ترة وهى القتلة التي لم يدرك رمها .



إلا ما كان عند حدثان أمرهم بأصفهان ، من اقتناص الناس غيلة ، واستدارجهم خديعة ، وقتلهم إياهم بأنواع العقوبات قتلة شنيعة ، ثم فتكهم عودا على بدء بأعيان الحشم ، وخيار العلماء ، وإراقهم ما لا يعد ولا يحصى من محرمات الدماء ، إلى غير ذلك من هنات يمتعض الإسلام لها أى امتعاض . وما الله عن المسلم أن يتحيز لها براص ، لكان حقا علينا أن تناضل عن حمى الدين ، وتركب الصعب والذلول في مجاهدتها ولو إلى الصين .

وهذه القلعة كانت من أمهات القلاع ، التي اقطع اليها رءوس الباطنية كل الاقطاع ، فكانت تبت الحبائل منها في سائر الجهات والأقطار ، وترجع اليها نتائج الفساد رجوع الطير الى الأوكار . وهي في العزة والمنعة مثل مناط (١) الشمس التي تنال منها حاسة البصر دون حاسة اللمس ، ترد الطرف كليلا ، وتعد العدد الدثر (٢) في محاصرتها كليلا . وكأنها وهي أعلى شاهق ، نزلت على الجبل من حالق (٣) ، فهي بهذه الصفة مقابلة لبلدة «أصفهان» ، التي هي مقر الملك ، ودار الثواء ، وأولى البلاد بتطهيرها من احتياج الفتن واختلاف الأهواء . ونحن نقيم بها طول هذه المدة المديدة ، وتدبر أمرها الى ما يصونه الرأي من الحيلة والمكيده .

وأما منا من المستخدمين وأصحاب الدواوين نفر تصفى إليهم أفئدتهم ، فيما كانوا عليه من مخالفة الدين ، يتوصلون بمكرهم إلى نقض ما يبرم ، وتأخير ما تقدم ، ويوهمون أنها من النصائح التي تقبل وتلزم ، حتى تطاول دون ذلك الآن ، وبان من القوم المعتقد . واتضح لنا من صائب التدبير ما يعتمد .

وكنّا في خلال هذه الأحوال ، لم نخل هذه القلعة من طائفة تهزم حمية الدين

(١) كناية عن صعوبة الوصول إليها .

(٢) الدثر : الكثير .

(٣) الحالق : الجبل المنيف الذي لانبات فيه .



من الجند ، ينتهون من التضيق عليها إلى كل غاية من الجهد ، فيتوفرون على محاصرتهم ومصابرتهم ، ويتشرون لمزاوتهم ومصاولتهم ، ويقعدون لهم بكل مرصد ، ويعدون كل منزل ومصد ، حتى انقطعت عنهم المواد ، وخانتهم المير والأزواد ، واضطروا إلى أن نزل بعضهم على حكم الأمان ، بعد الاستيثار والاستئذان ، فأمرنا بتخليه سربهم (١) ، وإيمان سربهم (٢) . وسلم الشطر من القلعة لخلوه من الفتنة النازلة .

واعتصم ابن عطاش بقلعة أخرى تسمى دالان ، مع نخب أصحابه من المقاتلة . وهذه القلعة هي أمنع المواضع من القلعة وأحصنها ، وأوعرها مسلكا وأحزنها (٣) ، فقد نقل إليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستظهر به من السلاح والذخيرة ، على أن يلبثوا بها أياما معدودة فينزّلوا ، ويبدل لهم الأمان مثل ما بدّل للاولين ، فيتحوّلوا كل ذلك بوساطة من قدمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين ، وفي باطن الأمر خلاف ما يتوهم من الإعلان ؛ وذلك أنهم قدروا أن ماسلم من القلعة يترك على عمارته ومكانته ، وما امتنع به من القلعة لا يقدر عليه لمنعته وحصانته ، فهم يتوصلون بتمكنهم من ذلك الحيل إلى سرقة ماسلموه آتفا ببعض الحيل (٤)

هذا وقد كفّوا مؤن من نزل من الأكلة ، وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة . ففطنا لما عمدوا ، وعليه اعتمدوا ، وأمرنا في الحال بالقلعة المسماة فنسفت نسفا ، وخسفت خسفا ، وصير سفلها علوا ، كما كان علوها خلو .

(١) أى بإطلاق سراحهم . والسرب : الطريق والوجهة والصدر ،

(٢) السرب : القطيع من الظباء وغيرها . كناية عن ضعفهم .

(٣) الحزن : الأرض الغليظة — جمعها حزون .

(٤) الحيل : القوة ، أو المااء المستنقع في بطن الوادى .



ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين ، حتى ساقهم الحين<sup>(١)</sup> المتاح الى حين ، فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب ، ان الشقاء على الأشقين مصبوب . ووافق ذلك حلول الموعد لنزول باقى القوم من « دالان » ، فأبوا إلا المطل والليان ، فلما مضت أيام على ذلك أظهروا التمرد والعصيان ، فصاروا كما قال الله تعالى : « ومن يرد الله فتنته فلا تملك له من الله شيئا ، أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر ما فى قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم<sup>(٢)</sup> » .

فعند ذلك استخرنا بالله تجريد العزائم لهذا الجهاد الذى هو عندنا من أنفس العزائم ، ولا نخاف فيه لومة لائم . وأهبطنا بن حضرنا من العساكر المنصورة إلى الإحداق بالقلعة المذكورة ، يوم الثلاثاء ثانى ذى الحجة<sup>(٣)</sup> ، فنزلوا لغنائمها محتشدين ، ولصدق اللقاء متشمرين متجردين ، وجرت مناوشة عشية هذا اليوم أثخنتم عدة من أولئك القوم ، وبات المسلمون ليلتهم على أضمر<sup>(٤)</sup> والملاحدون لحما على وضمر . فلما تنفس الصبح وغردت الديوك الصبح ، وطوى الليل رداءه ، ورفع البحر لواءه ، نصر الله الحق ، وأدال الدين ، وساء صباح المنذرين ، وغدت جيوش النصر بدا واحدة ، وكلمة على التغافر والتظاهر مساعدة تسطو بالقوة للمتحصنة بالقلعة سطوة الليث الهصور ، وكأنهم طاروا بأجنحة الصقور على صم الصخور ، فلم يلبثوا قبل ذرور<sup>(٥)</sup> الشمس بقرنها ، وأخذها الناصع من لونها ، أن أخذوا القلعة عنوة

(١) الحين والحين : الحين : الهلاك والخيمة ، والحين : المدة والزمن .

(٢) سورة المائدة آية ٤٥

(٣) من سنة ٥٠٠ هـ .

(٤) [اظننها اطم] وهو الحصن أى أن جنوده كانوا كانوا محصنين

(٥) ذرور ، من ذرر أى طلع ، والمعنى طلوع .



وقهرا ، وأجروا من ماء الباطنية الملوحة نهرا ، فلم يثقل (١) منهم وائل ، ولا أخطأهم من السيوف البواتر وائل . وأمرنا في الحال بهدمها ، والتعفية على ردمها ، فلم يبق منهم نافع ضربة (٢) ، ولا أثر من نسمة ، ولا مدر (٣) على أكمة .

وأسر ابن عطاش ، رأس الجالوت ، وولى الطاغوت ، الذى كان ممن قال الله تعالى فيه : « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار » ، فجعلناه وولده المقرون به ، مثلة للنظارة ، وعبرة لأولى الأبصار . « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .

هذا الفتح المبين ، والعزة التى تتلى ، لأنها من الدهر العين ، والنعمة التى تمت وعمت ، وأحنت بالنعمة على أعداء الله ورسوله وطمت ، وما ذاك إلا من بركات عقائدنا الناصعة فى موالاته الدولة العباسية ، ظاهر الله مجدها ، وما يلتزمه فى فرجتها من فضل الناصحة والمشايع فيها ، نحن نسطو بالأعدى ، ونكفى من اعتراض النوائب كل العوادي ، ونسوس الدهاء من الخواضر والبوادي . وهذه البشرى التى يهناً بها الإسلام ، وترفع بها من الإشادة بذكرها فى الحافقين الأعلام . أمرنا بنشرها فى الأقصى والأدنى ، لا سيما الدارة العزيزة [ أى دار الخلافة فى بغداد ] ظاهر الله مجدها ، من يبشر بمثلها ويهناً .

وأمنهنا بالأمير عز الدولة إلى إيصال هذه البشارة إلى الداويان العزيز النبوى . — أعلى الله جده — فندب من قبله من يقوم بهذه الخدمة ، ويعلمه ما نحن نصدره من الاعتراف بقدر هذه النعمة ؛ وهذا الأمير كان من المندوبين أولا وآخرها لمحاصرة

(١) وال يدل من الشىء = طلب النجاة منه ، ووأل اليه : لجأ .

(٢) ضربة : جرة

(٣) المدر = الطين الذى لا يخاطه رمل . والمعنى الانتهاء التام عليهم .



هذه القلعة ، فأبلى فيها بلاء حسنا جميلا ، وأغنى غناء لم نجد له فيه عديلا . ولذلك اختصناه بهذه المزية ، وآثرناه ببلاغ هذه البشري الهنية . والمعول تام على الاهتمام الوزيرى فى إلحاقها إلى المقار المعظمة النبوية [الخلافة العباسية] ، ليعلم من صدق نهضتها بالخدمات . وعندنا السعاة فى إعزاز الدين من أوجب المهمات ، ما يزلنا من شريف المراضى ويفرض لنا من المحامد والمآثر القائمة على الأبد أكرم الأحاظى ، وأن يتقدم فى حق المبشر ما هو على الدولة — ثبها الله — متعين ، حتى يعود ولما يستحسن من موقع هذه البشارة عليه أثر بين .

والوزير أولى من أغتم هذه المبكرمة ، فاعتنقها ، وتمكن من عصمة الرأى السديد ، فاعتلقها (١) ، واستحمد إلينا بما يتكلفه من جميل مساعيه ، ويتكلفه بالاهتزاز والاهتمام فيه من سائر ما يلاحظه من الأمور ويراعيه . إن شاء الله تعالى . وكتب بالأمر العالى شفاها سنة خمسائة .

### ملحق (٢)

تأمر نزارية الصباح على حليفهم رضوان صاحب حلب

يقول ابن الفرات (٢) :

« كان للملك رضوان كاتب ديلمى ، وكان يسكن بالقلعة ، وكانت داره قريبة من ذخيرة الخطب والمسجد الكبير ، الذى يعرف بالمقام . وكان له فى داره مغارة ، وأنه عمل على أخذ القلعة . وصار إلى أصحاب أبى طاهر الصايغ الباطنى ونائبه ، وسأله أن يهيء له رجلا يصعدهم للقلعة لعله يملكها . فهبأ له نائب أبى طاهر الباطنى جماعة من الباطنيين . فكان يصعد إليه كل يوم رجلا ورجلين وأكثر فيرسل من يصعد

(١) اعتلقها : أحبها .

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ ورقة ٥٨ — ٥٩



لاليهم منهم إلى داره ، ويدخله المغارة ، ويقوم لهم [ج ١ ورقة ٥٩] بالطعام والشراب ، إلى أن بلغ عدد الذين صعدوا إليه ثلثمائة رجل وستون رجلا ، وهو مستحفظ بالقلعة .

وكان له صديق من أهل سرمين ، وكان ذلك الصديق من الباطنية ، فجاء إلى أبي سعد ، وقال له : أريد أن أبيت عندك . وكان لأبي سعد « الإسباسلار » (١) دار بحلب ، فبات عنده ، فلما خلا معه ، قال له الباطني : قد وجب عليّ نصحك ؛ فقال : وما ذلك يا أخي ؟ فقال : أحب أن تكون أنت ومن لك بالقلعة في المدينة ، فقال : لأي شيء ؟ فقال : هذا السكاتب الديلمي هو من أصحابنا ، وقد حصل في القلعة ثلثمائة وستين رجلا ، وقال : جئنا إلى حلب في خمسمائة رجل . وفي هذه الليالي يقفز في القلعة وبأخذها . واستعطف « الإسباسلار » على كتمان ذلك .

فصار أبو سعد « الإسباسلار » إلى باب الملك رضوان ، وكان يوما صايفاً ، ورضوان نائم . فقال للخادم : قل له : إن أباسعد « إسباسلار » ... يريد أن يجتمع بك الساعة . فخرج الخادم فقال : هو نائم ، لا أقدر عليه . فقال : ادخل عليه وعرفه حاله ، وأيقظه ولو كان مع زوجته . وأخرجه ولو كان عريانا . فدخل الخادم إلى الملك رضوان ، وأيقظه ، وقال له مقالة أبي سعد « إسباسلار » ، وقال : لا بد له من لقائك ، فخرج الملك رضوان إليه ، فقص عليه القصة ، فسك الملك رضوان بنذيل أبي سعد « إسباسلار » ، وقال له : دبرني برأيك ! فقال له : أريد أن تقدمني على جميع من في القلعة ، وينادي مناديك أن جميع من بالقلعة يأترون بأمرى ؛ فأمر الملك رضوان بذلك .

فترى أبو سعد « إسباسلار » ، وأمرهم بالعرض في الميدان ، فما بلغ العصر ، حتى تكامل في الميدان خمسمائة جندي بالسلح ، فأنكر السكاتب ذلك . وجاء إلى الملك رضوان ، وقال له : إن هذا الرجل ليس أهلا لما جعلت له ، فقال له الملك

(١) من أكبر رتب كبار القواد ورؤساء الجيوش .



رضوان : كنت وعدته بذلك قديما ، وهو خبير بالرجال . ففضب الكاتب ، ومضى إلى منزله ، فوضع على باب المغارة التي في داره حصيرا غطاها بها ، ونصب عليها تختا وجلس فوقه .

فلما كلمت الرجال هجم الملك رضوان وأبو سعد « اسباسلار » على الكاتب ، فأخذه أبو سعد « اسباسلار » ونحره ، وقطع رأسه ، وشال التخت ، ورمى به إلى الدين في المغارة من الإسماعيلية الباطنية ، وناداهم أننا قد علمنا بما كان من هذا الكاتب ، وما فعل من إخفاكم ، فإن سلمتم أنفسكم وإلا أهلكناكم عن آخركم . فاضطربوا ، وعلت أصواتهم . ففزع الملك رضوان ، وأعطاهم أمانا على أنه كلما خرج منهم رجل يستلمه جنديان ، فيخرجانه من باب العراق إلى ظاهر البلد ، ويطلقان سراحه . وسم بذلك الذين كانوا في المدينة من الباطنية ، فتهاربوا عن آخرهم ، وأخذ من المغارة أسلحة كثيرة » .

### ملحق (٣)

محاولة نزارية الصباح الاستيلاء على قلعة الشريف من صاحبها ايلغازى<sup>(١)</sup> .

« خرج رسول أبي محمد ، رئيس الإسماعيلية بحلب ، إلى مardin ، إلى عند الأمير نجم الدين ايلغازى ، ومعه هدية سنوية ، وقود كثير . ومعه كتاب من أبي محمد . وكان بينه وبين ايلغازى مصادقة ، يقول له فيه : إننا ضيوفك ، وقد كثرت قتلنا ، ونريد أن تمن علينا بإطلاق قلعة الشريف ، لتتخذها مسكنا وملادا نأوى إليه .

(١) ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٢ ورقة ٣٩ - ٤٠ . وكان ذلك



فقال الأمير ليلغازي الرسول من غير توقف ولا تؤدة : والله قد أمرت البارحة بهدمها ، ولو تقدم قدومك لسلمتها إليكم ، والتفت إلى كاتبه وقال : اكتب له كتابا بتسليم القلعة إليهم إن كانت على حالها ، وفهم الكاتب مراده ، فنبأ بالرسول .

وأمر الأمير ليلغازي كاتبه أن يكتب على جناح طائر يهدم السور الذي بينها وبين حلب ، ويقصر سورها الخارجي ، ويصيب جماعة من أهل الحبوس [السجون] الذين وجبت عليهم الديات ، ويشاع أنهم كفوا فيها ، وأرادوا تسليمها إلى الفرنج ، وأن يصعد إليها جماعة من وجوه الحليين يبيوتهم وأهلهم ، وأن لا يؤخر ذلك . وكتب للرسول كتابا في آخر النهار ، وأرسله ، فجاء فوجدها قد أنهدمت ، وقد سكنها جماعة من وجوه الشيعة والسنة .

فأعاد الرسالة : « نحن نأخذها ونعمرها » . فقال لهم : هذا ثغر قريب من الفرنج ، وقد سعد إليه وجوه المدينة وأهل الدين ، ولا يمكنني مناصبتهم (١) ، فإني أخاف أن يفسد حال البلد . ولو أنكم أتيتموني في السر ، ولا تظهرون ذلك ، لكنت بلفتكم غرضكم . . . .

وجرى في أيام أتابك زنكي كذلك ، وطلبها منه فاعتذر بأن أهل الدين قد سكنوها ، ولا يمكنني أن أجعل على نفسي شناعة . قال : لما أخذ أبو محمد (٢) إلى ليلغازي يطلب قلعة الشريف ، شاع هذا الخبر في حلب ، فاجتمع جماعة من الحليين وقالوا : إن حصلت هذه القلعة في أيدي الإسماعيلية ملكوا حلب . والصواب أن

(١) معاداتهم .

(٢) كبير الدعاة في الشام ، وهو الذي تولى بعده راشد الدين سنان مقدم الدعوة في الشام ، في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكان له شأن يذكر مع الصليبيين ونور الدين ، وصلاح الدين نفسه .



تجتمع وغرب السور الذي بينها وبين حلب ، ونسد الخندق ، ونجعلها من جملة البلد . فجمعهم ابن الحشاش [ شحنة حلب ] ، وغربها . وبهذا السبب قتلته الإسماعيلية .

#### ملحق (٤)

« مبدأ التعليم عند الحسن الصباح ، على ما رواه الشهرستاني (١) ،

يقول الشهرستاني في الحسن الصباح : « ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلى العربية ، ولا يعاب على الناقل . والوفى من اتبع الحق واجتنب الباطل . فنبدأ بالفصول الأربعة » التي ابتدأ — الحسن — الدعوة بها وكتبها عجمية فعربتها .

« قال (الحسن) العفى في معرفة البارئ تعالى أحد قولين : إما أن يقول : أعرف البارئ تعالى بمجرد العقل والنظر ، من غير احتياج إلى تعليم معلم . وإما أن يقول : لا طريق إلى المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم صادق . قال (الحسن) : ومن أفتى بالأول ، فليس له الإنكار على عقل غيره ونظره ، فانه متى أنكر فقد علم ، والإنكار تعليم ، ودليل على أن المنكر عليه يحتاج إلى غيره . قال (الحسن) : والقسمان ضروريان ، فإن الإنسان إذا أفتى بفتوى ، أو قال قولاً ، فإما أن يقول من نفسه أو من غيره ، وكذلك [من] اعتقد اعتقاداً ، فإما أن يعتقد من نفسه أو من غيره . هذا هو الفصل الأول ، وهو كسر<sup>هـ</sup> على أصحاب الرأي والعقل .

وذكر [الحسن] في الفصل الثاني أنه إذا ثبت الاحتياج إلى العلم ، أفصلح كل معلم على الإطلاق ؟ أم لابد من معلم صادق ؟ قال : ومن قال : إنه يصلح كل معلم ما سأل له الإنكار على معلم خصمه ، وإذا أنكر ، فقد سلم أنه لابد من معلم معتمد



صادق . . قيل : وهذا كسر على أصحاب الحديث .

وذكر [الحسن] في الفصل الثالث أنه إذا ثبت الاحتياج إلى معلم صادق ، أفلا بد من معرفة المعلم أولاً والظفر به ، أم جاز التعلم من كل معلم ، من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه ؟ والثاني رجوع إلى الأول . ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا بمقدم ورفيق ، فالرفيق ثم الطريق ، وهو كسر على الشيعة .

وذكر [الحسن] في الفصل الرابع . أن الناس فرقتان : فرقة قالت : يحتاج في معرفة الباري تعالى إلى معلم صادق ، ويجب تعيينه وتشخيصه أولاً ، ثم التعلم منه ، وفرقة أخذت في كل علم من معلم وغير معلم . وقد تبين بالمقدمات السابقة أن الحق مع الفرقة الأولى ، فرأسهم يجب أن تكون رأس المحققين .

وإذا ثبت أن الباطل مع الفرقة الثانية فروساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين . قالوا : وهذه الطريقة التي عرفتنا الحق بالحق معرفة مجحولة ، ثم تعرف بعد ذلك الحق بالحق معرفة مفصلة ، حتى لا يلزم دوران المسائل ، وإنما عني بالحق ههنا الاحتياج ، وبالحق المحتاج إليه . وقال [الحسن] . بالاحتياج عرفنا الإمام ، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج ، كما بالجواز عرفنا الوجوب ، أي واجب الوجود ، وبه عرفنا مقادير الجواز في الجائزات .

ثم ذكر [الحسن] فصولاً في تقرير مذهبه .... منها فصل الحق والباطل ، والصغير والكبير . يذكر [فيها] أن في العالم حقاً وباطلاً . ثم يذكر أن علامة الحق هي الوحدة ، وعلامة الباطل هي الكثرة . وأن الوحدة مع التعليم ، والكثرة مع الرأي ، والتعليم مع الجماعة ، والجماعة مع الإمام ، والرأي مع الفرق المختلفة ، وهي مع رؤسائهم . وجعل الحق والباطل ، والتشابه بينهما من وجه ، والتمايز بينهما من وجه التضاد في الطرفين ، والترتب في أحد الطرفين ، ميزانا يزن به جميع ما يتكلم فيه .



قال : وانما أنعمت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفي والإثبات أو النفي والاستثناء . قال : فما هو مستحق النفي باطل ، وما هو مستحق الإثبات حق ، ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب ، وسائر المتضادات . ونسكته أن يرجع في كل مقالة وكلمة إلى إثبات المعلم ، وأن التوحيد هو التوحيد والنبوة معا حتى يكون توحيداً ، وأن النبوة هي النبوة والإمامة معا حتى تكون نبوة . وهذا هو معنى كلامه .

وقد منع [الحسن] العوام عن الخوض في العلوم ، كذلك الخواص عن مطالعة الكتب المقدمة ، إلا من عرف كيفية الحال من كل كتاب ، ودرجة الرجال في كل علم . ولم يتعد بأصحابه في الإلهيات عن قوله : إن إلهنا إله محمد ، وأنتم تقولون : إلهنا إله العقول ، أي ما هدى إليه عقل كل عاقل ، فان قيل لواحد منهم : ما تقول في الباري تعالى ؟ وأنه هل واحد أم كثير ؟ عالم قادر أم لا ؟ لم يجب إلا بهذا القدر : « إن الهى إله محمد ، وهو الذى أرسل رسوله بالهدى . والرسول هو الهادى إليه »

يقول الشهرستاني : « وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة ، فلم يتخطوا عن قولهم : أفتحتاج إليك ، أو تسمع هذا منك ، أو تعلم ذلك عنك ؟ وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج ، وقلت : أين المحتاج إليه ؟ وأين [يعرف] في الإلهيات ، وماذا يرسم في العقولات ؟ إذ المعلم لا يعنى لعينه وإنما يعنى ليعلم ، وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقيد ، وليس يرضى عاقل بأن يعتقد مذهبا على غير بصيرة ، وأن يسلك طريقا عن غير بينة . فكانت مبادئ الكلام تحكيمات ، وعواقبها تسليمات » فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ۝ (١)



ملحق ٥

مناظر بين الغزالي ، حجة الإسلام ، وأحد أتباع الحسن<sup>(١)</sup>

انظر الغزالي وهو يناقش أحد التزارية في مبدأ « التعليم » ، فيرد عليه التزاري بقوله : « إن هذا المعلم الغائب ، وإن كنت لم أر منظره ، فقد سمعت خبره ، كالليث إن لم أره ، فقد رأيت أثره ، ولقد رأيت والدتي إلى أن ماتت ، ومولانا صاحب قلعة ألموت<sup>(٢)</sup> يثنيان عليه ثناء بالغاً ، حتى قال : إنه المطلع على كل ما يجري في العالم ، ولوعلى ألف فرسخ<sup>(٣)</sup> ، فأكذب والدتي وهي العجوز ، العفيفة السيرة ، أو مولانا وهو الإمام الحسن السيرة والسريرة • ؟ كلا ! بل هما شاهدان صادقان . كيف ؟ وقد طابقهما على ذلك جميع رفقاء من أهل دامغان<sup>(٤)</sup> وأصفهان ، ولهم الأمر المطاع ، وفي حكمهم سكان القلاع • أفترى أنهم متخدعون وهم الأذكاء ؟ أو مقيمسون<sup>(٥)</sup> وهم الأتقياء ؟ هيهات هيهات . ! دع عنك الغيبة ! فإن مولانا يطلع على ما يجري بيننا من غيرية • إذ لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، فأخشى أن أتعرض لمقتله بمجرد السماع والإصغاء ، فاطلوطومار الهذيان •

(١) الغزالي : القسطاس المستقيم ، ص ٦٦ — ٦٨ .

(٢) المقصود هو الحسن الصباح . ( ٥١٨ هـ ) .

(٣) الفرسخ : ثلاثة أميال أى نحو ثمانية كيلومترات .

(٤) دامغان : بلد كبير بين الري وبنسابلور • وهو قصبة قومس — على ماسبق •

(٥) من نكس عليه الأمر تشبه عليه ، وتنمس عليه الأمر : تلبس والتبس عليه<sup>٢</sup> .



## أهم مصادر الكتاب مرتبة حسب أمرف الرجاء

بالنسبة لأسماء مؤلفيها

- ابن الأثير : ( ٦٣٠ هـ = ١٢٣٨ م ) ، علي بن أحمد بن أبي الكرم  
(١) «الكامل في التاريخ» (طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ هـ) .  
الأفغاني : السيد جمال الدين  
(٢) «الرد على الدهرية»  
ترجمة الإمام الشيخ محمد عبده (طبعة مصر سنة ١٣٤٤ هـ)  
أوليري دي لاسي : O'Leary : de Lacy  
(٣) A Short History of the Fatimid Khaliphate  
(London, 1923)  
إيفانوف : فلاديمير Ivanow : Valadimir  
(٤) اين كتاب مستطاب عن حقيقة مذهب إسماعيل ، مسمى كلام بير Kalam Pir  
يعني هفت باب (نمباي سنة ١٩٣٤ م)  
(٥) «دو حقيقة مذهب إسماعيلية» مسمى دو حقيقة دين  
(تأليف شهاب الدين شاه. ونشر إيفانوف، سنة ١٩٣٣ م)  
بارتولد : ف. Barthold  
(٦) «تاريخ الحضارة في الإسلام» . نشر حمزة طاهر (مصر سنة ١٩٤٣ م)  
براون : إدوارد ، ج. Browne. Edward George  
(٧) Literary History of Persia (3 volumes)  
(٨) تاريخ طبرستان :  
لابن سفنديار . ترجمة براون  
برشم : ماكس فان Berchem : Max Van  
(٩) «Epigraphie des Assassins de Syrie» (J.A. 1897)  
البستاني :  
(١٠) دائرة معارف البستاني (بيروت سنة ١٨٧٨ هـ)



البغدادي : (٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) . أبو منصور عبد القاهر بن طاهر

(١١) « الفرق بين الفرق » (القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م)

بلوخيه : ل. Blochet : L.

(١٢) Le Missianisme dans l'Heterodoxie Musulmane  
(Paris 1902 A. D.)

الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني (بعد سنة ٦٧٣ هـ)

(١٣) اختصر كتاب « تاريخ دولة آل سلجوق » لمؤلفه عماد الدين الأصفهاني .

(مصر سنة ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م)

اليروني (٤٤٠ هـ) أبو الريحان محمد بن أحمد .

(١٤) « الآثار الباقية عن القرون الخالية » (ليبنج سنة ١٩٢٣ م)

تيلور و. س. Taylor : W.C.

(١٥) The History of Mohammedanism & Its Sects  
(London, 1839)

جوانفيل Joinville

(١٦) Histoire de St. Louis (Textes Originales par  
Natalis de Wailly (Paris, 1885)

ابن الجوزي (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م) . أبو الفرج عبد الرحمن .

(١٧) « تلبيس إبليس ، أو نقد العلماء » (مصر سنة ١٣٤٠ هـ) .

(السط) ابن الجوزي (٦٥٤ هـ = ١٢٥٧ م) أبو المظفر قزوغلي .

(١٨) « امرأة الزمان في تاريخ الأعيان » مخطوط

جويار ستانلاس Guyard Stanislas

(١٩) Un Grand Maître des Assassins au Temps de  
Saladine (Paris, 1877)

حسن إبراهيم حسن (الدكتور)

(٢٠) الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (مصر سنة ١٩٣٢)

(٢١) عبيد الله المهدي ، بالاشتراك مع الدكتور طه أحمد شرف



حسين الهمداني (الدكتور)

Some Unknown Ismaili Authors & their Works (٢٢)

(J. R. A. S. 1933)

الحامدي اليماني : (محمد بن مالك بن أبي الفضائل)

(٢٣) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» ، مصر ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٩ م

ابن خلدون (٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن علي .

(٢٤) «العبر وديوان المبتدا والخبر» (مصر سنة ١٢٨٤ هـ)

دوذي . ر . ب . ا . Dozy : R.B.A.

Essai sur l'Hist. de l'Islamisme «1879» (٢٥)

D'Ohsson Mouradgea دوسو : موراجيا

Hist. des Mongholes (vol. 111, Paris 1832) (٢٦)

Defremery : M. C. ديفريمري م . س .

Nouvelles Recherches sur les Ismaeleens ou (٢٧)

Batiniens de Syrie (J.A. 1854, 1855)

Essai sur l'Hist. des Ismaeleens de la Perse (٢٨)

الذهبي (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م) شمس الدين محمد بن احمد .

(٢٩) «تاريخ الإسلام» مخطوط . (المجلد الثالث) .

Recueil des Historiens des Croisades, Historiens (٣٠)

Orientaux.

(Sykes) سايكس

The Hist. of Persia (1910) (٣٣)

السمرقندي (٥٥٠ هـ) أحمد بن عمرو بن علي النضائي السمرقندي .

(٣٢) «كتاب جهار مقالة» (لیدن سنة ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩ م)

سيد أمير علي :

(٣٣) «تاريخ العرب والتمدن الإسلامي» (ترجمة رياض رافت - مصر سنة ١٩٣٨ م)



- الشاطبي (٧٩٠ هـ = ١٢٦٧ م) أبو إسحاق إبراهيم الغرناطي الشاطبي .  
 (٣٤) «الاعتصام» (مصر سنة ١٣٣١ هـ = ١٩١٣) ثلاثة أجزاء  
 الشهرستاني (٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم  
 (٣٥) «الملل والنحل» على هامش ابن حزم (مصر سنة ١٣٤٧ هـ  
 الشيرازي (٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م) المؤيد في الدين هبة الله .  
 (٣٦) «السيرة المؤيدية» (مخطوط بمكتبة الجامعة) رقم ٦٢٠٥٦  
 شيفر : شارل Schefer : Charle  
 (٣٧) Hist. de l'Asie Centrale (Paris 1876)  
 طه احمد شرف (الدكتور) .  
 (٣٨) «الزندقة والزنادقة» منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي  
 الأول» (رسالة)  
 (٣٩) «الفاطيون وزعامة العالم الإسماعيلي» (مخطوط)  
 (٤٠) «المشكلات الكبرى في تاريخ الفاطميين» ( )  
 (٤١) «أئمة التزارية أجداد أغاخان» ( )  
 (٤٢) «إسماعيلية الشام من أقدم العصور حتى اليوم» ( )  
 العيني : (٨٥٥ هـ) بدر الدين محمود .  
 (٤٣) «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» (مخطوط)  
 الغزالي (٥٥٠ هـ = ١١١١ م) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي .  
 (٤٤) «المنقذ من الضلال» أو الملل والنحل» (دمشق ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م)  
 (٤٥) «فضائح الباطنية أو المستظهري» (لندن سنة ١٩١٦ م)  
 (٤٦) «القسطاس المستقيم» (دمشق سنة ١٣١٨ هـ = سنة ١٩٠٠ م)  
 ابن القرات (٨٠٧ هـ = ١٤٠٤ م) محمد بن عبد الرحيم .  
 (٤٧) «تاريخ الدول والملوك» (مخطوط بدار النكتب)  
 القزويني : حمد الله المستوفي .  
 (٤٨) «تاريخ كوزيده» (نشر وترجمة كاتين . باريس سنة ١٩٠٣ م)



- ابن القلانسي (٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة .
- (٤٩) «تاريخ ابن القلانسي المسمى ذيل تاريخ دمشق» (بيروت سنة ١٩٠٨)
- القلقشندي : أبو العباس أحمد
- (٥٠) «صبح الأعشى» (القاهرة سنة ٩١٧ م)
- كراوس: پول Paul : Craus
- (٥١) «رسائل فلسفية لأبني بكر بن زكريا الرازي» مصر سنة ١٩٣٩
- لورنس لوكهارت Lorence Lockhart
- (٥٢) Hasani Sabbah & the Assassins
- (B. S. O. S. London: 1928-30)
- ماركو - پولو Marco-Polo
- (٥٣) The Travels of Marco-Palo (Tr. par Prof. Ricci)
- مالسكولم : ماجور جنرال Malcolm M. G.
- (٥٤) The Hist. of Persia, vols 1-2
- محمد كامل حسين (الدكتور)
- (٥٥) «المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي» (رسالته للدكتوراه)
- المقريزي (٨٤٥ هـ) تقي الدين احمد بن علي .
- (٥٦) «المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» مجلدان (بولاق سنة ١٢٧٠ هـ)
- مكسيموس :
- (٥٧) «تاريخ الحروب المقدسة» جزءان. (سنة ١٨٤٠ م)
- ميخائيل : شاروييم .
- (٥٨) نشر كتاب «التاليد في مذهب أهل التوحيد» لحزة بن علي .
- ابن ميسر (٦٧٧ هـ = ١٢٧٨ م) : محمد بن علي بن يوسف بن جلب .
- (٥٩) «أخبار مصر» (نشر هنري ماسبييه المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات
- الفرقية ) (القاهرة ١٩١٩ م)
- مينانت : ب. Menant ; B.



Les Khodjas du Guzarate (R. M. M.) vol. 12 (٦٠)

ناصرى خسرو [١٠٨٨ م = ١٤٨١ هـ]

(٦١) «سفرنامه» (نشر وترجمة شارل شيفر • باريس سنة ١٨٨١ م)

نظام الملك (الوزير) ١٠٩٢ م = ١٤٨٥ هـ

(٦٢) «سياسة نامه» المجلد الثانى (باريس سنة ١٨٩٣ م)

«ابن منجب الصيرفى» : (١١٤٧ = ١٥٤٢ هـ) أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم على

(٦٣) «الإشادة إلى من نال الوزارة» (القاهرة ١٩٢٤)

النويرى (١٣٣٢ = ١٣٣٢ م) أحمد بن عبد الوهاب (مخطوط ج ٢٣ - ٢١) .

(٦٤) «نهاية الأرب في فنون الأدب»

Von Hammer : Burgaastal عمر : غون

Hist. de l'Ordre des Assassins (Tr.par Hellert, 1833) (٦٥)

Von Hammer's Hist. of the Assassins (Arabia & (٦٦)

Mahomet)

ابن واصل : جمال الدين الشافعى.

(٦٧) «مفرج الكروب في تاريخ نبي أيوب» (مخطوط)

يحيى الحشاش (دكتور)

(٦٨) «رحلة ناصر و خسرو» (رسالة)



# محتويات الكتاب

| صفحة |                        |
|------|------------------------|
| ٣    | الإهداء . . . . .      |
| ٥    | مقدمة الكتاب . . . . . |
| ٨    | تصدير الكتاب . . . . . |

## الباب الأول

حالة العالم الإسلامي قبيل ظهور الحسن الصباح

|    |                                 |
|----|---------------------------------|
| ٩  | ١ — العالم السني . . . . .      |
| ١٦ | ٢ — العالم الإسماعيلي . . . . . |

## الباب الثاني

الحسن الصباح منذ نشأته حتى إعلانه الاستقلال عن الفاطميين

|    |                                                          |
|----|----------------------------------------------------------|
| ٣٥ | ١ — نشأة الحسن الصباح . . . . .                          |
| ٤٢ | ٢ — اعتناق الحسن المذهب الإسماعيلي . . . . .             |
| ٤٧ | ٣ — الحسن الصباح في مصر . . . . .                        |
| ٥٨ | ٤ — الحسن الصباح سفير المستنصر في خراسان وفارس . . . . . |

## الباب الثالث

استقلال الحسن الصباح عن الفاطميين

|    |                                                   |
|----|---------------------------------------------------|
| ٦٥ | ٢ — الدعوة لنزار بن المستنصر . . . . .            |
|    | ٢ — الحسن الصباح وتنظيم المجتمع النزاری . . . . . |



صفحة

- ١ — التنظيم المادى ، أو الحدود الدينية عند النزارية . ٧٤  
 ب — تربية الفداوية وتسميتهم . . . . .  
 ١ — تربية الفداوية . . . . . ٨٩  
 ٢ — تسمية الفداوية . . . . . ٩٧  
 ح — التنظيم الروحى فى المجتمع النزارى . . . . . ١٠٤  
 د — طرق الدعوة النزارية . . . . . ١٠٨  
 هـ — أماكن الدعوة النزارية . . . . .  
 ١ — قلاع الدعوة . . . . . ١١٨  
 ٢ — دور الدعوة . . . . . ١٢١

### الباب الرابع

صراع دولة الحسن الصباح مع العالم السنى فى بلاد المشرق

- ١ — عوامل نجاح الحسن الصباح فى سياسته الخارجية فى المشرق ١٢٣  
 ٢ — صراع الحسن الصباح مع السلطان ملكشاه  
 ٤٦٥ — ٤٨٥ = ١٠٧٢ هـ = ١٠٩٢ م . . . . . ١٢٩  
 ٣ — دولة الحسن الصباح وخلفاء ملكشاه . . . . .  
 ١ — موقف الحسن من السلطان بركياروق  
 ( ٤٨٧ — ٤٩٨ هـ ) . . . . . ١٣٦  
 ب — صراع الحسن مع السلطان محمد ٤٩٨ هـ = ١١٠٥ م . . . . .  
 ١ — السلطان محمد وابن عطاش . . . . . ١٤٧



- ٢ — السلطان محمد والحسن الصباح . . . . . ١٥٦  
 ح — صراع الحسن الصباح مع السلطان سنجر وابن أخيه محمود ١٦٦  
 و — تقدير أعمال الحسن الصباح في بلاد المشرق . . . ١٧٣

### الباب الخامس

جمهورية الحسن الصباح في بلاد الشام ومصر (في الشرق الأدنى)

- ١ — حالة بلاد الشام في عهد الحسن الصباح . . . . ١٧٦  
 ٢ — محاولة النزارية في الاستقرار في حلب  
 ٣ — خذلان النزارية في الاستقرار بحلب وآثاره . . . . ١٩٣  
 ٤ — صراع الحسن الصباح مع المستعاليه . . . . . ٢٠٧  
 ٥ — خاتمة القول في الحسن الصباح

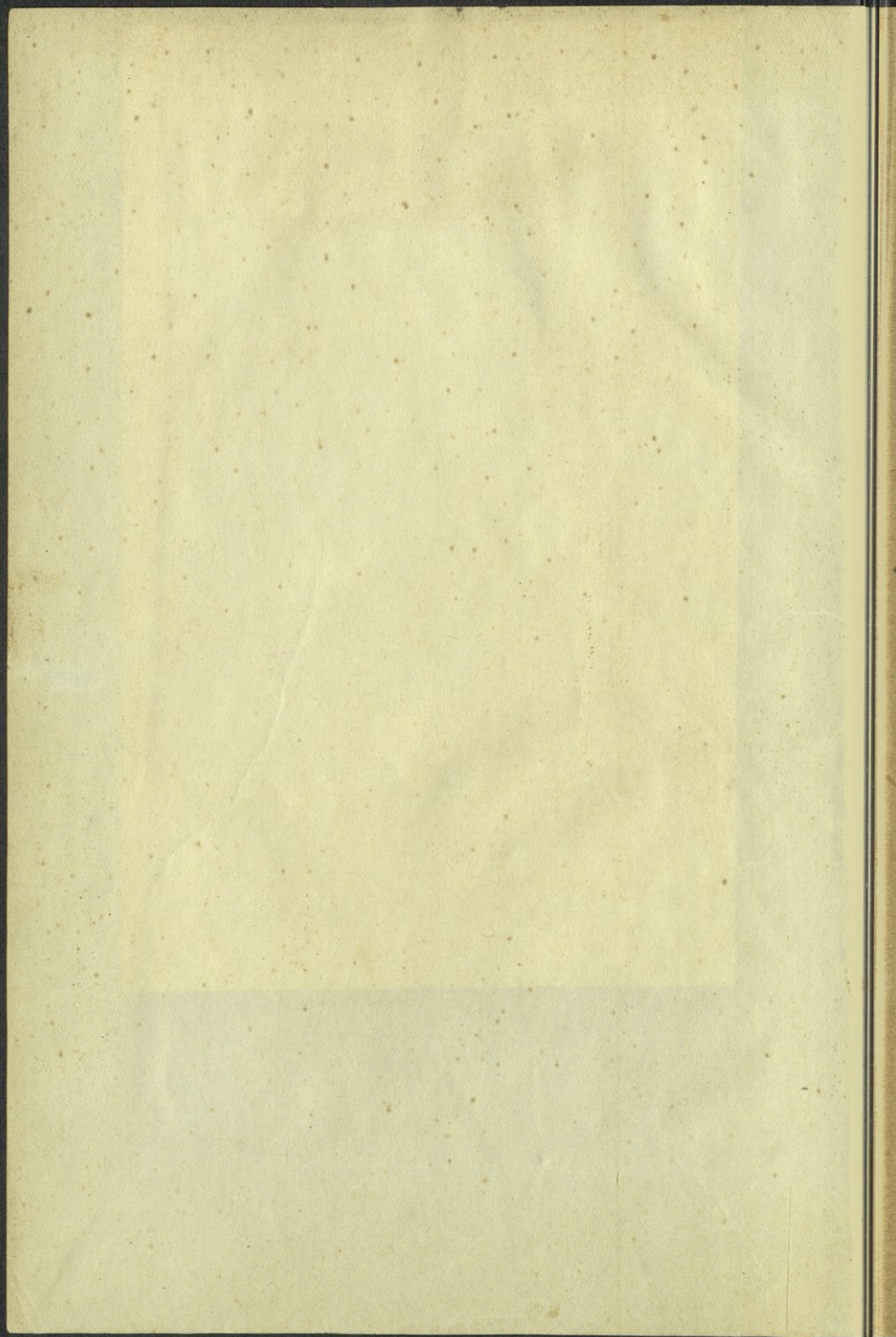
- ١ — أخلاق الحسن الصباح . . . . . ٢١٢  
 ب — وفاة الحسن الصباح . . . . . ٢١٩  
 ح — مدى نجاح الحسن الصباح . . . . . ٢٢٠

مكتبة العرب  
 صلاح الدين البستاني  
 صدق (الفجالة) القاهرة

### قسم الملاحق

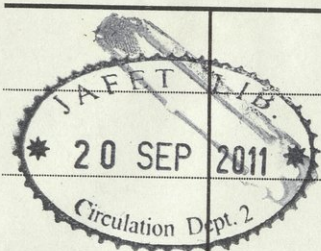
- ملحق (١) البشارة بتسليم قلعة شاه دز . . . . . ٢٢٦  
 ملحق (٢) تأمر نزارية الشام على حليفهم رضوان . . . ٢٣٢  
 ملحق (٣) محاولة نزاية الصباح الاستيلاء على قلعة الشريف  
 من صاحبها إيلغازي . . . . . ٢٣٤  
 ملحق (٤) مبدأ التعليم عند الحسن الصباح على مارواه الشهرستاني ٢٣٦  
 ملحق (٥) مناظرة بين الغزالي - حجة الإسلام - وأحد أتباع الحسن ٢٣٩







# DATE DUE

|                                                                                   |  |  |
|-----------------------------------------------------------------------------------|--|--|
|  |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |
|                                                                                   |  |  |

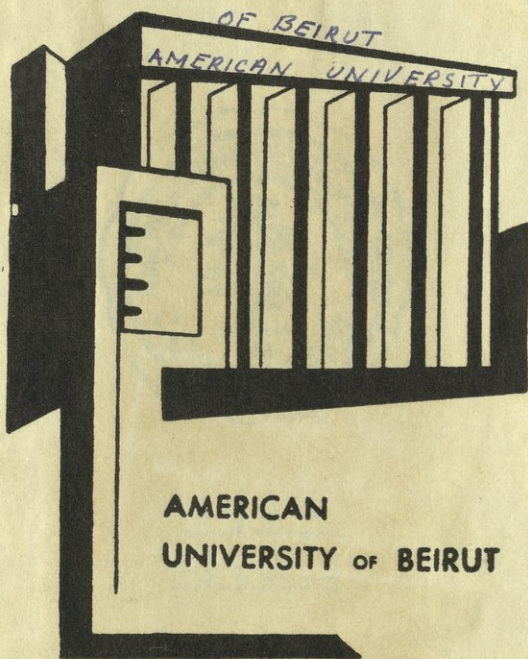


سرف، طه احمد  
دولة الفزارية اجداد اغا خان، كما اسس

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01011638



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT



